الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

نيابة العمادة لما بعد التدرج

والبحث العلمي

والعلاقات الخارجية

أثر العقيدة على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم/تخصص الكتاب والسنة

إعداد الباحث

صالح عسكر

إشراف

أ.د: أحمد رحماني

د: أحمد عقون

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د أحمد بوذراع	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر-باتنة	رئيسا
أ.د. أحمد رحماني	أستاذ التعليم العالي	كلية الدراسات العربية والإسلامية/دبي	مقررا
أ.د عبد الحليم بوزيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر-باتنة	عضوا
أ.د. سعيد عليوان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	عضوا
د.حسين شرفه	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر-باتنة	عضوا
د. عامر لعرابي	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر-باتنة	عضوا

السنة الجامعية: 1427-1428هـ/2006-2007م

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⮰🏳⬄○⅋🗀

★✏👓✂

⮴♊🕔◆👇⬋❑▪❷✆👓

✂

⮰🏳⑩⅋○▪❷✆👓✂

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الجاثية: 20-23.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الصبغة العامة التي تصطبغ بها حياة الإنسان نتاج لأفكاره وتصوره عن الوجود والحياة وما بعدها، وإن الإجابة عن بعض الأسئلة الخطيرة يتوقف عليه توجيه الإنسان لحياته كلها، خاصة وأنه لا يملك إلا فرصة واحدة، قضى الله عز وجل أن تكون محدودة ومعدودة.

ومن بين هذه الأسئلة الخطيرة حساب الربح والخسارة المتحققين للعبد من اعتناق التوحيد عقيدة أو مجانبته له، وحساب الربح والخسارة المتحققين لأمة من اجتماعها على عقيدة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

التوحيد وعملها بمقتضاها أو مخالفتها عن ذلك، هذه المسألة التي دل تفرق الناس حولها على اختلاف آرائهم فيها؛ سواء أخضعت هذه الآراء لمنطق العقل والبحث والنظر، أو ألبست زورا لباس العقل والبحث والنظر، أو جاهرت بمتابعة الهوى والانسياق وراءه.

ثم إن الناس لما تصدوا للإجابة عن هذا السؤال الخطير، أعملوا عقولهم فأحسنوا وأجادوا، أو جهلوا وتمادوا، وفوق ذلك يظل الجهد البشري قاصرا، ومدارك العقل محدودة، والناس في دقة النظر، وسعة المعرفة، والقدرة على التوضيح والبيان يتفاوتون، مع ما قد يعتري نظرهم وبحثهم من غفلة ونسيان، ولذلك فإن الوحي الإلهي الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم من عند الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو وحده الأقدر على الإجابة على مثل تلك الأسئلة، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو تنزيل الحكيم العليم ...

من هنا جاءت هذه الدراسة كمحاولة للإجابة من منطلق قرآني عن الآثار التي تنتج عن اعتناق عقيدة التوحيد أو المخالفة عنها فيما يتعلق بالفرد ثم فيما يتعلق بالمجتمع، وهي تتحرك في نطاق محدد هو القرآن الكريم لا تجاوزه إلى غيره إلا على سبيل الاستشهاد والبيان، ولذلك صيغ عنوانها بـ " **أثر العقيدة على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم**".

إشكالية البحث:

يعتقد كثير من الناس أن الإيمان موصل للفوز في الآخرة غير أنه يصبغ حياة صاحبه الدنيوية بصبغة الحزن والتعاسة، ويدخله " سجنا " مظلما يلبسه فيه قيودا وأغلالا، فإذا هو ميت يعيش بجسده مع الأحياء.

ويعتقد كثير من الناس أيضا أن مسألة الإيمان مسألة فردية ترتبط بجانب شديد الخصوصية في حياة كل فرد، وأنه لا علاقة لها بالجوانب العملية من الحياة ولا تأثير له فيها، وأنه لا ينبغي تحميله ذلك أو إخراجه من هذا النطاق.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويزعم كثير من الناس أن الدين كله جاء يعالج مجموعة من المسائل الغيبية، وأنه من السخيف الزعم أن له دورا فرعيا في بناء الأمم وصنعها وتفوقها وغلبتها، فضلا عن أن يكون دورا محوريا ومركزيا.

ويعتقد أولئك جميعا أن القرآن الكريم ليس فيه ما يدل على غير هذا، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا مصلحا اجتماعيا، إن غيرت رسالته واقع مجموعة من البدو فإن الناس قد تجاوزوا ذلك اليوم وتفوقوا عليه بمراحل كثيرة.

وفي المقابل تزعم طائفة أخرى من الناس أن اعتناق العقيدة الصحيحة؛ فوق كونه فريضة إلهية، هو أيضا ضرورة بشرية، وأنه يوصل إلى سعادة الدنيا قبل فلاح الآخرة، وأن الإيمان وإن حمل جانبا شخصيا فرديا، فإن له بعدا اجتماعيا يوصل إلى العزة والغلبة والقوة والتمكين ...

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة كمحاولة لكشف آثار العقيدة على الفرد ثم على المجتمع من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم، وهي تطرح سؤالين محوريين هما:

هل للعقيدة إن كانت صحيحة أو فاسدة تأثير على الفرد؟ وما هو هذا الأثر؟

وهل للعقيدة تأثير على المجتمع؟ فما هو هذا الأثر؟

أهمية الموضوع:

هذا الموضوع يكتسي أهمية خاصة تنبع من طابعه والمجال الذي يطرح فيه؛ فمسألة تأثير العقيدة على الفرد وعلى المجتمع من المسائل التي يحتاج كل واحد لأن يتأملها وينظر فيها، إذ أن حاضر الإنسان ومآله مرتبط بها، فإذا تبين الإنسان ربحه وخسارته من اعتقاد عقيدة ما واعتناقها، كان ذلك ممهدا لاختيارات صحيحة توصله إلى الفوز والسعادة.

ومن جهة أخرى فإن طرح المسألة ضمن الإطار القرآني يجعل للموضوع طابعا خاصا؛ نظرا للمصداقية الخاصة للأحكام المستنبطة والنتائج المتوصل إليها من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم، غير أننا لا نغفل القصور في الجهد والعمل والفهم البشري الذي قد ينحرف بالنصوص الصريحة سهوا عن معانيها، فضلا عن النصوص ذات الدلالة الخفية والإشارات وما يندرج ضمن هذا المعنى.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

دوافع اختيار الموضوع:

قد اخترت دراسة هذا الموضوع وأن مدفوع في ذلك بجملة من الدوافع منها:

مُحَرَّمٌ- قناعة خاصة بأن موضوع تأثير العقيدة على الفرد وعلى المجتمع يحتاج إلى عناية خاصة، لأنه يهم كل إنسان في هذه الحياة؛ فعليه ينبني توجيه الإنسان لحياته وتحديده لأهدافه وغاياته.

صَفَرٌ- انتشار النموذج المنحرف وتسويقه من قبل جهات -تملك قوة وسطوة إعلامية بدرجة خاصة- على أنه النموذج المثال المحقق للسعادة، والذي ينبغي أن يكون مثالا يحتذى.

رَبِيعٌ أَوَّلٌ- الحاجة إلى الخروج بصورة واضحة ومتكاملة عن الموضوع، وتمحيص كثير مما يقال ويزعم.

رَبِيعٌ ثَانٍ- بناء فكرة مكتملة المعالم واضحة القسمات عن آثار العقيدة الصحيحة والمنحرفة على الأفراد والمجتمعات انطلاقا من النصوص القرآنية وليس من الأفكار أو التخمينات التي يستشهد عليها بالنصوص والآيات.

أهداف الموضوع:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

مُحَرَّمٌ- تأصيل الموضوع برده إلى النصوص القرآنية ومحاولة الخروج بصورة عنه واضحة المعالم والقسمات.

صَفَرٌ- محاولة معرفة ما نص عليه القرآن الكريم أو أشار إليه من الآثار التي تنتج عن العقيدة الصحيحة أو الفاسدة، وتنعكس على الأفراد والجماعات.

رَبِيعٌ أَوَّلٌ- تجاوز الأفكار التي تبقى اجتهادات بشرية يعتريها ما يعتري كل جهد بشري إلى استنباط حقائق من النصوص القرآنية منصوص عليها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- محاولة بناء نظرية تنطلق من النصوص القرآنية عن تشكيل فكر الإنسان ونفسيته وحياته تبعا للعقيدة التي يحملها.
- محاولة بناء نظرية تنطلق من النصوص القرآنية عن السنن الإلهية التي تسير التجمعات البشرية تبعا للعقيدة التي تغلب على أفرادها.
- محاكمة الأفكار المستقرة في عقول الناس إلى النصوص القرآنية لبيان صحيحها من سقيمها وغثها من سمينها.

الدراسات السابقة:

يبدو أن التأليف في موضوع تأثير العقيدة على الفرد أو على المجتمع كثير، من ذلك:

- كتاب " الإيمان والحياة " المشهور للدكتور يوسف القرضاوي.
- وكتاب " الإيمان أثره في حياة الإنسان " للدكتور حسن الترابي.
- وكتاب " أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة " للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع.
- وكتاب " العقيدة وأثرها في بناء الجيل " لعبد الله عزام.
- وكتاب " الإيمان بالله وأثره في الحياة " للدكتور عبد المجيد النجار.

وقد لاحظت أن عامة الدراسات التي استطعت أن أطلع عليها كانت تتناول الموضوع من زاوية فكرية قد تكون خالصة، أو ربما استدلت على ذلك ببعض النصوص، كما يقول الترابي مثلا:" بيد أننا لا نريد إحصاء منافع الإيمان استنباطا من النصوص التي تبشر المؤمنين بحسن المآل، كما لم نلتمسها في استقراء تاريخ المؤمنين، وإنما خطتنا أن ننظر في طبيعة الاعتقاد الديني وشعابه ومقتضياته فنقدر النتائج التي تترتب عليه بالنظر إلى الظاهر حسب أسباب الدنيا المعهودة المشهودة "[1]، ويقول في موضع آخر:" ... فلا مطمع لنا من هذا البحث في أمور الإيمان إلا أن نتأمل في بعض الأسباب المعقولة لنا مما يبارك الله به حياة المؤمنين..."[2]. ويبدو أن الدافع إلى ذلك كان الرد بالحجة على قوم لا يؤمنون بالنصوص، أو مناقشة أفكار هي نتاج فلسفة مادية تنتقد الدين وتزعم العقلانية، فكانت المناقشة

---

[1] د. حسن الترابي، الإيمان أثره في حياة الإنسان ص13، دار القلم، بيروت، ط4: 1403-1983.
[2] نفسه ص14.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفكرية والمجادلة بالحجة والبرهان العقلي هي السبيل الصحيح للرد عليها، قال القرضاوي:" وفي عصرنا هذا أصبح الناس يجرون وراء المنفعة لاهثين، حتى إن كثيرا منهم ليرون الحق فيما ينفعهم، لا فيما يطابق الواقع، أو ما تقوم البراهين على صحته.

وقد قام مذهب برأسه ينادي بأن " المنفعة مقياس الحقيقة " ويصر على أن المهم من كل شيء هو نتائجه وما يترتب عليه من آثار في حياتنا العملية ... وعلى أن الصدق ليس هو مطابقة الخبر للواقع؛ بل انسجامه مع ما يقع، وهكذا، فكل شيء يحكم عليه بما يتبعه من نتائج، فإن كانت هذه النتائج متناسبة مع أغراضنا، ومع ما نريد من مقدماتها، كانت خيرا وصدقا وحقا .. وإن كانت غير ذلك كانت شرا وكذبا وباطلا، ولا يوصف الفعل بحسن ولا قبح ولا يوصف القول بالصدق والكذب حتى تعرف ثمرته هذا هو مذهب "البراجماتزم" "[1].

وبعض تلك الدراسات تناول الموضوع من الزاوية المنطقية الفلسفية التي جرى عليها علماء العقيدة وعلم الكلام في دراستهم وكتبهم، ككتاب " أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة " للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، وكتاب " الإيمان بالله وأثره في الحياة " للدكتور عبد المجيد النجار.

وتبعا لذلك فقد اقتصرت تلك الدراسات على الجانب الدنيوي فقط.

وأما الجديد الذي تحاول هذه الدراسة أن تطرحه؛ فهو دراسة الموضع انطلاقا من مجال محدد هو القرآن الكريم، ووفق منهج خاص هو منهج التفسير الموضوعي.

منهج البحث:

منهج هذا البحث هو منهج التفسير الموضوعي التجميعي؛ بدأت فيه باستقراء آيات القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع، ثم قمت بتصنيفها ضمن الأبواب والفصول والمباحث المرتبطة بها، ثم قمت بتحليلها وضبطت النتائج في خلاصات في آخر كل مبحث.

[1] د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة ص7، مؤسسة الرسالة، بيروت ط17: 1417-1997.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وكل مبحث يتكون غالبا من توطئة تحوي تحديدا للفكرة المطروحة، ثم يليها صدر الموضوع الذي أحلل فيه فكرة المبحث تحليلا مفصلا، ثم يختم المبحث بخلاصة تحوي النتيجة التي تكون عادة هي جواب الإشكال المطروح في التوطئة.

وفكرة المبحث تنطلق عادة من النص أو النصوص الأساسية التي هي واحدة من النصوص التي تم استقراؤها وتصنيفها، واعتمدت في تحليلها على منهج التفسير المعروف وهو: الاستعانة بنصوص القرآن الكريم، وهذه النصوص المستعملة في التحليل قد لا تكون بالضرورة مرتبطة بموضوع العقيدة وأثرها، بل هي نصوص مساعدة في تحليل النصوص الأصلية وفهم معانيها، ثم نصوص السنة، ثم أقوال الصحابة والتابعين وآراء العلماء والمفسرين.

وقد تجنبت ما استطعت الخوض في الخلافات والآراء والمسائل الجزئية لأن هدف الدراسة تركيبي وإن كان التحليل قبله ضروريا.

واعتمدت في توثيق المصادر والمراجع ذكر اسم الكاتب وكتابه ورقم الجزء والصفحة، ودار الطباعة ثم رقم الطبعة وتاريخها، فإن لم يوجدا رمزت لذلك بـ " د ت ط " أي "دون تاريخ طباعة" والذي يلازم عادة انعدام الرقم أيضا، ولا أذكر بيانات الطباعة (دار الطباعة ورقم الطبعة وتاريخها) إلا في المرة الأولى ثم إذا تكرر المصدر اكتفيت باسم المؤلف والكتاب ورقم الجزء والصفحة.

فإذا نقلت نقلين متتابعين من مصدر واحد و لم تفصل بينهما إحالة أخرىلم أعد ذكره وأشير بعبارة " نفسه " أو " السابق "، وقد أكتفي بذكر اسم الكتاب وحده في الهامش إذا ذكرت المؤلف في الأصل، كما قد أكتفي –اختصارا– باسم الكتاب إذا تضمن اسم المؤلف كـ " تفسير الطبري "، " تفسير القرطبي "، " تفسير ابن كثير " ...

أما الأحاديث فإني أذكر اسم المؤلف والمصدر، ثم الكتاب والباب الذين ورد فيهما الحديث –إن لم يكن الكتاب من المسانيد– ثم رقم الجزء والصفحة.

و لم أترجم لأحد من الأعلام بتوجيه من الأستاذ المشرف، تجنبا لأن تطول الرسالة طولا فاحشا خاصة وأن ترجمة جميعهم أو أغلبهم مثبتة في كتب التراجم بصورة طويلة أو

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مختصرة، وبفهرسة وترتيب من كثير من الباحثين مما يجعل الرجوع إليها في موضعها سهلا.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مدخل وبابين وخاتمة تتقدمها هذه المقدمة:

في المدخل تعرضت لبيان مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح، وبيان المعنى المناسب لهذه الدراسة، ثم تعرضت بعده لبيان معنى أن الناس كانوا أمة واحدة ثم اختلفوا، ومتى كان ذلك؟

وأما الباب الأول فقد تعرضت فيه لأثر العقيدة على الفرد في ثلاثة فصول:

- في الفصل الأول: تعرضت لأثر العقيدة على المستوى القلبي والفكري والعملي؛ فجعلت المبحث الأول لأثر العقيدة الصحية: قمت فيه بتحليل تأثير الإيمان على قلب العبد وفكره وأعماله، وجعلت المبحث الثاني لأثر العقيدة الفاسدة على المستوى القلبي والفكري والعملي: وقمت فيه أيضا بتحليل تأثير الكفر على قلب العبد وتفكيره وأعماله.
- وفي الفصل الثاني: طرحت أثر العقيدة على المستوى النفسي، في مبحثين أيضا: خصصت المبحث الأول لأثر العقيدة الصحيحة على المستوى النفسي، وتتبعت فيه ما ينتج من آثار على نفس العبد بسبب إيمانه، وفي المبحث الثاني: تناولت ما ينتج عن الكفر من آثار نفسية على صاحبه تحت عنوان: أثر العقيدة الفاسدة على المستوى النفسي.
- أما في الفصل الثالث: فقد طرحت الآثار الشرعية والقدرية الناتجة عن العقيدة، فخصصت المبحث الأول لآثار العقيدة الصحيحة الشرعية والقدرية: تناولت فيه ما افترض الله عز وجل وأوجب في معاملة حامل العقيدة الصحيحة —وهي الآثار الشرعية–، وما ترتب قدرا عليها —وهي الآثار القدرية–، وتناولت في المبحث الثاني: آثار العقيدة الفاسدة الشرعية والقدرية: وهي ما أوجبه الله من

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

معاملة للكافر، وما ترتب على الكفر قدرا من عقوبات من غـير أن يكـون للبشر دخل فيها.

والخطة التفصيلة للباب هي:

الباب الأول: أثر العقيدة على الفرد

الفصل الأول: أثر العقيدة على المستوى القلبي والفكري والعملي

- المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على المستوى القلبي والفكري والعملي.
- المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على المستوى القلبي والفكري والعملي.

الفصل الثاني: أثر العقيدة على المستوى النفسي

- أثر العقيدة الصحيحة على المستوى النفسي.
- أثر العقيدة الفاسدة على المستوى النفسي.

الفصل الثالث: آثار العقيدة الشرعية والقدرية.

- المبحث الأول: آثار العقيدة الصحيحة الشرعية والقدرية.
- المبحث الثاني: آثار العقيدة الفاسدة الشرعية والقدرية.

أما الباب الثاني: فقد تناولت فيه أثر العقيدة على المجتمع، في فصول ثلاثة:

تعرضت في الفصل الأول لأثر العقيدة على العلاقات والروابط في المجتمـع في مبحـثين: جعلت المبحث الأول لأثر العقيدة الصحيحة على الروابط داخل المجتمع، وجعلت الثـاني لأثر العقيدة الفاسدة على نفس المستوى.

وفي الفصل الثاني: درست تأثير العقيدة على أمن الأمة وعيشها في مبحثين: أولهما لأثـر العقيدة الصحيحة، والثاني: لأثر العقيدة الفاسدة.

وأما في الفصل الثالث: فقد تناولت أثر العقيدة في تحقق الغلبة والتمكين في مبحثين أيضا: أولهما للعقيدة الصحيحة والثاني للعقيدة الفاسدة.

فكانت الخطة التفصيلية للباب كالآتي:

الباب الثاني: أثر العقيدة على المجتمع

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الأول: أثر العقيدة على الروابط داخل المجتمع.

- المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على الروابط داخل المجتمع.
- المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على الروابط داخل المجتمع.

الفصل الثاني: أثر العقيدة على أمن الأمة وعيشها.

- المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على أمن الأمة وعيشها.
- المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على أمن الأمة وعيشها.

الفصل الثالث: أثر العقيدة في النجاة الغلبة والتمكين.

- أثر العقيدة الصحيحة في النجاة الغلبة والتمكين.
- أثر العقيدة الفاسدة في النجاة الغلبة والتمكين.

ثم ختمت ذلك **بخاتمة** أجملت فيها ما توصلت إليه من نتائج في هذه الدراسة، وأتبعتها بفهرسين للآيات والأحاديث، ثم قائمة المراجع والمصادر، وأخيرا وضعت فهرسا لموضوعات البحث.

مدخل:

في مفهوم العقيدة

وأن الناس كانوا أمة واحدة ثم اختلفوا:

قبل أن نتطرق لموضوع العقيدة وتأثيراتها على الفرد والمجتمع، نعرض أولا لمفهوم العقيدة لتحديد المعنى المقصود منها في هذه الدراسة، ثم نحاول بعد ذلك أن ننظر في معنى ما نص عليه القرآن الكريم من أن الناس كانوا أمة واحدة ثم اختلفوا فبعث –سبحانه- أنبياءه وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومتى كان ذلك؟ ولماذا اختلف الناس؟

أولا: مفهوم العقيدة:

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مفهوم العقيدة لغة:

لفظ " العقيدة " في اللغة من مشتقات عقد، من " العقد: نقيض الحل، عقده يعقده عقدا و تعقادا و عقده ... واعتقده كعقده ... وقد انعقد و تعقد، و المعاقد: مواضع العقـــد، والعقيد: المعاقد ... "[1].

ومنه العقدة " و العقدة: حجم العقد والجمع عقد، وخيوط معقدة: شـــدد للكثـــرة، ويقال: عقدت الحبل فهو معقود، وكذلك العهد، ومنه عقدة النكاح، و انعقد عقد الحبل انعقادا، وموضع العقد من الحبل معقد، وجمعه معاقد "[2].

وتستعمل في معنى معنوي قلبي، " و عقد قلبه على الشيء لزمه ... و عقدة كل شـــيء إبرامه "[3].

ومنه اشتق " اعتقد "، واستعماله في القلب يدل على العزم، فيقال:" اعتقد كـــذا بقلبـــه وليس له معقود: أي عقد رأي "[4].

أما كلمة العقيدة فـــ " ... لم تكن موجودة في الكتاب والسنة، ولا في أمهات المعاجم، وإن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيري سنة 473هـــ، وهـــي كلمة مولدة لم تكن في الصدر الأول "[5].

---

[1] محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب 296/3، دار صادر، بيروت، ط1: د ت ط.

[2] نفسه 297/3.

[3] نفسه 298/3.

[4] نفسه 299/3، وانظر: أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: إميل بديع يعقوب، محمد نبيل طريفـــي 111/2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1420-1999، ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ص187، مكتبة لبنان، بيروت: 1986، والصاحب إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين 131/1، عالم الكتب، ط1: 1414-1994، وابن سيده علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنـــداوي 168/1، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ط1: 1421-2000، وأبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات ص641، مؤسسة الرسالة، ط2: 1413-1993.

[5] بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظية ص666، دار العاصمة الرياض: ط3: 1417-1996 نقلا عن: عبد الصبور شاهين، " حول كلمة العقيدة "-مجلة مجمع اللغة العربية ص68-74، مصر: 1387هـــ، عدد22، وانظر: علي محمد الصلابي المصراتي، الوسطية في القرآن الكريم ص249، دار النفائس، ط1: 1419-1999.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد كانت تدل أولا على عمل القلب الذي يقابل عمل الجوارح، قال الجرجاني:"العقائد: ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل"[1].

ثم صارت تحمل معنى آخر، وهو ما لا يقبل الشك. جاء في المعجم العربي الأساسي:"عقيدة: ج عقائد: 1- ما يقصد به الاعتقاد دون العمل.

2- حكم لا يقبل الشك عند صاحبه ".[2]

إذا فلفظ " العقيدة" لم يأخذ المعنى الذي صار يستعمل فيه إلا بعد القرن الخامس، ومعناه "الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولا وقبل كل شيء إيمانا لا يرقى إليه شك، ولا تؤثر فيه شبهة ... وقد عبر القرآن عن العقيدة بـ "الإيمان" وعن الشريعة بـ "العمل الصالح" ... "[3].

وقد أخذ هذا المعنى اللغوي " من العقد: وهو الربط والشد بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراصة والإثبات والتوثق "[4]، لأن من اعتقد شيئا واتخذه مذهبا وعقيدة "... فقد عقد عليه القلب والضمير ودان به، وأصله من عقد الحبل، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم "[5].

وعلى هذا فمعنى العقيدة تطور حتى صار يدل على معنى كان يعبر عنه القرآن الكريم بلفظ الإيمان.

هذا عن المعنى اللغوي للعقيدة، فما هو مدلولها الاصطلاحي؟

تعريف العقيدة اصطلاحا:

نحا الباحثون في تعريفهم للعقيدة منحيين:

- المنحى الأول: تعريفها بما يقابل مفهوم الشريعة وذلك ما عناه الشيخ محمود شلتوت حين جعل عنوان كتابه " الإسلام عقيدة وشريعة " انطلاقا من أن " قضايا الإسلام لها

---

[1] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني ص174، دار الرشاد، د ت ط.

[2] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي ص854، 1989م.

[3] محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة ص9-10، دار الشروق، بيروت ط11: 1403-1983.

[4] المصراتي، الوسطية في القرآن الكريم ص249.

[5] حمدي عبد العال، منهج السلف في العقيدة ص31، دار القلم، الكويت، ط2: 1406-1986.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

جانبان.. جانب نظري في حاجة إلى البحث والاستدلال وإعمال الفكر والنظـــر وهـــو الأصل الذي لا تقوم الشريعة إلا بعد ثبوته ... وبعد التسليم المبني على البراهين القطعيـــة بوجود وحصول القناعة الكافية، يجيء دور الجانب العملي وهـــو دور الـــشريعة... "[1]، والجانب النظري هو العقيدة، وهي بهذا المعنى مرادف لعلم التوحيد وعلم الكلام[2].

جاء في كتاب العقيدة الإسلامية في تعريف العقيدة اصطلاحا:" إن علماء المسلمين جعلوا هذا اللفظ علما بالغلبة على العلم الذي يبحث فيما يجب على الإنسان أن يعتقده ويؤمن به ويقيم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد اليقين، وتطلق أيضا على المبادئ الدينية نفسها التي تثبت بالبرهان القاطع "[3].

وعليه فالعقيدة بهذا المعنى تطلق على أمرين:

- الأول: العلم الذي يدرس ما يجب على الإنسان أن يؤمن به ويعتقده ويقيم عليـــه البرهان والدليل القاطع.
- الثاني: المبادئ الدينية نفسها، أو ما يعرف بأركان الإيمان.

ولذلك وجد من يعرفها بما يوافق هذا المعنى الثاني، فيقول ناصر العقل في بيـــان معناهـــا مثلا:" الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائـــه وصـــفاته، والإيمـــان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النـــصوص الصحيحة في أصول الدين وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله صلى الله عليـــه وســـلم بالطاعـــة والتحكيم والاتباع "[4]. فجملة ما ذكر في هذا التعريف من المبادئ الدينية، وكذلك فعل الندوي الذي فصل هذه المبادئ في كتابه تحت عنوان " العقائد الإسلامية الأساسية "[5].

---

[1] علي عبد المنعم عبد الحميد، العقيدة الإسلامية ص7، دار القلم، ط2: 1402-1982.

[2] نفسه ص7-8.

[3] مصطفى سعيد الخن ومصطفى ديب مستو، العقيدة الإسلامية أركانها-حقائقها- ومفسداتها ص17، دار ابن كثير، بيروت ط4: 1423-2003.

[4] ناصر العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص9.

[5] انظر: أبو الحسن علي الحسيني الندوي، العقيدة والعبادات والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية ص63-68، دار القلم، الكويت، ط3: 1406-1986.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- المنحى الثاني: يعرف العقيدة انطلاقا من ارتباطها بقلب الإنسان وتعلقها به. قال أحمد علي الملا:" [العقيدة] في اصطلاح الشرع: التصديق بما جاء به الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، مما علم من الدين بالضرورة، أو ما أشبهها من الأدلة اليقينية "[1].

فهو يعتبر العقيدة أو الإيمان[2] التصديق، وهو حاصل من أدلة يقينية من بينها أن يكون معلوما من الدين بالضرورة. أما أبو بكر جابر الجزائري فيركز على كون أمور العقيدة مسلمة عند أصحابها مقطوعا بوجودها، مجزوما بصحتها، لا يتطرق إليها ريب أو شك، قال:" العقيدة هي: مجموعة من قضايا الحق البدهية المسلمة بالعقل، والسمع، والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره، جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدا "[3].

ويلاحظ أن كلا من التعريفين السابقين يتحدث عن العقيدة الصحيحة فقط دون العقيدة الفاسدة، فيجعلها أحدهما:" مما علم من الدين بالضرورة "، ويجعلها الثاني:"مجموعة من قضايا الحق البدهية المسلمة "، والسبب في ذلك ظاهر؛ وهو أن كلا الكتابين يدرس العقيدة الإسلامية. وأما البنا فيقول:" العقائد: هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينا عند أصحابها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك "[4].

فيجعل للعقائد معنى أوسع؛ فهي الأمور التي تصير يقينا عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك، من غير التفات إلى صحة هذه الأمور أو بطلانها، ومن باب أولى من غير التفات إلى الطريق الذي تم تلقي هذه العقائد منه سواء أكان الوحي أو أدلة يقينية أو استدلالا صحيحا أو باطلا أو تلقينا أو تقليدا أو غير ذلك.

ومن خلال ذلك نخلص إلى أن العقيدة بهذا المعنى: مجموعة المعارف المتعلقة بالتصور العام للوجود التي تلقاها الإنسان عن طريق البحث والنظر أو التلقين، فانعقد عليها قلبه

---

[1] محمد علي الملا، دراسة في علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ص220، قصر الكتاب، البليدة، ط1: 1406-1986.

[2] هو يجعلهما مترادفان ويعطف بعضهما على بعض، انظر: المرجع نفسه ص219.

[3] أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن ص23، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط3: 1417-1996.

[4] حسن البنا، رسالة الاعتقاد ص17، دار مكتبة الإيمان، طرابلس-لبنان، ط1: 1422-2000، وانظر: عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله ص9، قصر الكتاب، البليدة-الجزائر.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

واطمأنت إليها نفسه، وصارت عنده يقينا لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك، وهي نظريـــا تشكل القوالب التي تصاغ فيها أفكاره وتنبع منها مشاعره وتنطلق منها أفعاله وأقواله.

وهذا المنحى الثاني في تعريف العقيدة هو الأوفق للطرح الذي يتناوله هذا البحث.

ثانيا: الأمة الواحدة واختلاف الناس:

أخبر القرآن الكريم أن الناس كانوا أمة واحدة، فقال تعالى: [illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

💻⓿🕓◆❸⬉🕓 🗐❼■🖫⅋☽ ↓↗✎✍♦⌖□④ ♊♦✌ ❽🙰⑨⇕♑♦③
✍☹➚⮶☽♦✌⬄○❿✌ ⮘✖⮚⊠⮛ ⚙[1] .

فما معنى كون الناس أمة واحدة؟ ومتى كان ذلك؟ وما علاقة ذلك ببعثة النبيين وإنـزال الكتب؟

الأمة:" كل جماعة يجمعها أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد، أو مكان واحد، سـواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا "[2].

وقد ورد لفظ "الأمة" في القرآن الكريم على عشرة معاني: الصف المصفوف، والـسنون الخالية، والرجل الجامع للخير، والدين والملة، والأمم السالفة، والقوم بلا عـدد، والقـوم ذووا العدد، والزمان الطويل، وأهل الكفر خاصة، وأهل الإسلام خاصة.[3]

وأما ما نصت عليه الآية من أن الناس كانوا أمة واحدة، فمعناه: أنهـم كـانوا "صـنفا واحدا"[4]، "على دين واحد"[5].

وقد اختلف في المراد بالناس الذين كانوا أمة واحدة؟ ومتى كان ذلك؟ على أقوال:[6]

- القول الأول: أنهم الناس الذين كانوا بين آدم ونوح: عن ابن عباس قال:" كان بـين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحـق، فـاختلفوا ⚙▫♦⌨♦➔⍓❆⍓

✂✎✍✦✂✍🙰✡□▭⅋❿♒✐🕓♊⌘✌⇖▭◆⌖♏🙰❷⊠⇦▫🙞

---

[1] البقرة: 213.

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ص86، دار القلم، دمشق: ط3: 1423-2002.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 78/2، المكتبة العلمية، بيروت، د ت ط.

[4] المصدران نفسهما.

[5] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 30/3 تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2: 1372.

[6] انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن 334/2-336، دار الفكر، بيروت: 1405.

- أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير 229/1، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3: 1403.
- وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 30/3، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة: ط2: 1372.
- وأبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم 251/1، دار الفكر، بيروت: 1401.
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير 214/1، دار الفكر، بيروت: د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

❐◆👌⇖✡⓿⮰❻✎⇦✗◆ ﴿، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله [بن مسعود]: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا"[1]، وقال قتادة:" كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين "[2]. ومعنى هذا القول أن التوحيد هو الأصل الأصيل، وأن الناس كانوا عليه مجتمعين، ثم إنهم تفرقوا واختلفوا فبعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب.

- القول الثاني: أن الأمة آدم، كان على الحق إماما لذريته فبعث الله النبيين في ولده، قال مجاهد:"كان بين آدم ونوح عشرة أنبياء، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: .. آدم أمة وحده "[3]. " ومعنى الآية كان آدم ذا دين واحد فاختلف ولده من بعده "[4].

فعلى هذا القول: الأمة رجل واحد –أي آدم-، سمي أمة مع كونه رجلا واحدا، ويجوز في كلام العرب تسمية الواحد بالجماعة، " قال ابن الأنباري: وهذا الوجه جائز لأن العرب توقع الجمع على الواحد "[5]. وأما القرطبي فقد ذكر لذلك تخريجا آخر فقال:"وسمي الواحد بلفظ الجمع لأنه أصل النسل"[6]. وأما ابن جرير فقد ذكر أن سبب ذلك اجتماع أخلاق الخير التي تكون في الجماعة المفرقة فيه، أو لأنه كان سببا في اجتماع ذريته على دينه، قال:" وكأن من قال هذا القول استجاز تسمية الواحد باسم الجماعة لاجتماع أخلاق الخير الذي يكون في الجماعة المفرقة فيمن سماه بالأمة، كما يقال: فلان أمة واحدة يقوم مقام الأمة، وقد يجوز أن يكون سماه بذلك لأنه سبب لاجتماع الأسباب من الناس على ما دعاهم إليه من أخلاق الخير، فلما كان آدم سببا لاجتماع من اجتمع على دينه من ولده إلى حال اختلافهم سماه بذلك أمة "[7].

---

[1] ابن جرير، جامع البيان 334/2، وانظر الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر النبي نوح صلى الله عليه وسلم 596/2، ح4009، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411-1990، وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

[2] ابن جرير، جامع البيان 334/2.

[3] نفسه 335/2.

[4] ابن الجوزي، زاد المسير 229/1.

[5] نفسه.

[6] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 30/3.

[7] جامع البيان 335/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فالأمة على هذا القول آدم، وسمي بالأمة مع أنه فرد إما لأنه أصـــل النـــسل، أو لجمعـــه لأخلاق الخير التي تكون في الأمة، أو لكونه سببا في اجتماع من اجتمع من ذريته علـــى دينه ثم تفرقوا من بعده، وإطلاق لفظ الجماعة على الواحد جائز معروف في كلام العرب كما بين ذلك ابن الأنباري.

وأما كون آدم سببا لاجتماع ذريته على الحق فقد ساق القرطبي فيه قول " .. ابـــن أبي خيثمة: منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وثمانمائة سنة، وقيل: أكثر من ذلك، وكان بينه وبين نوح ألف سنة ومائتـــا ســـنة، وعاش آدم تسعمائة وستين سنة، وكان الناس في زمانه أهل ملة واحدة متمسكين بالدين تصافحهم الملائكة وداموا على ذلك إلى أن رفع إدريس عليه السلام فاختلفوا "[1]، ثم قال القرطبي:" وهذا فيه نظر لأن إدريس بعد نوح على الصحيح "[2].

- القول الثالث: أن الأمة آدم وأولاده كانوا على الحق فاختلفوا حين قتل قابيل وهابيل، وقد ذكر هذا القول ابن الأنباري[3]، وهو قريب من القول السابق خاصة مع تخريج مـــن قال: إن آدم سمي أمة لكونه سببا لاجتماع ذريته على دينه، غير أن الفرق بين القولين هو أن الأول يجعل الأمة آدم وحده، والثاني يجعلها آدم وذريته إلى قتل قابيل هابيل.

- القول الرابع: أنهم بنو آدم حين استخرجوا من ظهر آدم فأقروا لربهم بالوحدانية، وقـــد نقل ذلك عن أبي بن كعب وابن زيد. قال أبي:" كانوا أمة واحدة حيث عرضـــوا علـــى آدم، ففطرهم يومئذ على الإسلام، وأقروا له بالعبودية، وكانوا أمة واحدة مسلمين كلهم، ثم اختلفوا من بعد آدم، فكـــان أبي يقـــرأ:﴿ [illegible] ﴾ إلى ﴿ [illegible] ﴾، وإن الله إنما بعث الرســـل

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 31/3.

[2] نفسه.

[3] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 229/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وأنزل الكتب عند الاختلاف "[1]، وقال ابن زيد في قوله:﴿♦♌🔔☒✍ ✂♏🏵︎♏❒☾❒📖⬆✌❒❒☾ ❒◆🕓■♎⑨☐❒☾﴾: "حين أخرجهم من ظهر آدم، لم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم "[2].

فعلى هذا القول الأمة جميع الناس، وأنهم كانوا أمة واحدة يوم استخرجهم الله عز وجل من ظهر آدم فأشهدهم فشهدوا أنه ربهم، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:﴿ ❒◆☽♋♐❶⬂ 📖❒✿⬧⓿☒ ❻◆✍⑩🖮☐ ✌♎♊✍ ✍♉◆♈♐♐✗ ⬀◆✂⑩☐🏳︎◆ ✌♎♊ ←→♑←❑❻♐♎♎⬄ ⓿⬂❑ ✹☺◆♎⬋☠⬀ ❒◆📖❒✹⇧♎❑⑨☐♎➔☠⬀ ➔⓿⬂⓿☒⓿⬂⓿☒ ...﴾[3].

قال ابن عباس:" مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا –وأشار بيده–، فأخذ مواثيقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى "[4].

– القول الخامس: أنهم نوح ومن كان معه في السفينة؛ كانوا مسلمين وبعد وفاة نوح اختلفوا، وبه قال الواقدي والكلبي.[5]

– القول السادس: أنهم الذين كانوا مجتمعين على الكفر وذلك في عهد إبراهيم[6]، أو قبل بعثة نوح[7]، وقد روي هذا القول أيضا عن ابن عباس.[8]

---

[1] ابن جرير، جامع البيان 335/2.

[2] نفسه.

[3] الأعراف: 172.

[4] ابن جرير، جامع البيان 111/9.

[5] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 31/3.

[6] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 229/1، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن 30/3

[7] القرطبي، نفسه.

[8] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 251/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهذا القول –خلافا للأقوال السابقة- يجعلهم مجتمعين على الكفر، وأما سائر الأقوال الأخرى على اختلافها فتجعلهم جميعا مجتمعين على الإيمان.

- وقد ذكر القرطبي احتمالا آخر وهو ألا تفيد " كان " معنى الماضي، بل تفيد معنى الثبوت، قال:" ويحتمل أن تكون كان للثبوت والمراد الإخبار عن الناس الذين هم الجنس كله أنهم أمة واحدة في خلوهم عن الشرائع وجهلهم بالحقائق، لولا من الله عليهم وتفضله بالرسل إليهم، فلا يختص كان على هذا التأويل بالمضي فقط بل معناه معنى قوله:﴿ وكان الله غفورا رحيما﴾"[1].

فتكون الأمة على هذا القول جميع الناس؛ لولا أن من الله عليهم ببعثة الرسل لكانوا جميعا أمة واحدة جاهلة بالحقائق خالية من الشرائع.

ويلاحظ أن خمسا من الأقوال الستة تجعل ما كان يجمع الناس الإيمان، مع أن السياق يوحي بأنه الكفر؛ وذلك أن ظاهر ما يفهم من قوله تعالى:﴿ [illegible] ﴾: أنهم لما كفروا واجتمعوا على الكفر بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، ولذلك فمن يقول بأنهم كانوا مجتمعين على الإيمان لا بد أن يقدر في الكلام محذوفا هو:" كان الناس أمة واحدة، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " كما هي قراءة عبد الله بن مسعود[2]، قال القرطبي:" ودل على هذا الحدث ﴿ [illegible] ﴾: أي كان الناس على دين الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين من أطاع ومنذرين من عصى "[3].

وقد رجح ابن جرير أنهم كانوا مجتمعين على الإيمان، قال:" وأولى التأويلات في هذه الآية بالصواب أن يقال إن الله عز وجل أخبر عباده أن الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 30/3.

[2] ابن جرير، جامع البيان 334/2.

[3] الجامع لأحكام القرآن 30/3.

وملة واحدة ... وكان الدين الذي كانوا عليه دين الحق كما قال أبي بن كعب ... فاختلفوا في دينهم، فبعث الله عند اختلافهم في دينهم النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه رحمة منه جل ذكره بخلقه، واعتذارا منه إليهم ... "[1]

ثم استدل على ذلك بآية سورة يونس التي نصت على أن الناس كانوا أمة واحدة ثم اختلفوا، وقد تضمنت الآية الوعيد على هذا الاختلاف مما يدل على أنه اختلاف بسبب اتباع الباطل وأنهم كانوا مجتمعين على الهدى، ولو كان اختلافهم بسبب اعتناق بعضهم للحق بعد أن كانوا مجتمعين على الباطل لكان الوعد هو الأوفق لا الوعيد، قال:" وذلك أن الله –جل وعز– قال في السورة التي يذكر فيها يونس:﴿❏◆👌◆✍
☪❑❑👌⬆🕮 ✌⬥⌧✆ ⬇❑✍❑✡👁✍✂ ⬥♌🔔☒📪
☎✂❑➔▦■🖫⬥☞⬀⌘✍✍⬩▫ ☪❑⍓⑨♉❍🕔◆❑
⇳💣⬥✆⬥🖮⍓♒ ⮜❑⍓☺♑🖫⬩🖹 ⬥⬥⬀❑⬥👁◆❑ 🗐
⌘♓⬁♓➔✆⬥👁 ♏①♑♓📭⓿❻ ♊♉👌
♉❍⑩♉▫ ✍⍓☺⑩♉▫ ⬄🏱⬅♑❑✡⬃❹⬥📭
⑥⬥③⬂☞⬥🖫♑▦➔❑♍♏ ⬀♐⬀⬂⬁ ﴾[2]، فتوعد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع ولا على كونهم أمة واحدة، ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان، ولو كان ذلك كذلك لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد، لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك "[3].

فرجح أن اجتماعهم كان على الإيمان لا على الكفر، ثم اختلفوا بسبب كفر من كفر منهم، وأما متى كان ذلك: ما بين آدم ونوح، أو حين استخرجوا من ظهر آدم، أو في

---

[1] جامع البيان 336/2.

[2] يونس: 19.

[3] ابن جرير، جامع البيان 337/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقت غير ذلك، فهو يتوقف فيه لأنه لم يجد مرجحا من الكتاب أو السنة، قال:"وقد يجوز أن يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه أمة واحدة من عهد آدم إلى عهد نوح عليهما السلام، كما روى عكرمة عن ابن عباس وكما قاله قتادة، وجائز أن يكون كان ذلك حين عرض على آدم خلقه، وجائز أن يكون كان ذلك في وقت غير ذلك، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة على أي هذه الأوقات كان ذلك، فغير جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل من أن الناس كانوا أمة واحدة فبعث الله فيهم لما اختلفوا الأنبياء والرسل، ولا يضرنا الجهل بوقت ذلك كما لا ينفعنا العلم به إذا لم يكن العلم به لله طاعة، غير أنه أي ذلك كان؛ فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به"[1].

وأما ابن كثير فيرجح القول الأول من جهة السند ومن جهة المعنى، قال:" والقـــول الأول عن ابن عباس أصح سندا[2] ومعنى، لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصـــنام، فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، ولهذا قـــال تعـــــــــــالى: [illegible]

[illegible]: أي من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعـــضهم علـــى بعـــض [illegible]

[1] ابن جرير، جامع البيان 2/336-337.

[2] نفسه 2/334، و الحاكم ، المستدرك على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر النبي نوح صلى الله عليه وسلم 2/596، ح4009، وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⌘♊♑✌ ♑❍⑩♑▫ ☎✃❏➔▦■◘♦☞⬀⌘♐✃
✦✐♐✃◆❐ ▤ ◷♑❍♑☼⬂➊♒✉♒✍ ⇗♎✉⌂⬧⬂♏♐✃
💻⬇◷◆❸⬁◷ ▥❼■🖫♒☽ ↓↗✐♐♦⌖❑④ ♊♦✌ ❽♑⑨⇳♑♦③
✌⑩❍⇔✌♦☽⮲➚☹✍ ⮳▩⮲⌘⮰ ❁"[1] .

وعليه فإن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على الإيمان والتوحيد وأقاموا على ذلك مـــدة طويلة، ثم إنهم بدلوا دين الله الذي فطروا عليه وانحرفوا عن التوحيد فاختلفوا، فلما وقـــع ذلك، أرسل الله عز وجل إليهم يرسلا وأنزل معهم الكتاب حاكما بينهم وفاصلا فيمـــا اختلفوا فيه، وقد كان ذلك على الراجح قبل نوح عليه السلام لأنه أول رســـول أرسـل وكان الناس قبله موحدين قرونا طويلة، ثم طرأ عليهم الشرك والانحراف.

هذا عن مفهوم العقيدة، وعن كون التوحيد هو الأصل الذي كان الناس عليه مجتمعين ثم أحدثوا من بعده الشرك والكفر، فاختلفوا وتفرقوا، فما هي الفائدة التي جناها من أقـــام على التوحيد ومن خالف عنه، فذلك ما يُسعى للإجابة عنه في البابين المواليين.

[1] تفسير القرآن العظيم 251/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الباب الأول:

أثر العقيدة على الفرد من خلال القرآن الكريم

نتناول في هذا الباب تأ العقيدة على الفرد، انطلاقا مما نص عليه القرآن الكريم. ويتفرع الباب بناء على ذلك إلى فصول ثلاثة:

- **الفصل الأول**: أثر العقيدة على المستوى القلبي والفكري والعملي

- **الفصل الثاني**: أثر العقيدة على المستوى النفسي

- **الفصل الثالث**: آثار العقيدة الشرعية والقدرية

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الأول:

أثر العقيدة على المستوى القلبي والفكري والعملي:

لم يرد لفظ العقل[1] في القرآن الكريم، وإنما ورد لفظ " القلب "، غير أنه قد استعمل في الدلالة على الفؤاد وعلى العقل معا[2]، وهو مستعمل في كليهما. قال الفيروزآبادي:"القلب الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل. وقال الفراء[3] في قوله تعالى:﴿❼♑× □♌♑◑ ♦♌♔⌧✍ ♊⍓☺♑♏ ▤❽♦❷⇩▤♑♔♦✎ ⍓⌨♑♏◷♦❶ ⍓➚⇧☺○○♏✍✂ ❼♦✉⬀♏❐🕮 ⬃❐❐🕮 ⬉▥▫▥♦♔ ⏀⬅❍♦♏ ❐◆⬃♎◆❐➔□◆ ⅄⌧♍♑⓿⓽⌀ ⬀⌀⌘⬁﴾[4]: أي عقل. يقال: ما قلبك معك، أي ما عقلك "[5].

فإطلاق لفظ " القلب " ينصرف معه الذهن أولا إلى الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل –كما يقول الفيروزآبادي–، وقد ضرب لذلك مثلا بقوله تعالى:﴿❼♑× □♌♑◑ ♦♌♔⌧✍ ♊⍓☺♑♏ ▤❽♦❷⇩▤♑♔♦✎ ⍓⌨♑♏◷♦❶ ⍓➚⇧☺○○♏✍✂ ❼♦✉⬀♏❐🕮 ⬃❐❐🕮 ⬉▥▫▥♦♔ ⏀⬅❍♦♏

---

[1] جاء في لسان العرب:" العقل: الحجر والنهى ضد الحمق والجمع عقول، وفي حديث عمرو بن العاص:" تلك عقول كادها بارئها أي أرادها بسوء. عقل يعقل عقلا و معقولا وهو مصدر، قال سيبويه: هو صفة، وكان يقول: إن المصدر لا يأتي على وزن مفعول البتة ويتأول المعقول فيقول كأنه عقل له شيء أي حبس عليه عقله وأيد وشدد، قال: ويستغني بهذا عن المفعول الذي يكون مصدرا، وأنشد ابن بري فقد أفادت لهم حلما وموعظة لمن يكون له إرب ومعقول، وعقل فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء. ابن الأنباري: رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، و المعقول ما تعقله بقلبك، و المعقول العقل، يقال: ما له معقول أي عقل وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالميسور والمعسور، و عاقله فعقله يعقله بالضم: كان أعقل منه، و العقل التثبت في الأمور، والعقل القلب والقلب العقل، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل ". انظر: ابن منظور، لسان العرب ج: 11، ص: 458.

[2] " لفظ العقل اسم ليس له وجود في القرآن الكريم، وإنما استخدم القرآن الكريم ما تصرف منه بصيغة الفعل ... ". سلمان زيد سلمان اليماني، القلب ووظائفه في الكتاب والسنة، ص64، دار ابن القيم، الدمام، ط1: 1414-1994.
وما تصرف منه حصره في صيغ أربعة: تعقلون، نعقل، يعقلها يعقلون " نفسه.

[3] انظر : أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: د عبد الفتاح إسماعيل شلبي 80/3، دار السرور د ت ط.

[4] ق : 37.

[5] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 288/4، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية بيروت، د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

❒◆♎➔❒◆ ⅄☒♑⚬⓿⑨ℬ ⬀ℬℬ⌘◫ ﴾ مستندا إلى تفسير الفراء له بالعقل.

وقد جاء في القرآن الكريم استعمال بعض لوازم العقل في القلب، مما يؤكد بأن المقصود به العقل، وذلك كما في قوله تعالى:﴿❒◆♎⬧☽⬧⑨⇧ ❶⬧❻◆🕮▫☼◆✍
♎ℬ☒◻ℬ☒✡◻ℬ⌘ ▤⬧⌖❷❸☾✁ ✌ℵℬ⇗☛
❒◆✁✍☜❝❝✰☼▪↳ ☎ ▭❍●←☠⇙
✁♎⬂☈♑⬀♊♎⬂ ❒◆☜◫⇧▤⚠ ⬧◆ ❶◆⬥◫♑⑧♑➔
❒◆ℬ➔♎↖✓↖✗≺ ◆⬧ ❸↖⌨⇗⬂⬀❸←❒ℰ◆
◆⬧ ⬈◆✁❶⬧✁ℰ≺ ❒◆▭❍●←☠⇙ ✍❒⚠ℬ
🕮⬆❒♁☜⬧☽⌚✵⬦ℬ⌨◻ ▯ ✏✍❒⚠ℬ ◆ℰ❒↖➔◆☺⬄❍❒④
▯ ❻⬂✿⬂❒🕮 ⇗☠➔♎ ⇗⬂◆⬂ ⬘⚐☽◻➔⬃☼☞❁✍♎☒⬂
☞♍❒➔◨ℬ⊞☽◆⬄⬂♑✍✁ ↖☠➔♎ ◻⌨ℬ⬦✵☽⬧☽❒⬆🕮
⬀ℬℬ⬄⬂⌘﴿[1] .

والقلوب في الآية "اسم لموقع العقول "[2]، وقد دل على ذلك وصف الآية لها بأنها لا تفقه، أي أحد لوازم العقل.

وأما القلب فهو" في الأصل مصدر قلبت الشيء أقلبه قلبا إذا رددته على بداءته، وقلبت الإناء رددته على وجهه، ثم نقل هذا اللفظ فسمي به هذا العضو الذي هو أشرف الحيوان لسرعة الخواطر إليه ولترددها عليه، كما قيل:

ما سمي القلب إلا من تقلبـــــه   فاحذر على القلب من قلب وتحويل "[3].

"... وخالص كل شيء وأشرفه قلبه "[4].

" وهو في الأصل مصدر سمي به الجسم الصنوبري المودع في التجويف الأيسر من الصدر، وهو مشرق اللطيفة الإنسانية، ويطلق على نفس اللطيفة النورانية الربانية العالمة التي هي مهبط الأنوار الصمدانية، وبها يكون الإنسان إنسانا، وبها يستعد لاكتساب الأوامر واجتناب الزواجر، وهي خلاصة تولدت من الروح الروحاني، ويعبر عنها الحكيم بالنفس

[1] الأعراف: 179

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 183/9، الدار التونسية للنشر، تونس-المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

[3] القرطبي، الجامع أحكام القرآن187/1.

[4] نفسه

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الناطقة، ولكونها هدف سهام القهر واللطف، ومظهر الجمال والجلال، ومنشأ البسط والقبض، ومبدأ المحو والصحو، ومنبع الأخلاق المرضية والأحوال الردية، وقلما تستقر على حال وتستمر على منوال، سميت قلبا فهي متقلبة في أمره ومنقلبة "[1].

ويراد بالقلب " المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، التي جوفها علقة سوداء ... ، وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقا، فإن قلب الشيء باطنه، كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ... "[2].

قال الفيروزآبادي:" وقيل: القلب ورد في القرآن الكريم على ثلاثة معان:

الأول: بمعنى العقل:﴿[illegible]﴾[3].

الثاني: بمعنى الرأي والتدبير:﴿[illegible]﴾[4].

الثالث: بمعنى حقيقة القلب الذي في الصدر:﴿[illegible]﴾[5]"[6].

والصدر قريب معناه من القلب، قال الراغب الأصفهاني:" قال بعض الحكماء: حيث ما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم، نحو ﴿[illegible]﴾، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها، وقوله:﴿[illegible]﴾[7] فسؤال لإصلاح

---

[1] أبو الفضل محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني 134/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت ط.

[2] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى 303/9، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، دار ابن تيمية د ت ط.

[3] ق:37.

[4] الحشر: 14.

[5] الحج: 46.

[6] الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 289/4.

[7] طه: 22.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قواه، وكذلك قوله:﴿🕒→⑨→❒❻◆ 🔔⬧❑⬀✈⌨ ✌⑩⬧⬃✌ ⧫☪⧫✓▫➔﴾ ⬀⬂⬁⬄ ﴿[1] إشارة إلى اشتفائهم، وقوله:﴿▫⬧✉⧫✠❑&❑✍ ⬥⬥ ✍✂♏☸☞✍✎⬀🕔✿🕒❷⇖ ❒◆⬧♏⬥🕔▤⬁♊ ✍⬀➔⬧⬀☺⍓❻ ✂✍♏⬧⬏☹⬇⬄⬀ ✂✍♏⬧🕔➔⬛➔❒🕔➲ ✍⬀➔⬧⬀☺⍓❻ ⬏✗⧫❼ ✂✍♏⬧🕐❺⑨→❒❻⬀ ⬀⬂⬀⬁⬄﴾[2]: أي العقول التي هي مندرسة فيما بين سائر القوى وليست بمهتدية، والله أعلم بذلك وبوجه الصواب فيه"[3].

و " القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر قال الله تعالى:﴿🗎⬥⓿☒🕔♏⬧⌨⍓ ♏⬧⬀☪⬧⇖⬥⌨⬥❍⧫☀✽ ✍⧫❍⬧🕔 ▫➔⬥☒✂⑩⍓⍓☒﴾[4]، وقال:﴿📖❒♏⬧⬥⇔ ⬥■⌑⇕❸◆⍓⬀ ♏⬧⌨⍓ 🕒✽⑨⇕❻◆⍓☒ ⬀⬂⬁﴾[5]

يعني في الموضعين قلبك، وقد يعبر به عن العقل، قال الله تعالى:﴿➒⬏⧫♌❑ ✗⧫❼ ⬥❶🕔♏⬧⌨⍓ 🖉⬥🔔⬧🖹⇩❷◆❽▤ ♏⬧⬀☺⍓♊ ✍☒🔔♌◆ ♏⬥❍➔⍓ 🔔⬥🖬▫🖬⇖﴾[6]: أي عقل لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين، والفؤاد محل القلب، والصدر محل الفؤاد والله أعلم"[7].

إذا فلفظ القلب يطلق ويراد به القلب المعتقد حينا، ويطلق في القرآن الكريم ويراد به القلب المفكر: أي العقل. وقد اختلف في محل الفكر هل هو العقل أو القلب استنادا إلى أن القرآن الكريم لم يذكر إلا القلب، فقال أكثر الفقهاء والمفسرين:" القلب موضع الفكر "[8]، وهو:" ... محل القوة العاقلة من الفؤاد "[9].

---

[1] التوبة : 14.

[2] الحج: 46.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ص477-478، دار القلم، دمشق، ط2: 1423-2002.

[4] الفرقان: 32.

[5] الشرح: 1.

[6] ق:37.

[7] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 89/1.

[8] الجامع لأحكام القرآن 187/1.

[9] محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بـتفسير أبي السعود ج: 1 ص: 37، دار إحياء التراث العربي، بيروت د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و" أكثر الفقهاء وأقل الفلاسفة على أن العقل في القلب، وأقل الفقهاء وأكثر الفلاسفة على أنه في الدماغ، محتجين بأنه إذا أصاب الدماغ آفة فسد العقل وبطلت العلوم والأنظار والفكر وأحوال النفس [1]، وأجيب بأن استقامة الدماغ لعلها شرط، والشيء قد يفسد لفساد محله وقد يفسد لفساد شرطه، ومع الاحتمال فلا جزم، بل النصوص واردة بأن ذلك في القلب كقوله تعالى: ❁📖❒▫♦◘■⚐⬄ ④❒❍⬁❷❸⬅❒✄☎ ✗⌖❼

✄☏❁☞❻⬀⊽⬁ ▫♦☝♦▤⬈❒♌♦ ▭◯●⬅☠⬀ 🔔➔◘➔❒⚇⊘

③♦➔⬃◑⬃▯⚐⚐❒♦ 📖❒❒⬃ ⬈♦✄❶♦✄♌⊲

④❒◯⬄☺⍓➔⬉❒♌♦ ▯⚐⚐❒☏ ☎ ❁،[2] ❁◑⌖♌❒ ✗⌖❼

❶♦◷☊⚐▦🔔♦▤⇩❷♦❽▤ ☊⚐▦⍓ ⚱☺⍓⌶ ✉⊠🔔♌♦

☊◯⬅◑ 🔔♦◘▫◘⬉ ،[3] ❁▤♦☞♦◘❀ ✗⌖❼

🔔➔◘➔❒▯⚐⚐☠⬉ ✄⚐"✺●③☺⍓◷⌶⌘ ❁،[4] ❁📖❒▫♦☺⍓⌶

⌖•❸♦⍓⍓ ✄⚐✎✦ ◷✿⑨⇳❻♦■⬅◷ ☊⚐"✺●∝⬄◘■◷⚐⚐

❁[5]، ولم يذكر الدماغ قط في هذه المواضع، فدل على أن محل العقل القلب لا الدماغ، وجعل الله تعالى في مجاري عادته استقامة الدماغ شرطا في حصول أحوال العقل والقلب على وجه الاستقامة"[6].

قال ابن تيمية:" وعلى هذا، فإذا أريد بالقلب هذا [أي باطن الإنسان] فالعقل متعلق بدماغه أيضا، ولهذا قيل إن العقل في الدماغ، كما يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب، فإذا اكتمل انتهى إلى الدماغ. والتحقيق: أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب، والعقل يراد

---

[1] لقد اكتشف حديثا أن القلب ليس مجرد مضخة للدماء، بل هو مركز عقل وتعقل، وأن في القلب هرمونات عاقلة ترسل رسائل عاقلة إلى الجسم كله، وما تزال البحوث في بداياتها. انظر: يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص152-153، مكتبة ابن حجر، دمشق: ط2: 1424-2003.

[2] الحج : 46.

[3] ق:37.

[4] المجادلة : 22.

[5] الزمر : 22.

[6] أحمد بن إدريس المالكي، الأمنية في إدراك النية ص17، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1984.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريدا إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصورا، فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح ... "[1].

فابن تيمية يشير هنا إلى وجود علاقة ما بين القلب والعقل، وهو ذات ما يشير إليه الألوسي، قال:" وتسمية الجسم المعروف قلبا إذا أمعنت النظر ليس إلا لتقلب هاتيك اللطيفة المشرقة عليه لأنه العضو الرئيس الذي هو منشأ الحرارة الغريزية الممدة للجسد كله، ويكنى بصلاحه وفساده عن صلاح هاتيك اللطيفة وفسادها لما بينهما من التعلق الذي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، وكأنه لهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم:" **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب**"[2]، وكثير من الناس ذهب إلى أن تلك المضغة هي محل العلم، وقيل إنه في الدماغ،

قيل إنه مشترك بينهما وبنى ذلك على إثبات الحواس الباطنة، والكلام فيها مشهور، ومن راجع وجد أنه أدرك أن بين الدماغ والقلب رابطة معنوية ومراجعة سرية لا ينكرها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[3]، لكن معرفة حقيقة ذلك متعززة كما هي متعذرة "[1].

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى 9/303-304.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه 1/28، ح52، دار ابن كثير، بيروت، ط3: 1407-1987.

وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات 3/1219، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت د ت ط.

[3] " لقد وجد العلماء في قلب المخ أنوية أو مناطق أو مراكز لها علاقة بالعواطف والأحاسيس والغرائز بل ولها علاقة بالذاكرة .

وأعطى العلماء لهذه المناطق أسماء وفقاً لشكلها أو وظائفها فسميت أحداها باللوزة لأنها تشبه اللوزة والأخرى بحصان البحر لأنها تشبه حصان البحر والثالثة بالذنار لما لها من شبه به...

ودارت الأبحاث الجادة والمضنية لكشف أسرار هذه المناطق واستخدم فيها الحيوان والإنسان تحت ظروف وأحوال فانكشفت حقائق مذهلة فلقد وجد العلماء أن قلب المخ يحمل مناطق مسئولة عن الإحساس بالألم وعن الشعور بالخوف والفرح والجنس والغضب بل ووجدوا أن بعض المناطق تتحكم في بعض أنواع الذاكرة .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذا تمهيد بين يدي قولنا إن هذا الفصل يبحث في أثر العقيدة في تشكيل قلب الإنسان وفكره وعمله، وقد يقع شيء من الالتباس إذا ما استنبطت بعض الآثار من نصوص وقعت الدلالة فيها على العقل مسمى باسم القلب، ويبقى إلحاقها بالآثار على العقل والفكر مما دلت عليه القرائن التي تقترن بها.

غير أنه من الضروري الإشارة إلى أن العقل ما عبر عنه بلفظ " القلب " في النصوص القرآنية، إلا وبينهما تلازم وارتباط؛ ذلك أن التصور الذي ينظر إلى العقل على أنه " آلة منطقية " تتبع عملية " آلية " في التفكير والاستنتاج وإصدار الأحكام، وتصدر أحكاما جافة خاضعة لمنطق حسابي دقيق تكون قريبة إلى الصحة ومطابقة للواقع في أغلب الأحيان، هو تصور غير صحيح؛ فإن العقل يتأثر بالمعتقدات والمعارف السابقة التي صاغت قوالب تفكيره، بل ويتأثر حتى بالحالة النفسية لصاحبه، وللإنسان أن يقارن نظرة شخصين إلى حدث واحد ليدرك الفارق الكامل بين حكمهما عليه ونظرتهما إليه.

من هذا المنطلق، نفهم أن القلب حاكم على العقل؛ فهو الذي يحدد له منهج تفكيره والخطوط الكبرى التي يتحرك ضمنها، ولعل ذلك أحد الأسباب التي عبر بها عن العقل بالقلب.

فإذا تقرر هذا، فإن هذا الفصل الأول يطرح تساؤلا مفاده: هل للمعتقد الذي يحمله الفرد تأثير ما يؤدي إلى رسوخ ما يعتقد؟ وهل له أثر على موازينه الفكرية التي يحكم بها على الأشياء؟ وهل له تأثير على الأعمال التي تصدر عنه؟

وملخص وظائف هذه المناطق:

1- اللوزة : له تأثير في التحكم في الاستجابات العدوانية .
2- حصان البحر : له علاقة واضحة وهامة بتخزين الذاكرة ويدو أن له علاقة بتكامل تذكر الأحداث القريبة .
3- الحاجز : له علاقة بالانفعال.
4- الميهاد : مصب الأحاسيس وله علاقة بالأحاسيس بالألم .
5- تحت الميهاد: يتسبب في شعورنا بالجوع والعطش وله هيمنة على جهاز الغدد الصماء ".

انظر: د. حسين رضوان اللبيدي، القرآن والتركيب التشريحي للمخ ص4، ضمن مجموعة بحوث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دبي، الإمارات العربية المتحدة 2003م، إصدار الهيئة العامة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

[1] روح المعاني 135/1

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ذلك ما يرام الإجابة عليه في هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على المستوى القلبي والفكري والعملي.

المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على المستوى القلبي والفكري والعملي.

المبحث الأول:

أثر العقيدة الصحيحة على المستوى القلبي والفكري والعملي

الإيمان تصديق عقلي يفترض أن يكون ناشئا عن دليل، يبلغ درجة اليقين فينغرس ويستقر في القلب، وهو تصديق بجملة من المعارف الغيبية التي لا سبيل للحواس إلى إدراكها، ولعل ذلك ما أشار إليه قوله تعالى: ✾✂◉ᘐ✎⚐ᔕ ⇧⇩⇦ ➊⬩🕓◉ᘐ♉⌨⌂ ✂ᔕ◉ᘐ⇘⌛⇖☝⬧🕓⬛⮌ ⬩⬩ ❻◆③⬁⬛✽ ○ ▫♉⓿❍♉ ○ ♎⮕⑨⌖❽ ◉ᘐℯ♉⬛▫☺⭠☞✸☽⬃⑩♊⌘ ✂ᔕ✎⬆🕭♉⇦✕⧫ ③⬉⬩⬁✌♉☾⬉❒♌⧫ ⬛✆♉ᔕᔕ◉ᘐ⬂⇔⧫⓿⬂⬛♂... ✾[1].

هذا التصديق يترجم عنه اللسان حين ينطق بالشهادتين؛ اللتان لا تعنيان تصديق الإنسان فقط بهذا الغيب، ولكن توقيعه لعقد الخضوع الكامل لله الذي لا إله إلا هو واستجابته واتباعه لجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الذي صدق بنبوته، وفصله القرآن ثم السنة. فهل لهذا الإيمان آثار على قلب من اعتنقه وعلى فكره وأعماله؟

[1] البقرة: 1-2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

1- أثر الإيمان على المستوى القلبي:

إذا نظرنا في نصوص القرآن الكريم وجدنا أنه قد نص على أن الإيمان يزيد، كما قال تعالى في سورة الفتح:﴿♎➔❑◆ ✃☞✍⅄🔔⚡❽✓ 🕮❑☼❽◆✌◆
✃☞☜❍❍▤⬁⓿☼❑❑⬩ ❼⚡× 🔔➔🖬➔❑☹☞
✃☞☜❍☺⬃⬩☝⚡☪⚡✓×◆ ☜❷⌘❾⬀⑩⍓✃⑩🡐❑⊞▦✃☎
✌⍓☐🡕⍓ ⨀⑂③☺⍓⑂☪✡☞ ⨀⑂③☺⍓⑂☸⬀⚘⚘⚤☠⬁ ▤﴾[1].

فنصت الآية على أن الله عز وجل أنزل السكينة: أي " ... الثبات والطمأنينة ﴿❼⚡× 🔔➔🖬➔❑☹☞ ✃☞☜❍☺⬃⬩☝⚡☪⚡✓×◆﴾ حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الأقدام، ﴿☜❷⌘❾⬀⑩⍓✃⑩🡐❑⊞▦✃☎ ✌⍓☐🡕⍓ ⨀⑂③☺⍓⑂☪✡☞ ⨀⑂③☺⍓⑂☸⬀⚘⚘⚤☠⬁ ▤﴾: يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها، أو نزل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا إيمانا بالشرائع مع إيمانهم بالله واليوم الآخر "[2].

والآية تبين بوضوح أن إنزال السكينة سببه أن يزداد أهل الإيمان " ... إيمانا منضما إلى إيمانهم الحاصل لهم من قبل "[3]، وهو نص صريح على أن الإيمان يزيد ويترقى الإنسان في درجاته، وأما معنى هذه الزيادة فــ " قال الكلبي: كلما نزلت آية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقا إلى تصديقهم، وقال الربيع بن أنس: خشية مع خشيتهم، وقال الضحاك يقينا مع يقينهم "[4].

وكما نص القرآن الكريم على زيادة الإيمان في قلوب المؤمنين، فقد نص أيضا في أكثر من آية على أن الله عز وجل يزيد أهل الهدى هداية:

فمن ذلك قوله تعالى في سورة مريم:﴿❑◆③◆❽⌧③⑨🡐 ✃☞✍✦
✃☞✍⅄🔔⚡⇦▫⚯ ✃☞♎☟⑨◆⍓☐⍓✃☎ ♎➔⑨⌖❽ ▤
❑◆✃☞☜❍⬃⌛◆⍓⍓☹⓿◆⍓⁂🡒 ✃☞☜❍⍓Ｏ⍓🖬⚡⬩◻⍓⁂🡒

---

[1] الفتح: 4.

[2] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 200/5 دار الفكر، بيروت: 1416-1996.

[3] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع لفني الرواية والدراية من علم التفسير 45/5، دار الفكر، بيروت د ت ط.

[4] نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⌘☐❷⬀❸➘ ⇖✍☾⑨☐ ❻◆✉■✍⌨☐ ⚐❐❐◆✂✉ॐ✍
❐◆⌘☐❷⬀❸⮜ ✌☐❷◆⑩⑦✂ ⬀✍✍⬅❁[1].

فقررت الآية أمرين:

- أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى يزيد أهل الهداية هدى.
- والثاني: أن الباقيات الصالحات –وهي التسبيح والحمد والثناء على الله عز وجل وسائر القربات[2]– أبقى وأرجى عند الله جل وعلا مرجعا يوم القيامة.
- وارتباط الأمرين في الآية يدل على علاقة تجمع بينهما –سيرد الحديث عنها إن شاء الله تعالى–.

وكما في سورة مريم يتكرر النص على زيادة المهتدين هدى في سورة محمد، قال تعالى: ❁❐◆✂✍✍⅄⍾✍×◆ ✂✍♎⬀✌◆⑨☐❐⬀✂☎
⇔⚐➔♎☐⑩✂☐✍ ❽⌖⑨➔♎ ❐◆⬈◆✂✍♦◉♑⬅☠⬀
✍♦☽⬂❐◆🗁♑⬅⚐⇔ ⬀✍✍⬅❁[3].

وهذه الآية فيها فوق النص على زيادة الهدى إيتاء التقوى. وقد ذكر في معنى زيادة الهدى خمسة أقوال:[4]

1- أن الله يزيد الذين اهتدوا بالتوحيد إيمانا. قال ابن جرير:" ويزيد الله من سلك قصد المحجة واهتدى لسبيل الرشد، فآمن بربه، وصدق بآياته، فعمل بما أمره به وانتهى عما نهاه عنه، هدى بما يتجدد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه، ويقر بلزوم فرضها إياه ويعمل بها فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه ".[5] فجعل الزيادة هنا تجدد الإيمان بالفرائض والعمل بها، فتكون زيادة الإيمان تجدده عند كل فرض.

---

[1] مريم : 76.

[2] انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن253/15، دار الفكر، بيروت: 1405، وانظر كتاب: جزء في تفسير الباقيات الصالحات، لأبي سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلدي، تحقيق: بدر الزمان محمد شفيع النيبالي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1: 1987.

[3] محمد: 17.

[4] أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير 259/5، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3: 1404.

[5] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن 119/16.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقال محمد سيد طنطاوي:" ... ويزيد الله تعالى المهتدين إلى طريق الحق هداية على هدايتهم، بأن يثبتهم عليه"[1]. فالزيادة عنده التثبيت على الحق.

وقال وهبة الزحيلي:" ... إن الله يزيد المهتدين إلى الإيمان توفيقا وهدى للخير، لأن الخير يدعو إلى الخير "[2]. فتتضمن الزيادة على هذا القول أمرين: أحدهما: زيادة اليقين، والثاني: التوفيق للخير، وهو متفرع عن زيادة اليقين.

2- يزيدهم بصيرة في دينهم .

3- يزيدهم بزيادة الوحي إيمانا فكلما نزلت سورة زاد إيماهم.

ويلاحظ أنه يمكن إدراج هذين القولين ضمن القول الأول.

4- يزيدهم إيمانا بالناسخ والمنسوخ.

5- يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ.

كذا جعلهما ابن الجوزي قولين، وجعل ابن جرير أحدهما تفسيرا للآخر فقال:" وقد كان بعضهم يتأول ذلك ويزيد الله الذين اهتدوا هدى بناسخ القرآن ومنسوخه، فيؤمن بالناسخ كما آمن من قبل بالمنسوخ، فذلك زيادة هدى من الله له على هداه من قبل "[3].

والذي يهمنا من هذه الأقوال الخمسة جميعها أنه كلها أثبتت أثرا للاهتداء في قلب صاحبه، سواء أكان هذا الاهتداء بتجدد الإيمان، أو بزيادة اليقين، أو بالتثبيت عليه، أو بالإيمان بما يترل مرة بعد مرة والعمل بجميعه أو غير ذلك.

على أن الآيات السابقة قد استدل بها الإمام البخاري في فاتحة كتاب الإيمان من صحيحه على تقرير زيادة الإيمان ونقصانه فيما استدل به من آيات، قال:" كتاب الإيمان ... وهو قول وفعل، ويزيد وينقص. قال الله تعالى:﴿ليزدادوا إيمانا مع إيماهم-وزدناهم هدى-ويزيد الله الذين اهتدوا هدى-والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ ... "[4].

---

1 محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم 79/9، مطبعة السعادة: 1404-1984.

2 وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج 153/16، دار الفكر المعاصر، بيروت-دار الفكر، دمشق، ط1: 1411-1999.

3 جامع البيان 119/16-120.

4 صحيح البخاري 11/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومفهوم ذلك أنه يجعل زيادة الهدى زيادة الإيمان، وهذه المسألة اختلف فيها الناس، فقال بها –أي بزيادة الإيمان ونقصانه– جمهور الصحابة والتابعين وهو قول أهل السنة والجماعة[1]، قال ابن حجر:" وأنكر ذلك أكثر المتكلمين وقالوا متى قبل ذلك كان شكا"[2].
وليس هذا موضع بسط المذاهب العقدية ومناقشة أدلتها، ومع ذلك فإن ظاهر القرآن مؤيد لمذهب الأسلم والأعلم من فقهاء هذه الأمة وخيارها، فلا ريب أن الإيمان يزيد وينقص، وذلك أمر يحسه المرء من نفسه، ويترجم عنه لسان الأمي والعامي قبل الفقيه والعالم، وأقل ما يقال في ذلك أن زيادة حضور صورة تلك الحقائق الغيبية في نفس الإنسان تجعلها أكثر تأثيرا في أفكاره وأعماله، بل في حالته النفسية، وفي سكناته قبل حركاته، ولا ريب أن قوة هذا الحضور وزيادة هذا الشعور تزيد في ضبط أفكار الإنسان وأقواله وأفعاله، وكل ذلك زيادة إيمان وزيادة هدى.
وقد ذكرت آية سورة محمد إلى جانب زيادة الهدى أمرا آخر، وهو إتيان التقوى:❁❒◆✂✍✎⍓⍓✖◆ ✂✍⎐⑨◆⍓⍓☎
⚇⍓⑩✂⍓⚐⇔ ⎐➔⑨✝❽ ❒◆➚◆✂✍♦⑨♑←☠⬀
✍♦❾⬂❒◆⍓♑←⚐⇔ ⬀⍓⇘⇚❁.
قال الشوكاني:" أي ألهمهم إياها وأعانهم عليها، والتقوى قال الربيع: هي الخشية، وقال السدي: هي ثواب الآخرة، وقال مقاتل: هي التوفيق للعمل الذي يرضاه، وقيل: العمل بالناسخ وترك المنسوخ، وقيل: ترك الرخص والأخذ بالعزائم "[3].
فالشوكاني يقرر هنا أن إتيانهم التقوى هو إلهامهم إياها وإعانتهم عليها، أما التقوى فقد ذكر في معناها أقوالا خمسة:
1- أنها الخشية.
2- ثواب الآخرة.
3- التوفيق للعمل المرضي.

[1] انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 47/1، دار المعرفة بيروت، د ت ط.
[2] نفسه 46/1.
[3] فتح القدير 35/5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

4- العمل بالناسخ وترك المنسوخ.

5- ترك الرخص والعمل بالعزائم.

والنظر في هذه الأقوال الخمسة يبرز أن الثلاثة الأخيرة منها تتعلق بالعمل، أما القول الأول فمتعلق بشيء قلبي. وأما القول الثاني ففيه نوع من الغرابة، ولعل معناه أنه آتاهم يوم القيامة ثواب تقواهم، فلا يكون تفسيرا لمعنى التقوى –أعني معناها ككلمة في السياق- وإنما بيانا لمعنى السياق بتقدير محذوف فيه هو " آتاهم ثواب تقواهم ".

وأما القول الرابع –أي العمل بالناسخ وترك المنسوخ- ومثله ترك الرخص والأخذ بالعزائم –وهو القول الخامس-، فلعله جرى إلى القائل به من ارتباط إتيان التقوى في السياق بزيادة الهدى، وقد تقدم قول من قال: إن زيادة الهدى: الإيمان والعمل بالناسخ والمنسوخ، ولعل من جعل العمل بالعزائم وترك الرخص ترق في التقوى جرى على ذلك أيضا، رغم أنها مسألة خلافية؛ فمن الأصوليين من يقول: إن الأخذ بالرخصة أفضل من الأخذ بالعزيمة[1]، فالتشديد على النفس طلبا لرضوان الله بالأخذ بالعزيمة مع إمكان الأخذ بالرخص –على هذا القول- ترق في الطاعة، وهو زيادة الهدى وبلوغ التقوى .

وأما القول الثالث: –التوفيق للعمل المرضي- فيبدو أن المقصود منه التوفيق للأعمال الصالحة، ولأعمال الجوارح منها خاصة، رغم أن العمل المرضي قد يكون من أعمال الجوارح كما قد يكون من أعمال القلوب.

فخلص من هذه الأقوال الخمسة قول واحد فقط –وهو القول الأول-؛ يجعل المسألة مرتبطة بشيء في القلب: أي الخشية، وإن كانت الخشية أيضا تنتج عنها أعمال للجوارح يظهر تأثيرها فيها، وذلك للترابط الوثيق بين ما في القلب وما يبدو على الجوارح –كما سيأتي إن شاء الله-، وتكون الخشية هنا من باب عطف الخاص على العام لأن زيادة الهدى تشملها، أو تكون زيادة الهدى شيئا مغايرا للخشية.

[1] لمزيد من التفصيل انظر المبحث السابع من الفصل الأول من كتاب الدكتور عمر عبد الله كامل ، الرخصة الشرعية في الأصول والقواعد الفقهية ص97-115، المكتبة المكية-دار ابن حزم، ط1: 1420-1999.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد جاء في سورة الحجرات ما يدل على أن الإنسان قد يكون في مرحلة ما مسلما ولا إيمان له، ثم يدخل الإيمان في قلبه، قال تعالى:﴿⚇♦⌘☜♦❍⚆⚑ ✁☺❀☜✌⇑❹❀✁⟲ ➚✦✁☐✡♦✁☞ ☎ ♎➔❍⚇✁ ☐♦⚇☎♦☐⌛☷♎ ☎✁☐↖◷⚇✌⇗♦➔✍ ➚✍⌘⇑⑨♦③ ☞⚇☺⚇♦☐ ☞☐✡⇑☺■⚇⇔♎☐📖 ♌♏♦☐ ☎ ➚☠☷⚇✉☐➔⚇➔♎ ❼⚇× ←♊☉◳☺③●✁ ●♦ ⏀↖📖♦✎☐←♎♦❻♦☐ ⅄✎☞✁ ☎✁☐↖➔⓿⚇⚈➔✍ ⬀☠➚☷⚇⚇☉◳☺⇕↖☐📖 ⇕♊⚇♓✌ ☠➚☷⬃☝⚇⚇♦③ ⌧❻☐➔▦⌧➘ ⅄✎☞✁ ☐♌⚇☽ 🗐 ☞◷★⬂⓿⌧⅄ ❻▪❍⚇➚☹➘ ⬀✍⊘⬂⬁ ﴾[1].

فقد نفت الآية عن هؤلاء المذكورين ما زعموا من الإيمان، وأمرهم أن يقولوا بدلا من ذلك:"أسلمنا"، ولذلك فقد اختلف فيهم؛ فقالت طائفة: هم منافقون، وقال آخرون: بل هم مسلمون لم يصلوا إلى حد الإيمان، ولكنهم ليسوا منافقين.[2] قال ابن تيمية:" وقال الجمهور من السلف والخلف: بل هؤلاء الذين وصفوا بالإسلام دون الإيمان، قد لا يكونون كفارا في الباطن بل معهم بعض الإسلام المقبول. وهؤلاء يقولون: الإسلام أوسع من الإيمان فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، ويقولون في قول النبي صلى الله عليه وسلم:" **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** "[3] أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ودوروا للإسلام دارة ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها وقالوا: إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر "[4].

واستدل على ذلك بآية الحجرات السالفة، قال:" فقد قال الله تعالى:﴿⬀☠⅄⌘☜ ♎➔❍⚇✁ ☐♦⚇☎♦☐⌛☷♎ ☎✁☐↖◷⚇✌⇗♦➔✍ ➚✍⌘⇑⑨♦③ ☞⚇☺⚇♦☐ ☞☐✡⇑☺■⚇⇔♎☐📖 ☎ ➚☠☷⚇✉☐➔⚇➔♎ ❼⚇× ←♊☉◳☺③●✁ ﴾، وهذا الحرف –أي "لما"– ينفى به ما قرب وجوده وانتظر وجوده، و لم يوجد بعد. فيقلول لمن

[1] الحجرات: 14

[2] انظر: تفسير ابن كثير 391/6.

[3] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان وزيادته ونفيه عن المتلبس بالمعصية 76/1، ح57.

[4] ابن تيمية، مجموع الفتاوى 476/7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ينتظر غائبا: أي "لما". ويقول: قد جاء ولما يجئ بعد، فلما قالوا:"آمنا" قيل:"لم تؤمنوا " بعد، بل الإيمان مرجو منتظر منهم ... "[1]. والذي يهمنا في هذه المسألة أن الإنسان قد يكون في مرحلة ما مسلما وليس مؤمنا ثم يدخل الإيمان قلبه وهو تأكيد لما سلف من زيادة الإيمان وزيادة الهدى.

والحاصل أن المهتدي يزيده الله هدى ويثبته على الحق ويلقي التقوى والخشية في قلبه ويوفقه للإيمان والعمل بجميع أحكامه، وهي كلها من آثار الإيمان في القلب. فما هو تأثير الإيمان على صاحبه على المستوى الفكري؟

أثر الإيمان على المستوى والفكري:

إذا نظرنا في سورة الزمر وجدنا وصفا لعقول أهل الإيمان يصورها في صورة المصفاة التي تميز، ليس رديء القول من حسنه، بل تميز أحسنه من حسنه، قال تعالى:﴿

☎✁❑←⌨♦♈♦✌⇳♉✍✁ ♦×⇦♎🔔⅄✎✍✁♦❑
✍⍓♎❑←⑨←⌨⬀➔♦③ ♌❑🕮 ✽☠❑⬈⬄🕔⅄➲♑◉✍✁
⬉☠←♑⬧◉ ★✎✍✁ ❼■🖫♐☽ ☎✁☑❑←✉✍♦☼❑🕮♦❑
♎⑩✍♦⌨♎⬉ ⬃❸⬁♏⌑♦⌛⬧▫ 🗐 ▤❽♦❸⇳⌑←⌛⬂♑◉✍✁
♦♌❑⬉➔♎☺♦☞⬄❍❑④ ♦×⇦♎🔔⅄✎✍✁ ⬀⬂♐⬃
♦♌❑⬉➔♐⌛✸☞◆⓿⬧▫ ♦✌⬀❑⬧☽⬂♑◉✍✁
⍓⌨♂⯑✵🕔⬧◉🕯❑↑🕮 🗐 ▦🕔←❍♦☪✽❍⇳❍❑🕮
☎ ✦✎✍✁ ⬉☠←♑🗁⍓⑨⍓♎ ♦×⇦♎🔔⅄✎✍✁
☎✁❑⬈◉🕯❑↑🕮 ⬀☠➔♎ ⍓⌨♂⯑✵🕔⬧◉🕯❑↑🕮♦❑
✁✍❀☞◉♑⬂⌨♦🕔■⬁ ⬃⬀♎⬂⬁﴾[2].

فامتدحت الآية الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وزفت لهم البشرى، و " ... ﴿✍◉♑➲⅄🕔⬄⬈❑☠✽﴾: البالغ غاية الطغيان، فعلوت منه بتقديم اللام على العين، بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت، ولذلك اختص بالشيطان ﴿🕮❑♌ ③♦➔⬀⌨←⑨←❑♎⍓✍﴾: بدل اشتمال منه وأقبلوا إليه: ﴿❑♦🕮❑☼♦✍✉←❑☑✁☎ ☽♐🖫■❼ ✁✍✎★﴾

[1] نفسه 476/7.
[2] الزمر : 17-18.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بشراشرهم عم سواه ﴿☜♦⊓ ↖☠←♑♦☜ ✁✍☜✉⌛←⌑⇧❸◆❽▤ ﴾: بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت "[1].

والملاحظ على هذه الآية أنها زفت البشرى لطائفتين من الناس:

- الطائفة الأولى: الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وأنابوا إلى الله –كما تقدم–.
- والطائفة الثانية: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، دلالة " ... على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل، ﴿🕮⬆❒🕯☜♦🕒✵◊✎⌨⍓ ✁✍✏⅄🕭♉⇦×♦ ♎⍓⑨⍓🗁♑←☠↖ ✁✍✏✦ ﴾ لدينه، ﴿❒◆🕮⬆❒🕯☜♦🕒✵◊✎⌨⍓ ♎➔☠⬀ 🕮⬆❒🕯☜⬈❒✁☎ ✁✍❀☞☜⍃⌨◆🕒⬛⬅ ﴾: العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة ".[2]

لكن تفريع البشرى الثانية على الأولى ﴿⊓♦⌛◆⌑♏⬀❸⬃ ↖♉⌨◆✍⑩♉ ... ﴾ يدل على أن الطائفتين طائفة واحدة في الحقيقة؛ فالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم أنفسهم الذين يجتنبون عبادة الطاغوت وينيبون إلى ربهم. قال أبو السعود:" [قوله تعالى]: ﴿⊓♦⌛◆⌑♏⬀❸⬃ ↖♉⌨◆✍⑩♉ ⬀⌀⬂⬁ ✁✍✏⅄🕭♉⇦×♦ ④❒❍⬄☞♦☺♉➔↖❒♌♦ ✁✍☜✉⌛☽♦❒⬀✌♦ ♦⊓⓿◆☞✸⌛♉➔↖❒♌♦ ﴾ 🕮❒❍⇧❍✿☪◆❍←🕒⌸: هم الموصوفون بالاجتناب والإنابة بأعيانهم، لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالإضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الأفضل"[3].

وأبو السعود –بعد أن يبين أن الطائفتين في الحقيقة طائفة واحدة–، يرد كلا الوصفين الحسنين إلى كونهم أهل بصر ونقد؛ فكما أن كونهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه سببه

---

[1] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة 62/5، دار الفكر، بيروت: 1416-1996.

[2] نفسه.

[3] محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم –المشهور بتفسير أبي السعود– 248/7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أنهم من أولي الألباب، فكذلك كونهم مجتنبين للطاغوت منيبين إلى الله مرده إلى ذلك أيضا.

وقد امتدحت الآية فيهم استماعهم القول ثم اتباعهم أحسنه؛ فأما استماعهم القول فمعناه استماعهم لجميع ما يقال من غير تمييز، قال بقاعي: " ﴿[illegible]﴾ أي هذا الجنس من كل قائل ليسوا جفاة عساة إذا أقبلوا على شيء أعرضوا عن غيره بغير دليل "[1].

فمن صفات هؤلاء أنهم يستمعون كل قول، ثم ضابط قبوله أو رده عندهم هو الدليل، فليست العبرة للقائل ولا لشيء آخر غير الدليل. كذا هم عباد الله الذين يستحقون البشرى؛ يطلبون الحق أنى كان ولا يخافون من استماع أقوال ووجهات نظر الذين ليسوا على مثل رأيهم ولو كانوا من أعدائهم، خلافا لمن يشعر بضعف حجته وخفة عقله، فهو لذلك يخاف من استماع رأي مخالفه وحجته: ﴿[illegible]﴾[2]. فلغو الكفار حين سماع القرآن دليل على عدم القدرة على مقارعة الحجة وضعف الحيلة، فذلك يواجه باللغط وعدم الاستماع، نظير ما فعل قوم نوح عليه السلام: ﴿[illegible]﴾[3].

ثم بعد الاستماع تأتي المرحلة الثانية وهي اتباع أحسنه، وقد جاءت الآية في وصف "الحسن" بـــ " أفعل " التفضيل التي تعني التفضيل بين الأمرين المشتركين في الوصف

---

[1] إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 434/6، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1415-1995.

[2] فصلت : 25.

[3] نوح: 7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الواحد والمبالغة في وصف أحدهما به، وقد دفع ذلك ببعضهم إلى أن جعل ذلك في التمييز بين شرائع الإسلام نفسها[1]، والأقرب أنها في التمييز بين جميع القول الذي منه قبيح وحسن وأحسن، ولا ريب أن كلام الله عز وجل هو دوما الأحسن وأن جميعه من الأحسن.

والآية تنص على أنه إذا تبين لهم هذا الأحسن اتبعوه لا ينحرف بهم عنه هوى، ولا يخافون فيه لومة لائم.

وبين مرحلة الاستماع ومرحلة الاتباع مرحلة أخرى؛ وهي مرحلة الغربلة والتصفية التي تؤدي إلى إدراك الحسن والأحسن، وهذه المرحلة تحتاج إلى آلة فاعلة، وإلى زوال المعيقات أمام هذه الآلة حتى تؤدي عملها على أحسن صورة:

- فأما زوال المعيقات فهو عدم الاسترسال وراء الأهواء والشهوات وتسويل الشيطان: ﴿📖⬆❒🕯🌀♦🕐❇⬦✐🖮⍓ ✁🙵✎⅄🕭🙟⇦✖♦ ♎⍓⑨⍓🗁♑⇜☠⇱ ✁🙵✎✦﴾.

- وأما الآلة الفاعلة فهي العقل البصير الناقد: ﴿❒♦📖⬆❒🕯🌀♦🕐❇⬦✐🖮⍓ ♎➔☠⇗ 📖⬆❒🕯🌀⇗❑✁☎ ✁🙵❀☞🌀⇘🖮♦🕐🖬⇗﴾.

وعليه فلا يكتمل وصف الإنسان بأنه من أولي الألباب حتى يكون من الذين هداهم الله؛ لأن من لم يهتدي مهما كان يملك عقلا حصيفا فلن يبلغ كمال العقل حتى يسلم عقله من تأثير أهواء نفسه، ولا يسلم من تأثير أهواء نفسه إلا من كان مؤمنا مهتديا.

ومن صار بالاهتداء من أولي الألباب أبصر ما لم يبصره غيره، ورأى من وراء ما يرى الناس أمورا أعظم، فتؤثر في حياته بطريقة لا يدرك معانيها الحقيقية غيره، ولو كانوا

---

[1] أنظر مثلا قول السدي عند: الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 303/8، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418-1997.

ولعل هذا القول بعيد فإن المقصود التمييز بين جميع القول وليس كلام الباري سبحانه وتعالى كما تقدم، ولا ريب أن أحسن القول هو كلام الحق سبحانه من بين كل ما يقال، ولذلك شاهد وهو قوله عز وجل في نفس السورة ﴿ ✁🙵✎ ☼♦❽❒✌♦ 📖❒⇧❍☸♓ ✁🙵🖳⬂♦❒⑨🙟③☸🙟 🖎🙟♦🕐⌛✡🙵 ✌⑩☞♦⌖♦🕐⌛🙟♑✡🙵...﴾ الزمر: 23، فأحسن الحديث في الآية هو الكتاب كله.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ينسبون إلى العقل والعلم والفهم، كما جاء في السورة نفسها:﴿⇳♊□✌❒📖
⬀✍⬂⓿⅄♑✍✂ ◆➚✏✍◆☼✂◆➚ ➚💣♉☪🕒⬧🔔 ◆❑➔♎
⬇❻☒⓿⬂⬥⬧⑥ ✍✞☺✍★✏✍⬧🔔◆❑ ✂✡⑨☝♊✍⍓♌
⬧□◆✌⬃❑◆❻ ☎✂❑⬉♉⬀❷◆③◆❑ ■❑◆❷⬠⌘☞⍓✍✂
❽⬀❑◆✌⬄○□④ ⬀✍⍓♎ ⬀✍➔🔔 ▤ 🕘♉❍♐■✉◆❻
◆✖⬄♉🔔⅄✏✍✂◆❑ ◆♌❑🡐✌⬧⚇⇳➔◆③ ◆✖⬄♉🔔⅄✏✍✂
⬉❷⅄✍☒⓿◆✌◆③ ✍⍓☺❃☼♐☽ ▤ ◆♌❑🡐☺■◘⇳➔◆③ ⬥⬥
📖⬆❑ⅰ♑➚❑☎✂✍✿☞♑⬂⌨◆🕐◘☝ ⬀✍⬁⬁﴾[1].

والآية تعقب على من يدعو ربه منيبا حال الضر ثم بعد كشفه يجعل لله أندادا ليضل عن سبيله، وجاءت " ... ﴿أم﴾ متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه، قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به: أأنت أحسن حالا ومآلا أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على وظائف العبادات في ساعات الليل التي فيها العبادة أقرب إلى القبول وأبعد عن الرياء حالتي السراء والضراء، لا عند مساس الضر فقط كدأبك، حال كونه ﴿✂✡⑨☝♊✍⍓♌ ✍✞☺✍★✏✍⬧🔔◆❑﴾ ... ﴿⬇❻☒⓿⬂⬥⬧⑥﴾ أي ... : ﴿■❑◆❷⬠⌘☞⍓✍✂﴾ أي عذاب الآخرة ... ﴿☎✂❑⬉♉⬀❷◆③◆❑ ⬧□◆✌⬃❑◆❻ 🕘♉❍♐■✉◆❻﴾ فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه ... "[2].

ثم تقرر أنه لا يستوي الذين يعلمون " ... فيعملون بمقتضى علمهم ويقنتون الليل سجدا وركعا يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم، ﴿◆❑✂✍✏⅄🔔♉⬄✖◆ ⬥⬥ ◆♌❑🡐☺■◘⇳➔◆③﴾ فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك أيها الكافر الجاعل لله تعالى أندادا، والاستفهام للتنبيه على أن كون الأولين في أعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر، من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر "[3].

[1] الزمر : 9.

[2] أبو الفضل محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني 246/23، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت ط.

[3] الألوسي، روح المعاني 246/23.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والملاحظ أن الآية قد سمت القانت الساجد عالما، قال الألوسي:" ويعلم مما ذكرنا أن المراد بالذين يعلمون العاملون من علماء الديانة وصرح بإرادة ذلك بعض الأجلة، على تقديري الاتصال والانقطاع، وأن الكلام تصريح بنفي المساواة بين القانت وغيره المضمنة من حرفي الاستفهام -أعني الهمزة وأم- على الاتصال، أو من التشبيه على الانقطاع وعلى قراءة التخفيف أيضا، قال: وإنما عدل إلى هذه العبارة دلالة على أن ذلك مقتضى العلم وأن الذي لا يترتب عليه العمل ليس بعلم عند الله تعالى ... "[1].

فالألوسي يبين هنا أن معنى:﴿ ❽⇗❑♦☝⇔○□④ ⬀✍◰♎ ♦×⇦⚮🕭⅄✎✍✂♦❒ ♦♌❑⇦☝♦☸⇳➔♦③ ♦×⇦⚮🕭⅄✎✍✂ •• ♦♌❑⇦☺■⇳➔♦③ 🗏 ﴾: هل يستوي القانت وغير القانت؟ ثم يقرر أن ذلك يدل على أن العلم الذي لا يترتب عليه عمل ليس علما. وجريانا على ذلك يقال: إنه قد يفهم بنفس الطريقة أن العلم الحقيقي ينتج الخشية والعمل والقنوت والسجود، ويكون العالم كما العاقل هو المؤمن، وقد يؤيد ذلك ما ختمت به الآية:﴿ ☎✂❑↗⚈❒⬆📖 ⇖❷⅄✍⊠⓿♦☝♦③ ✍◰☺❋☼⚮☽ ✂✍☸☞⚈⬂🖮♦◷⇜ ﴾.

إذا فالآية تبين أن الذي يعلم هو القانت آناء الليل ساجدا وقائما الحذر للآخرة الراجي رحمة ربه، رغم أن الناس ينسبون غير من هذا وصفه إلى العلم، وإنما يفقه حقيقة ذلك أولوا الألباب؛ فهم الذين أدركوا حقائق الأشياء و لم يقفوا عند ظواهرها، وهم الذين أيدهم فقه الوحي الرباني وغير من نظرتهم إلى الأشياء، فتجلى ذلك في سلوكاتهم وأفعالهم. ومن كان هذا حاله عاش في هذه الحياة الدنيا مهتديا مبصرا لطريقه، ولعل ذلك أحد الأسباب التي لأجلها وصف المؤمن بأنه يمشي سويا على صراط مستقيم، قال تعالى:﴿ 🗐❼■✍♦⇖ ✍⑨🖮⇖🗏⇖✌ ⚮⇖⬦⇳☺♦③ ♊◰☺▫❒📖 ⚮⇖⬦⇳☺♦③ ♊□✌❒📖 ✂❽◰⑨⬃♎❒📖 ▦◷⚮○⚯♑⇳♉♦❒ 🖰☹➚⇜☽♦☝⇔○❿✌ 💻⓿◷◆❸⇖◷ 🗐❼■✍♦⇖ ✍⑦③⇗❑◰♒ ⇗⚮⚮⇜ ﴾.[2]

---

[1] الألوسي، روح المعاني 248/23.

[2] الملك: 22

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و ﴿مكبا﴾: " ... أي ساقطا على وجهه يعثر كل ساعة ويمشي ... ﴿[illegible]﴾: مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور على طريق مستو ﴿[illegible]﴾ "[1].

وهذا الذي يمشي منتصبا على طريق مستو يبصر مبدأ طريقه ومنتهاه وجوانبه، فلا يحيد عنه ولا يتنكبه، وهو يدرك الهدف الذي يمضي إليه فلا يقع في شك ولا يدركه تردد ولا تحيط به حيرة، وهو –خلافا لمن يمشي مكبا على وجهه– يقلب بصره في الآفاق فيبصر دلائل الحق ويدرك عجائب القدرة: ﴿[illegible]﴾[2].

هذا وقد وصف الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه بأنهم " أولوا الألباب "، و"الألباب: العقول، واحدها لب "[3]، قال الراغب الأصفهاني:" اللب: العقل الخالص من الشوائب، وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه، ... وقيل: هو ما زكى من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لب، ولهذا علق الله تعالى الأحكام التي لا يدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب نحو قوله: ﴿[illegible]﴾ إلى قوله ﴿[illegible]﴾[4] "[1].

---

[1] النسفي، تفسير النسفي 266/4، دون دار طبع.

[2] الملك : 3-4.

[3] شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق د. فتحي أنور الدابولي ص119، دار الصحابة، القاهرة ط1: 1992.

[4] البقرة: 269.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهناك وصف مرادف له وقع في سورة "طه"[2] وهو "أولوا النهى"؛ وهم أولوا العقول أيضا.[3]

وقد تكرر هذا الوصف في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة[4]، ثلاث منها في سورة الزمر التي منها الآيتان المتقدمتان، والثالثة هي قوله عز وجل: [illegible].[5]

والآية تدعو إلى النظر في بدأ الخلق وإعادته ودلالته على البعث وتجعل فيه عبرة لأولي الألباب.

والملاحظ أن هذه الآية بالإضافة إلى الآية المتحدث عنها سابقا: [illegible]، قد ختمت بتقرير أن أولي الألباب هم الذين يتذكرون، وهو حال تسع آيات[6] من الثلاث عشرة آية ربطت جميعها بين وصف " أولي الألباب " وبين التذكر والتفكر والاعتبار، وأما الآيات الأربع الباقية[7] فإذا استثنينا آية الزمر التي

---

[1] مفردات ألفاظ القرآن ص732، وانظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز 414/4.

[2] سترد الآية إن شاء الله.

[3] انظر: أبو محمد الحسين بن الفراء البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، تحقيق: خالد العك-مروان سوار، 235/3، دار المعرفة، بيروت، ط2: 1407-1987.

[4] انظر: د. عبد الصبور شاهين، مفصل آيات القرآن 842/1-848، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1: 1414-1994.

[5] الزمر : 21.

[6] – البقرة: 269، – آل عمران: 70، -يوسف: 111 – الرعد: 19، – إبراهيم: 52، -ص: 29، 43، – الزمر: 9، -غافر: 53.

[7] البقرة: 179، المائدة: 100، الزمر: 21، الطلاق: 8.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بشرت الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه –وسبق تناولها–، فإن الثلاثة الأخرى قد ربطت هذا الوصف بالتقوى، وأما وصف "أولي النهى" فقد ورد في سورة طه مرتين فيهما دعوة إلى النظر في الآيات وأخذ العبرة منها[1]، وهو ما يجعلنا نستنتج وصفين لأولي الألباب:

1– الوصف الأول: هو أنهم يذكرون، قال الراغب الأصفهاني:" والذكرى كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر "[2]، قال: و " الذكر: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ "[3].

والمقصود بالذكرى هنا شدة استحضار القلب لجملة من المعاني، وهذه الذكرى حاصلة من جملة من الأشياء:

– أنهم يتأملون في ملكوت السماوات والأرض فيعرفون صفات الصانع ودلائل التوحيد، قال تعالى: [illegible][4].

– أنهم يتأملون فيما حولهم فيرون دلائل قدرة الله على الخلق والبعث: [illegible]

[1] طه: 54، 128.
[2] مفردات ألفاظ القرآن ص329.
[3] نفسه ص328.
[4] طه: 53-54.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible].[1]

- أنهم يأخذون العبرة من حال الذين كفروا من قبل، قال تعالى: [illegible].[2]

- أنهم يسمعون وينتفعون بما جاءهم من وحي من عند ربهم ويأخذونه على محمل الجد ويحذرون سوء العاقبة: [illegible].[3]

- أنهم يتدبرون آيات الكتاب فتحصل لهم به الذكرى: [illegible].[4]

---

[1] الزمر : 21.
[2] طه: 128.
[3] إبراهيم : 52.
[4] ص : 29.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

– أنهم يؤمنون بمتشابهه ويسلمون أمره لله كما يؤمنون بمحكمه، ويحذرون الزيغ: [illegible] .[1]

قال القرطبي: "[illegible]: أي ما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابه إلا ذو لب، وهو العقل".[2]

– أنهم مستنون بالأنبياء متأسون بهم مقتفون لآثارهم ناظرون في سيرهم، قال تعالى في أيوب عليه السلام: [illegible] [3]، وقال: [illegible]

---

[1] آل عمران: 7-8.

[2] الجامع لأحكام القرآن 19/4.

[3] ص : 43.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

﴿[illegible]﴾[1].

فالتأمل في عاقبة صبر أيوب عليه السلام وتبديل الحق عز وجل بلاءه فرجا ونعمة يجعل العبد يتذكر ويعتبر بالعاقبة الحسنى لفعل من جاء بمثل الذي جاء به –عليه السلام–، وكذلك التأمل في ما وقع لفرعون وجنوده من خزي وإهلاك[2]، وتغليب موسى –عليه السلام– ومن معه من بني إسرائيل عليهم، وإنما يتفطن لذلك من لهم عقول تتفكر وتعتبر.

– أنهم مدركون لنعمة الله بالحكمة ينعم بها على من يشاء:﴿[illegible]﴾[3].

و " في المراد بهذه الحكمة أحد عشر قولا: أحدها: أنها القرآن قاله ابن مسعود ومجاهد والضحاك ومقاتل في آخرين، والثاني: معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره ونحو ذلك، رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس، والثالث: النبوة رواه أبو صالح عن ابن عباس، والرابع: الفهم في القرآن، قاله أبوالعالية وقتادة و إبراهيم، والخامس: العلم والفقه، رواه ليث عن مجاهد، والسادس: الإصابة في القول رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، والسابع: الورع في دين

---

[1] غافر: 53-54.

[2] لأن العبرة حاصلة من القصة كاملة، وقد جاءت هذه الآيات من سورة غافر في سياق تقرير أن الله عز و جل ناصر رسله وجنده: ﴿[illegible]﴾ غافر: 51-52.

[3] البقرة: 269.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الله قاله الحسن، والثامن: الخشية لله قاله الربيع بن أنس، والتاسع: العقل في الدين قاله ابن زيد، والعاشر: الفهم قاله شريك، والحادي عشر: العلم والعمل، لا يسمى الرجل حكيما إلا إذا جمعهما قاله ابن قتيبة "[1]. وإذا ما استثنينا النبوة فإن حاصل جميع هذه الأقوال أشياء يؤدي بعضها إلى بعض، فالعقل يؤدي إلى العلم بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والفقه وغيره، والعلم يؤدي إلى الخشية، والخشية تؤدي إلى الورع والعمل الصالح، ومن استجمعها صار حكيما.

2- الوصف الثاني: أنهم متقون، " والتقوى : جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفا حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات ..."[2]. وتحصل هذه التقوى من:

- فقه حكم التشريع ومقاصد الأحكام، كما قال تعالى:﴿❒◆⧫♦♑▤⬈☠⬀ ...﴾[3].

- معرفة ثواب التقوى في الدنيا والآخرة، ومعرفة نعمة الله ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال الوحي، ومعرفة عاقبة العتو عن أمر الله ورسله، قال تعالى:﴿...﴾[4]؛ فأما ثواب التقوى في الدنيا والآخرة فقد جاء في ثلاث آيات من السورة نفسها:﴿ ...

---

[1] ابن الجوزي، زاد المسير 324/1

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ص881.

[3] البقرة: 179.

[4] الطلاق : 10.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[1]، [2]، [3]، وأما نعمة الله ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال الوحي مخرجا من الظلمات إلى النور، فقد جاء في تمام الآية:

[4]، وأما حذر عاقبة الكفر فقد جاء في قوله تعالى من السورة نفسها:

[5]، ثم ربطت الآية الأمر بالتقوى وفرعته عن ذلك:

---

[1] الطلاق : 2-3.

[2] الطلاق : 4.

[3] الطلاق : 5.

[4] الطلاق : 10-11.

[5] الطلاق : 8-9.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✂🙰🙰✍⅄🔔⚯⇦×♦ ✂🙰🙰🏵☞🖲⌂⌨♦⌚🖪🖅
⬈♦✂✌♦☪⇱❐✂☎ 🗐🏵.

- اغتنام النفحات وأوقات الفضائل كالحج مثلا، كما قال تعالى في آيات الحج من سورة البقرة:🏵▫⬩✉⚯♍⬝ ⌘⍓❷⬀❸♦ ✂🙰🙰🖲❽❐✂⑩⚯
✂🙰🙰🖲✌✸☽⬂❐❽▤ 🗐 ❒♦✂🙰🙰✍☐☽➔❑♌⬀
③♦⌚✵ⅈ⬆❐ⅈ🖫⚯❼ ✂🙰🙰🏵☞🖲⌂⌛♦⌚🖪🖅 ⬀⚯⚯⬂⬁🏵[1].

إذا فالله سبحانه وتعالى يزيد الذين آمنوا إيمانا وهدى، ويؤتيهم التقوى، وهم لأجل هذا الهدى أولوا الألباب الذين يدركون حقائق الأشياء، ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهم أهل العلم حقا، وهم يبصرون طريقهم ويمشون أسوياء على صراط مستقيم، وهم الذين يذكرون؛ يقلبون النظر في ملكوت الله فيعرفون دلائل قدرته، ويدركون قدرته على الخلق والبعث، ويأخذون العبرة بعاقبة الذين من قبلهم، وهم الذين يتلون الذكر الذي جاءهم من عنده، ويؤمنون بمحكمه ومتشابهه، ويتدبرون آياته، ويحذرون سوء العاقبة، فتتحقق في نفوسهم خشيته سبحانه ويتسلحون بعبادته وذكره، وهم الفاقهون المدركون لحكم التشريع، المستبصرون بالعاقبة الحسنى للتقوى، العارفون بنعمة الوحي والرسل المخرجين من الظلمات إلى النور، المتعرضون لنفحات وأوقات الفضائل المغتنمين لها.

هذا عن أثر الإيمان على المستوى القلبي والفكري، فهل للإيمان أثر على المستوى العملي؟

3- أثر الإيمان على المستوى العملي:

سمى القرآن الكريم وجدنا أنه الأعمال الصالحة إيمانا، أو بصورة أدق سمى الصلاة إيمانا –وهي صورة للأعمال الصالحة–، وذلك في قوله تعالى:🏵❒♦✌♦🙰

♉⍓⬈❐✡▫🖬⍓➔⍓🙰 ✂🙰🙰🖲⬂☽🖅⌨⬀✂♦ⅈ⬩ ✂🙰🙰🖲⅄☹🖅🙰
🖏⬈☪🏶✺ ⬊♦🖬■❸⬀🙵❐🙰✍ ⚯☽♦⬩ 🖲⚯☪♦➔⬃🖬■✠⌘
♎♦♊ ③♦☺✵⌛⚯⬅ ✂🙰🙰🖲❷▪ꝏ⬅❐✌♦ ✌⚯☺⬤♊
③♦☪☽⬩🖬⚯🖬➲ ⬉♦✍■❼🗐 ⬉♦☽🖅☽⌨♦⓿⬂◯⚯ 🗐 ❐♦☽⚯♌
🖏☒🔔☼♦🏶⇳ 🖲⬩▤⬩⌨⚯❷❸♦❐🕒 ☽⚯⬩⬩ ⬉♦✍■❼
✂🙰🙰✍✦ ▤ ❐♦✌♦🙰 ⎐⍓⑨⍓❽ ✂🙰🙰✍⅄🔔⚯⇦×♦
🖏⍓🔔♌♦ ✂🙰🙰✍✦ 🖲⚯⓿⬉⊘⬂⓿➚⍓ ☽⚯③☺⍓⌚✡❐▤⬈☠⬀

[1] البقرة: 197.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

🗐 ♍︎⧫︎⬤︎ ◆︎✍︎🙰⬆︎ ⧫︎🙰⬠︎🙰🙰⬚︎✡︎□︎🙰□︎⬂︎ ⬤︎◆︎❷︎◆︎⬈︎⬇︎□︎🙰⧫︎
.[1]﴿⬧︎⬅︎⬊︎⬠︎⬚︎⬅︎ ⬠︎⬚︎⑩⬀︎❍︎▪︎❻

وسبب نزول الآية ما روى ابن جرير بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما وجه رسول الله إلى الكعبة قالوا: كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك وهم يصلون نحو بيت المقدس؟ فأنزل الله جل ثناؤه ﴿□︎◆︎✌︎◆︎🙰 ⬚︎⬚︎⬚︎⬚︎⬛︎◆︎ ✁︎🙰✍︎✦︎
.[2]" ﴾🗐 ⬀︎☠︎⬈︎⬚︎□︎✡︎⬚︎⬚︎⬚︎⬚︎⬚︎ ⬚︎⬈︎⓿⬀︎⬚︎⬉︎⓿⬚︎🙰

فالإيمان في الآية الصلاة[3]، وسبب الترول يبين ذلك بصورة واضحة جلية. قال القرطبي: "فسمى الصلاة إيمانا لاشتمالها على نية وقول وعمل "[4].

ثم ذكر قولا للإمام مالك :" إني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان "[5].

فالقرطبي علل تسمية الصلاة في الآية بالإيمان باشتمالها على عناصر الإيمان الثلاثة وهي: التصديق والقول والعمل لما تضمنته من أقوال وأعمال؛ وأما عمل القلب عنده فيقابل النية في الصلاة، ثم أكد ذلك بذكر قول الإمام مالك وهو أنه إذا تلا هذه الآية ذكر قول المرجئة بأن الأعمال ليست من الإيمان؛ بمعنى أنها صريحة في تسمية الأعمال بالإيمان.

ولعل لتسمية العمل الصالح بالإيمان حكمة، وكذا لما قرره السلف ومضى عليه المشهود لهم من علماء هذه الأمة من كون العمل الصالح شرطا في كمال الإيمان[6]، هو أن الإيمان إذا وقر في القلب حقا وتمكن منه يثمر الأعمال الصالحة بصورة شبه آلية، وكلما خف تأثيره في القلب ظهر أثر ذلك في العمل.

---

[1] البقرة: 142.

[2] جامع البيان 17/2، وانظر: ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس 395/1، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1: 1997.

[3] نفسه.

[4] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 158/2، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة: ط2: 1372.

[5] نفسه.

[6] انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 46/1، دار المعرفة، بيروت، د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولعل ذلك هو السبب في أن القرآن الكريم لا يكاد يذكر الذين آمنوا إلا وصفهم بأنهم عملوا الصالحات:

فمن ذلك قوله تعالى:﴿❐♌♋◑ ✁✍✎✐✑✒✓✔ ♦✗✘ ⬀✁❒❍⬀✁❐☎ ✁❐⬆⬈⬊⬌⬍❐☎ ✁✍✎☺⬉⬋⬌⬍❐ ✁✍✎❐⬆⬈⬊⬌ ✁✍✎❐ ❐☎ ✁✍✎ ✁✍✎❐ ﴾.[1]

وقوله عز وجل:﴿❐♌♋◑ ✁✍✎✐✑✒✓✔ ☎✁❐⬆⬈⬊⬌ ✁✍✎❐⬆⬈⬊⬌❐ ✁✍✎☺⬉⬋⬌⬍❐ ✁✍✎ ✁✍✎❐ ✁✍✎ ﴾.[2]

وقوله تعالى:﴿❐♌♋◑ ✁✍✎✐✑✒✓✔ ✁✍✎ ✁✍✎ ✁✍✎❐ ✁✍✎❐⬆⬈⬊⬌ ✁✍✎☺⬉⬋⬌⬍❐ ✁✍✎❐ ✁✍✎ ✁✍✎❐ ✁✍✎ ✁✍✎❐ ﴾.[3]

وغيرها من الآيات.[4]

على أنه قد جاء في القرآن الكريم النص على تأثير الإيمان على الأعمال وإنتاجه للأعمال الصالحة نصا صريحا مرة، وبمثل مرة ثانية:

أما النص الصريح فقد جاء في قوله تعالى:﴿③♦⏲✵✶❐⑨☙✍❐✁ ✁✍✎ ✁✍✎❐⬆⬈⬊⬌ ✁✍✎❐➔◑✸✁

---

[1] الكهف: 107-108.

[2] مريم: 96.

[3] العصر: 2-3.

[4] انظر: سور: البقرة: 25، 62، 82، 277، النساء: 57، 124، 172، المائدة: 9، 69، 93، الأعراف: 42، يونس: 4، 9، هود: 23، الرعد: 29، إبراهيم: 23، الكهف: 30، 88، 107، مريم: 59، 96، طه: 82، الحج: 14، 23، 49، 56، النور: 55، الشعراء: 227، العنكبوت: 7، 9، 58، الروم: 14، 44، لقمان: 7، السجدة: 18، سبأ: 4، 37، فاطر: 7، ص: 24، 28، غافر: 40، 58، فصلت: 8، الشورى: 22، 26، الجاثية: 21، محمد: 2، 12، الفتح: 29، التغابن: 9، الطلاق: 11، الانشقاق: 25، البروج: 11، التين: 6، البينة: 7، العصر: 3، وانظر: محمد محمود إسماعيل، تصنيف آيات القرآن الكريم 247/1-253، دار اللواء، الرياض، ط1: 1413-1993.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

فقد أمرت الآية المؤمنين بتقوى الله –والتقوى عمل قلبي–، وأن يقولوا قولا سديدا، فإذا فعلوا ذلك فقد وعدهم الحق سبحانه بجزاء طيب، أوله أن يصلح لهم أعمالهم، وثانيه أن يغفر لهم الأعمال السيئة التي اقترفوها. قال ابن كثير: "يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا [illegible]: أي مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم: أي يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ... "[2].

فابن كثير يبين هنا أن الأعمال الصالحة –أو إصلاح العمل– ثمرة للتقوى والقول السديد وجزاء لهما، كما يقرر أن إصلاح الأعمال هو التوفيق للأعمال الصالحة.

وما يهمنا في كل ذلك أن الآية تنص بصورة صريحة على أن من كان متقيا وفقه الله لأن يعمل صالحا، فتكون الأعمال الصالحة أثرا طيبا من آثار الإيمان والتقوى.

وأما المثل فقد ذكر في قوله تعالى: [illegible] .[3]

---

[1] الأحزاب : 70-71.

[2] أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم 522/3، دار الفكر، بيروت: 1401.

[3] الرعد : 24-25.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قال ابن القيم:" فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله هو ثمرة هذه الكلمة "[1].

فابن القيم يقرر هنا أن الكلمة الطيبة هي " لا إله إلا الله " وهي تعبير عن الإيمان الصادق الذي رسخ في القلب كرسوخ الشجرة الطيبة، فثبت بذلك أصلها، وارتفع فرعها وامتد وشمخ، صارت تؤتي ثمارا طيبة هي الأعمال الصالحة كل حين؛ فالثمار الطيبة نتاج الشجرة الطيبة، والأعمال الصالحة نتاج شجرة الإيمان الطيبة.

وهذا المعنى –أي نشوء ثمر العمل الصالح عن شجرة التوحيد الطيبة– يؤكده ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان** "[2]، هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم:" **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان** "[3].

وفي الحديث نص صريح على أن الإيمان يرتفع ويتشعب كتشعب الشجرة –وهي نفس الصورة التي حملها المثل السابق في الآية–، وأن الأعمال فروع متفرعة عن هذا الأصل: أعمال القلوب " الحياء " كما أعمال الجوارح " إماطة الأذى عن الطريق "، والأقوال "أعلاها قول لا إله إلا الله" كما الأفعال " إماطة الأذى عن الطريق "، وقد ألف الإمام البيهقي في ذلك سفرا ضخما سماه " شعب الإيمان " بناه على الحديث السابق وفصل هذه

---

[1] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين 1/171-172، دار الجيل ، بيروت: 1973.

[2] البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان 1/12 ح9.

[3] مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان 1/63 ح35.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشعب فجعل كل واحدة منها بابا بسطه مستدلا عليه بالنصوص القرآنية والآثار[1]، وكل ذلك يقرر حقيقة كون الإيمان شجرة تتجذر في القلب وتثمر الأعمال الصالحة.

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الله سبحانه وتعالى يزيد الذين آمنوا إيمانا وهدى، ويؤتيهم التقوى، وهم لأجل هذا الهدى أولوا الألباب الذين يدركون حقائق الأشياء، ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهم أهل العلم حقا، وهم يبصرون طريقهم ويمشون أسوياء على صراط مستقيم، وهم الذين يذكرون؛ يقلبون النظر في ملكوت الله فيعرفون دلائل قدرته، ويدركون قدرته على الخلق والبعث، ويأخذون العبرة بعاقبة الذين من قبلهم، وهم الذين يتلون الذكر الذي جاءهم من عنده، ويؤمنون بمحكمه ومتشابهه، ويتدبرون آياته، ويحذرون سوء العاقبة، فتتحقق في نفوسهم خشيته سبحانه ويتسلحون بعبادته وذكره، وهم الفاقهون المدركون لحكم التشريع، المستبصرون بالعاقبة الحسنى للتقوى، العارفون بنعمة الوحي والرسل المخرجين من الظلمات إلى النور، المتعرضون لنفحات وأوقات الفضائل المغتنمين لها، ويوفقهم الله سبحانه وتعالى للأعمال الصالحة ويصلح لهم أعمالهم، فيكون هذا الإيمان الشجرة المتجذرة في قلوبهم ثبت أصلها وارتفع فرعها إلى السماء، وتثمر الأعمال الطيبة الصالحة.

هذا عن آثار الإيمان على المستوى القلبي والفكري والعملي، فما هي آثار الكفر؟ ذلك ما يُتعرض له في المبحث الموالي.

---

[1] انظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت: 1410-1999.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الثاني:

أثر العقيدة الفاسدة على المستوى القلبي والفكري والعملي

تقدم أن من آثار العقيدة الصحيحة زيادة الهدى والتثبيت عليه، وصواب الفكر، وصلاح العمل، فهل للعقيدة الفاسدة تأثير على قلب العبد وفكره وعمله؟

إننا إذا نظرنا في نصوص القرآن الكريم وجدنا أنها قد نسبت إلى قلوب الكفار جملة من الأوصاف؛ قال القرطبي:" .. قال أهل المعاني: وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف: بالختم والطبع والضيق والمرض والرين والموت والقساوة والانصراف والحمية والإنكار؛ فقال في الإنكار: [1]، وقال في الحمية: [2]، وقال في الانصراف: [3]، وقال في القساوة: [4]، وقال:

1 النحل: 22.

2 الفتح : 26.

3 التوبة 177.

4 الزمر 77

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] [1]،

وقال في الموت: [illegible]

[illegible] [2]، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible] [3]، وقال في الرين: [illegible]

[illegible]

[illegible] [4]، وقال في المرض: [illegible]

[illegible] [5]، وقال في الضيق: [illegible]

[illegible]

[illegible] [6]، وقال في الطبع: [illegible]

[illegible] [7]، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible] [8]، وقال في الختم: [illegible]

[illegible] [9] ... "[10].

ويمكن أن نضيف صفتين أخريين لم ينص عليهما [11] وهما:

– الأكنة، قال تعالى: [illegible]

[illegible]

---

[1] البقرة: 74.

[2] الأنعام 122.

[3] الأنعام: 26

[4] المطففين: 14

[5] البقرة 11

[6] الأنعام 125.

[7] المنافقون : 2.

[8] النساء : 156.

[9] البقرة : 7.

[10] تفسير القرطبي ج: 1 ص: 186

[11] لعله لم يذكرهما لأنهما داخلتان تحت الختم والطبع.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

- والأقفال، قال تعالى: [illegible] .[2]

وإذا تأملنا هذه الأوصاف وجدنا أن جملة منها قد نصت الآية على أن الله عز وجل هو الذي أوقعها في قلوب الكفار -بمعنى أنها آثار تتفرع عن شيء سابق وهو موضوع الدراسة-، وهي:

1- الصرف: [illegible] .[3]

2- الضيق: [illegible] .[4]

3- الطبع: [illegible] .[5]

4- الختم: [illegible] .[6]

5- و الأكنة: [illegible]

[1] الكهف : 57.:

[2] محمد : 24.

[3] التوبة 177.

[4] الأنعام 125.

[5] النساء : 156.

[6] البقرة : 7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⬀☠✍&✍✠✁⬧❶✁◆➚ ☑❼✎✕◆❐ ⬅■❑⬅♑⬧☽⬂▦◆③
◆❐⬂🔔❷ॐ✁ ☎ ﴾.[1]

6- والأقفال قريبة من معنى الطبع والختم، فيمكن إدراجها ضمنها وإن لم ينص صراحة على إيقاعها: ﴿📖❐▫⬧☒• ③◆✌◆⑨⊠✉✷❷⇖❐♌◆
✁✍✍◉⬂☽➔❷⬀➚◆✁♍☙ 📖❐✈⇳ ⇖◆✍■❼🗐
🔔➔🖪➔❑☺✌ 📖❐🔔⬂▦☒✍✍◉➚♑⊠✍✍✎ ⬀✍✂✍⬈ ﴾.[2]

أما المرض فقد نصت الآية على زيادته: ﴿✕✎❼ 🔔➔🖪➔❑✉✎♑✎☠
☟❍❺⌘⊻⊠ ▫⬧❽◆✁⑩⊠⚖➔☠⇖ ✁✍✍✏✦ ✌◆❷◆➩☪✍✍ ☎
﴾.[3]

وأما الرين فإن الآية قد نسبت وقوعه إلى أعمال السوء التي يكسبها الكفار: ﴿☝⊠⊠• ☎ ✉✍◆✍⬀🗏 ❻◆✁♌◆ ⇖◆✍■❼🗐
🔔➔🖪➔❑🕯✍&✍☠ ✌❑✍✍ ☝⊠🔔☼⬅❑✁☎
③◆▤⬁○⬁⌛⬅❑♌◆ ⬀✍⬂⬅ ﴾.[4]

وقبل النظر في هذه الأوصاف وعلاقتها بالكفر، فإننا نستثني الضيق لارتباطه بمعنى نفسي موضع بحثه الفصل القادم إن شاء الله.

وأما أكثر هذه الصفات ورودا في القرآن الكريم فإنها الطبع ثم الختم، ثم الأكنة، وأما الصفات الأخرى فقد ورد ذكر كل واحدة منها مرة واحدة فقط.

1- الطبع والختم:

جعل غير واحد من المفسرين الطبع والختم بمعنى واحد.[5] قال ابن جرير: "وأصل الختم الطبع، والخاتم هو الطابع، يقال منه: ختمت الكتاب إذا طبعته"[1]، وقال القرطبي: "

---

[1] الكهف: 57.:
[2] محمد: 24.
[3] البقرة: 10.
[4] المطففين: 14
[5] انظر على سبيل المثال: ابن جرير، جامع البيان 112/1، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم 46/1، وابن الجوزي، زاد المسير 28/1، وأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 91/1، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، بيروت-الدار الشامية، دمشق، ط1: 1415.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والختم مصدر ختمت الشيء ختما فهو مختوم ومختم شدد للمبالغة، ومعناه التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء، ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل إلى ما فيه ولا يوضع فيه غير ما فيه "[2].

وهيئة هذا الختم تكون بوضع طين أو نحوه ثم تعليمه بوضع نقش عليه حتى إذا فتح بان لمغلقه فتحه، قال ابن عاشور:" والختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم، فإذا فتح علم صاحبه أنه فتح لفساد يظهر في أثر النقش "[3].

إذن فختم الشيء هو منعه من أن يدخل إليه شيء، وعلى هذا فإن الختم على قلوب الكفار مانع من دخول الإيمان إليها، قال أبو السعود:" والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له أو لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء، والأول [البيت الفارغ] هو الأنسب بالمقام؛ إذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل إحداث حالة تجعلهم بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق أصلا، إما على طريقة الاستعارة التبعية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو أبواب المنازل الخالية المبنية للسكنى، تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شأنه وحقه أن يقبله، ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي، وإما على طريقة التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من إحداث تلك الحالة المانعة من أن يصل إليها ما خلقت هي لأجله من الأمور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة، بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة، وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما أعدت لأجله بالكلية، ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة

---

[1] تفسير الطبري ج: 1 ص: 112

[2] تفسير القرطبي ج: 1 ص: 185-186

[3] تفسير التحرير والتنوير 254/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المشبه بها، فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من أمور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الأمر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها ... "[1].

فهو هنا يصور هذا الختم بصورة المحال التي ختم عليها فمنع من حلول ما أعدت له فيها، وقد جاء هذا المعنى إما على طريقة التشبيه؛ بتشبيه القلب المختوم عليه –وهو ختم معنوي– بصورة حسية هي صورة المحال التي ختم عليها فمنع ذلك من حلول ما أعدت له فيها، أو على طريقة التمثيل بأن يمثل فراغ قلوبهم من الإيمان والانصياع للحق بفراغ المحال المختوم عليها.[2]

قال ابن جرير:" فإن قال لنا قائل: وكيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف؟ قيل: فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور؛ فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف "[3].

فجعل القلب وعاء معدا لحلول العلوم وظرفا تجعل فيه المعارف بالأمور، فإذا ختم عليه فقد منع من حلول ذلك فيه، وهذا المعنى يشهد له قول النبي صلى الله عليه وسلم في القلب المران عليه:"**كالكوز مجخيا** "[4]، أي كالكأس المقلوب: وهي هيئة تجعله فارغا، كما أن تشبيهه بالكوز صريح في نقل صورة الوعاء.

ثم نقل ابن جرير الآراء في صفة ذلك فقال:" ... عن الأعمش قال أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذا –يعني الكف–، فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه –وقال بإصبعه الخنصر– هكذا، فإذا أذنب ضم –وقال بإصبع أخرى–، فإذا أذنب ضم –وقال بإصبع أخرى– هكذا –حتى ضم أصابعه كلها–، قال: ثم يطبع عليه بطابع، قال مجاهد:

---

[1] تفسير أبي السعود ج: 1 ص: 37

[2] وانظر أيضا: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 254/1.

[3] تفسير الطبري ج: 1 ص: 112

[4] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا 128/1-129، وأحمد بن حنبل، مسند أحمد 386/5، مؤسسة قرطبة، مصر د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وكانوا يرون أن ذلك الرين ... حدثنا ابن جريج قال: قال مجاهد: نبئت أن الذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع —والطبع: الختم- "[1].

فهاتان روايتان عن أحد أكابر أهل التفسير من التابعين ممن تتلمذوا على حبر التأويل وبحره عبد الله بن عباس رضي الله عنهما –ولا يبعد أن يكون مما نقله عنه-؛ يجعل في الأولى الختم التفاف القلب وارتداد أطرافه بعضها على بعض كما يطبق الظرف على ما يحوي ثم يجعل عليه ما يمنع من دخول شيء إليه أو خروجه منه، وأما الثانية فإنه يجعل الختم فيها تغطية الذنوب للقلب ويعطي الختم هنا نفس معنى الرين فيجعلهما شيئا واحدا، وإنه خلافا لما قد يظهر لأول وهلة، فإن القولين لا يتعارضان بل هما هيئتان ترد الواحدة منهما بعد الأخرى كما سيأتي —إن شاء الله-.

وأما سبب الطبع على قلوبهم فهو كفرهم كما وقع صريحا في آية النساء، قال تعالى:﴿ ✍♦✍⬀ ⬛☹♦⬈⬛ ✦✏✍✁ ⬜⬈♦⌛⬤ ⬀♦⬜⬜ ⬥✪⬙☽ ♦♌❑⬉✡⬙✌⬃⬥⬉③ ⬥⊠⬥▫ ⬀☠⬙⬘⬘❷⬂⬚⬈⬚⬙⬜ ⬘⬗⬙⬙⬗ ⬦⊠⓿⬙⬛⬥⬘ ﴾[2].

ومعنى ﴿⬜⬙⬚⬈⬚⬂❷⬘⬘⬙☠﴾: جزاء لكفرهم[3]، وقد نص قتادة على ذلك عند تفسيره لآية الختم من سورة البقرة فقال:" استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه، فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون "[4].

ولئن كان المفسرون يجعلون الطبع والختم بمعنى واحد —كما تقدم-، فلقد ذكر الفيروزآبادي فرقا دقيقا بينهما، قال:" والطبع الختم: وهو التأثير في الطين، وقوله تعالى:﴿ ⬀☠⬙♒⬙⬜❑➔⬛➔⬜ ⬚⓿⬛✍♦⬉ ⬅⬈♦⌨⇳➲♦☼♦❒ ⬘⬗⬙⬙⬗ ♌♍❑⬉➔⬜☺⬄○□④ •• ⬄⚐⬅♑⬥▫ ﴾[5]: أي نختم عليها

---

[1] نفسه.، وانظر تفسير ابن كثير 46/1.

[2] النساء : 155.

[3] انظر تفسير القرطبي 8/6.

[4] تفسير ابن كثير ج: 1 ص: 46

[5] الأعراف: 100.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مجازاة لهم فلا يدخلها الإيمان. وقيل: الطبع أن يصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش "[1].

فالفيروزآبادي يقرر أولا أن الطبع والختم يحملان معنى متطابقا، ثم يذكر قولا –لا يعلق عليه بالنقض أو التأييد– يفيد أن بينهما عموما وخصوصا. غير أننا وجدنا الباحثين يميلون إلى رفض فكرة التطابق الكامل بين معاني المترادفات وذلك يفرض وجود فارق بين الطبع والختم؛ يقول الدكتور أحمد رحماني:" ... وهذا ما حدث بالضبط مع مصطلح الران إذ عبر عنه كظاهرة مرضية وحالة نفسية وعقلية بمفردات وتراكيب متعددة أثرته بأن زادته وضوحا وجلاء فعبر عنه أحيانا بالأقفال، والمرض، والختم والوقر والعمى والطبع والغشاوة والزيغ ...

ولا شك أن تغيير المصطلح والعدول عنه لغيره لا يكون إلا للزيادة في المعنى والتكثير فيه كما يقول ابن جني وغيره ممن عني بمسألة تغير المعاني وثرائها تبعا لتغير المباني وألفاظها ... "[2]. أما صاحب كتاب " القلب ووظائفه " فينص صراحة على أنه لا بد أن يكون بين الختم والطبع فرق، فيقول:"والحق تبارك وتعالى وصف القلب الميت بأوصاف عدة ... وكل صفة لا بد أن تكون لمرتبة يصل إليها العبد ... ولا يمكن أن تكون هذه الأوصاف مجرد أسماء؛ فالختم لابد أن يكون غير الطبع وغير الأقفال ... "[3].

هذا ولقد وجدنا ابن القيم يوضح هذا الفرق ويكشفه فيقول:" قال أبو إسحاق: معنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق منه فلا يدخله شيء ... قلت: الختم والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق "[4].

وقد لاحظت أن القرآن الكريم إذا تحدث عن القلب وحده استعمل فيه " الطبع "، كما قال تعالى:﴿ ⬄ ... ⇦ ... ⇨ ... ⇦ ...

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 289/4، المكتبة العلمية، بيروت، د ت ط.

[2] د. أحمد رحماني، التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا ص156،منشورات جامعة باتنة، د ت ط.

[3] سلمان زيد سلمان اليماني، القلب ووظائفه في الكتاب والسنة ص368.

[4] ابن القيم، التفسير القيم، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، ص143، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿[illegible] ﴾[2]، وقال: ﴿[illegible] ﴾[3]، وقال: ﴿[illegible] ﴾[4].

إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى —في المرتدين—: ﴿[illegible] ﴾[5].

[1] النساء: 55.

[2] التوبة : 87.

[3] التوبة: 92.

[4] المنافقون : 3.

[5] النحل : 106-108.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وإذا عطف عليه السمع والبصر استعمل فيه " الختم "، كما قال تعالى:﴿⌘☠◆☞⍓⌘ 🗐❼■✍◆⇖◆❒ ⬀☠♐♑♐✉❑➔🖬➔🔔 🗐❼■✍◆⇖ ✦✏🙰✁ ✁❼■✍◆⇖◆❒ ☎ ⬀☠♐♑♌➔⇳☺⍓🙴 ⬀☠←♑⬩🕲◆❒ ☎ ⮜❑◆❑🕛◆⌖♌➘ ⬀☠♌♎⌧❷🕛✿🕛⬀✉❑🕮 ⇖☹✁☒⓿◆⇖ ⬀♌➔◆⇖ ♌⚐⑩♌➔◆⇖ ⬁♌⬀﴾[1]، وقال:﴿☒⓿⬩③✦✌🙰✁ ⬁♊◆✌ ✿💣☼⬃③◆⬈◆❷⬩▫❒🕮 ⇖🕮⅄✁✿⮫❒🕮◆❒ 🡐❍🗁◆❑⍓♎ 🕐🡐❍⍓♑🕐⬩🕲♐☽ 🗐❼■✍◆⇖ ◆☹⬩🡻⍓⌘◆❒ 🀰⚐▫🖬♌➘ 🗐❼■✍◆⇖ ✦✏🙰✁ ⬩🙵⍓➔⍓♉◆❒ 🕘♌❍♐🖮▫🖬⬩🔔◆❒ 🕘♌❍♌➔⬂⬚☒🙶 ♊⍓☺⬩▫ ☪❑◆❑🕛◆⌖♌➘ 🕘⚗■♐❸✿⬁◆✉ 🗐❼■✍◆⇖ 🗐 ★✏🙰✁ ♌⑨⬃➔◆✉ ✉♊♌✌ ♌❍③♌⑨⬀🙹◆⑨﴾[2].

إلا في آية واحدة أيضا وهي قوله تعالى:﴿⬃🏲❒🕮 ◆♌❑⬈🕲❑➔☽◆③ ☎ 🙰🕉✉🖏⓿☒🖎 ★✏🙰✁ ❼■✍◆⇖ ▯❽◆❸◆✋⬂▫🙰✁ 🗐❼■✍◆⇖ ⬄⚐♌☞⬂③⬩⑥ ✦✏🙰✁ ♐✉◆⌖❑④ ♌♐✉⬩▫ ✦✏🙰✁ 🡐☒⇳☺◆③◆❒ ▯ ⍓🖮♐🖮▫🖬⬩🔔 ❑✉❑◆⬂💻🙰✁ ❻✉♌◆⬈⑥◆❒ ⬩🙵♌⮌🕛◆⏳⬂🕲🙰✁ 🖮⚐⑩♐🖬◆➘ 🕐🡐❍✵☼♐☽ 🗐 🗖🕘♌❍♌✌🕛⍓☺♐🖬⬩▯♐✉ ⬁♊♐⛳✏❻❒🡐⑨❺🕛🕲🙰✁ ♌☠✁☒⓿♐✉﴾[3].

ولعل ذلك مما يدل على تعلق الطبع بالجانب القلبي المحض –القلب المعتقد–، وتعلق الختم بالجانب الفكري –العقل– أو بهما جميعا لأن القلب حاكم على العقل فينطبع العقل بما ينطبع به.

غير أن ذلك يرد عليه ما تقدم من وقوع استعمال الختم في القلب وحده واستعمال الطبع في القلب معطوفا على السمع والبصر، ولو لم يقع ذلك في كليهما في كتاب الله إلا مرة واحدة؟!

فأما الجواب عن الآية التي وقع فيها استعمال الختم في القلب وحده فيبدو سهلا نسبيا؛ ذلك أن هذه الآية من دون سائر الآيات الأخرى تتعلق بقلب رسول الله صلى الله عليه

---

[1] البقرة: 7.

[2] الأحقاف : 23.

[3] الشورى: 24، وانظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص227 و 425، دار الفكر، بيروت، 1407-1987.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وسلم: [illegible] [1].

والآية تنص على أن المشركين يزعمون –في حماقة– أن النبي صلى الله عليه وسلم قد افترى على الله كذبا، والله –عز وجل– قادر على أن يختم على قلبه –إن فعل– وأن يمحو الباطل، قال البغوي:" بل يقولون –يعني كفار مكة– [illegible]: قال مجاهد: نربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم وقولهم إنه مفتر، وقال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية "[2].

فقد ذكر البغوي في معنى الختم قولين:

- أحدهما: الربط على قلبه –عليه الصلاة والسلام– بالصبر فلا يشق عليه أذاهم وبه قال مجاهد.
- والثاني: طبع العقاب الذي تقدم الحديث عنه وبه قال قتادة.

قال اليماني:" وبالتتبع نجد أن الختم وغيره على القلوب لا يكون إلا بعد تماديها في الكفر والعصيان فيكون ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم للكفر وتكذيبهم الرسل باختيارهم ومشيئتهم ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بربه فلا تصدر عنه المعاصي. ثم إن الختم إغلاق على القلب بما حوى، فلا يخرج منه ولا يدخل إليه شيء، وقلب المصطفى مليء إيمانا فالختم على قلبه الشريف يكون بعدم المبالاة بتكذيبهم إياه ... "[3].

---

[1] الشورى: 24.
[2] تفسير البغوي 126/4.
[3] سلمان زيد سلمان اليماني، القلب ووظائفه في الكتاب والسنة ص371-372.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فترجح من خلال هذا أن المقصود بالختم في هذه الآية شيء غير الختم المرادف للطبع، ولما كانت الآية الوحيدة التي ذكر فيها الختم مقصورا على القلب وحده، فإن هذا يؤكد ما تقدم من تعلق الختم بالقلب المفكر المدرك قرين السمع والبصر.

وأما الآية التي جاء فيها الطبع على القلب مقرونا بالسمع والبصر فهي قوله تعالى من سورة النحل: [illegible].[1]

وقبل النظر في الآية يجب أن نتذكر قول ابن القيم: "... معنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق منه فلا يدخله شيءٌ ... [وهما] يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق"[2]، وما ذكر الفيروزآبادي من كون الطبع أخص من الختم وأنه يتضمن تصوير الشيء بصورة معينة.[3]

ثم إن سورة النحل التي جاءت فيها الآية اختصت بالعرض المستفيض لدلائل الوحدانية ومظاهر النعمة، التي لا يغفل عنها من كانت له أدنى قدرة على الإدراك.

---

[1] النحل : 106-108.

[2] ابن القيم، التفسير القيم، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، ص143، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت ط.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 289/4، المكتبة العلمية، بيروت، د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وفي نفس السورة آية قريبة من معنى الآية التي هي موضوع النظر، وقد جاء فيها تحديد وظيفة السمع والبصر والفؤاد:﴿❒◆✁✍✎✦ 🕮❒⌘⇗❷♦♉◰▤⇗☠ ☠⇗▤◰♉⇗✋⇧✎✁✍✎❒◆✁✍ ... ﴾[1].

فالعباد حين خروجهم من بطون أمهاتهم لم يكونوا يعلمون شيئا " ... ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي بها يحسون المرئيات، والأفئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل على التدريج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده..."[2]، وبتوظيف السمع والبصر والفؤاد يحصل الإدراك والتعلم.

والذي يهمنا هنا هو أن السورة قرنت السمع والبصر بالفؤاد الذي هو مرادف من مرادفات العقل[3]، وقد بين ابن كثير أن المقصود به القلب المفكر أو العقل، وذلك يقودنا إلى تغليب أن يكون المقصود بالقلب المطبوع عليه في الآية الأخرى أيضا العقل كما يؤكده عطف السمع والبصر عليه. وهو ما يجعلنا نتساءل: لماذا نسب إليه الطبع في هذه الآية من دون سائر الآيات الأخرى؟

يبدو أن الآية تتحدث عن فئة خاصة من الناس لم يتوقف الطبع عندها عند حد القلب بل وصل إلى العقل والسمع والبصر، فالآلة عندها ليست معطلة ولكنها تعمل في الاتجاه الخاطئ فهي تقلب الحقائق وتصبغ الأشياء وتظهرها على غير ما هي عليه، والملاحظ أن هذه الفئة من الناس حدث لها مسخ كلي، ولذلك فهي:

---

[1] النحل: 78.
[2] تفسير ابن كثير 580/2.
[3] انظر تفسير القرطبي 189/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

1- تختار الكفر بعد أن عرفت الإيمان: [illegible].

2- تنشرح صدورها للكفر على خلاف مقتضى الفطرة: [illegible].

3- تستحب المتاع الدني الفاني على الجليل الدائم: [illegible].

فالفئات الأخرى من الكفار أثر الكفر في قلوبها وانسحب ذلك على العقل والسمع والبصر فتعطل وختم عليه، أما هذه الفئة فإن الكفر أصاب فيها عمق العقل والسمع والبصر كما أصاب القلب، وقد يكون من مؤيدات هذا المعنى أن الآيات التي ذكر فيها الختم على القلب المفكر وصفت فيها الأبصار بأن عليها غشاوة، والغشاوة شيء يعطل البصر ولكنه خارج عن الآلة –العين–، أما في الطبع فلم يأت ذكر للغشاوة [illegible]

وذلك ما يوحي بأن العطب في عمق الآلة والله أعلم.

فنخلص من ذلك إلى أن الطبع شيء أخص من الختم، ومتعلق بالدرجة الأولى بالقلب المعتقد، وقد يتعداه عند طائفة من الكفار إلى العقل المفكر .

2- الأكنة:

وقع النص على أن على قلوب الكفار في أكنة في قوله تعالى: [illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

كما أخبر عنهم أنهم وصفوا أنفسهم بأن على قلوبهم أكنة، قال تعالى:﴿ [illegible] ﴾.[2]

فأما الأكنة فهي: الأغطية، واحدها كنان.[3]

وأما الوقر فهو:" الثقل في الأذن المانع من السمع، فهو الصمم ".[4]

والآية تنص على أن هذه الأكنة متفرعة عن عدم إيمانهم باليوم الآخر، وجاء في آية أخرى تقرير نتيجة ذلك وهي انصرافهم عن الحق وعدم فقههم له:﴿ [illegible] ﴾.[5] فبسبب أن على قلوبهم أكنة فإنهم لن يهتدوا أبدا.

ولكن ما معنى إخبارهم هم عن أنفسهم بأن على قلوبهم أكنة؟

يظهر أن كلامهم هذا وقع على جهة الاستهزاء والتيئيس، قال الطبرسي:" وإنما قالوا ذلك ليؤيسوا النبي صلى الله عليه وسلم من قبولهم دينه، فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء

---

[1] الإسراء: 75-76.

[2] فصلت. 5.

[3] انظر: أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، ص71، تحقيق: د. يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ، ط1: 1410-1999.

[4] أبو محمد عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج9/ص99، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبدالعال السيد إبراهيم، ط1: 1408-1987.

[5] الكهف: 57.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فلا يصل إليه ما وراءه ... "[1]، وهم في نفس الوقت لم يكونوا يعلمون أن ما قالوه على سبيل الاستهزاء قد وقع بهم حقا، فأخبر سبحانه أنه قد جعل على قلوبهم بكفرهم أكنة فلا يصل الحق إليها.

3- الأقفال:

ذكرت الأقفال في قوله تعالى:﴿🕮❒▫⬧•☒• ③⬧☝⬧⑨⬔☒⬛✹❷⬉❒♌⬧ ✁☞☜◉⬂⬀◗➔❷⬃⬈⬧✁♍♐ 🕮❒➔⇧ ⬉⬧✍■❼🗐 ♙➔⬛➔❏⚇✌ 🕮❒♙⬂⬛☒☞◉⬈♑⬜☞✎ ⬀✍✂✂⬀ ﴾[2].

والآية تتحدث عن المنافقين، وهم مندرجون في عداد الكفار بالنظر إلى حقيقة ما تكن قلوبهم، ويستبعد أن يكون هذا الوصف مما يختصون به من دون سائر الكفار لأنه مرتبط بالباطن الذي يشتركون فيه معهم.

والاستفهام في الآية:" للإنكار، والمعنى: أفلا يتفهمونه فيعملون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة التي تكفي من له فهم وعقل وتزجره عن الكفر بالله والإشراك به والعمل بمعاصيه، أم على قلوب أقفالها "[3].

و" أم " بمعنى: بل، أي " بل على قلوب أقفالها فهم لا يفهمون ولا يعقلون "[4]، " وذكر الأقفال استعارة، والمراد أن القلب يكون كالبيت المقفل لا يصل إليه الهدى "[5].

قال الشوكاني:" ومعنى الآية: أنه لا يدخل في قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر والشرك لأن الله سبحانه قد طبع عليها "[6].

إذن فقد قررت الآية أن على قلوب الكفار أقفالا وهي أخت الطبع والختم والأكنة، وسيأتي الحديث عن الفروق بينها -إن شاء الله-.

---

[1] أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، روح البيان ج9/ص4، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1418-1997.

[2] محمد : 24.

[3] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ج8/ص38، دار الفكر بيروت، د ت ط.

[4] نفسه.

[5] أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ج1/ص462، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3: 1404هـ.

[6] فتح القدير 8/38.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

4- الصرف:

جاء صرف القلب في الحديث عن المنافقين أيضا، قال تعالى:﴿▪☠➔⚐ ✦✎✍✁ ☙❼◆❸✽⌚ 🗐 ☎✁❑➔▫◆❷✽⌚☼✍✁ ·◆ ⮜⚐⇗❑⬩♫ ⬀☠⬋✆❑⌘❑🕯⚡✉ ☠⬋✆◆▯❑➔▣➔♫ ③◆⌧▦⬂◑⬩♑⬅❑♌◆ ⬃⬀♓♑⬂⬁﴾[1]. وما قيل في الأقفال من قبل يقال هاهنا في الصرف، أي اشتراكهم مع الكفار فيه.

وقد جاء الصرف في الآية مفرعا عن انصرافهم عن الاستجابة للحق وقبولهم له، ووقع النص عليه بصيغة تحتمل الخبر أو الدعاء، قال القرطبي:" [قوله تعالى]:﴿⌚✽❸◆❼☙ ✁✍✎✦ ♫➔▣➔❑▯◆✆⬋☠﴾: دعاء عليهم، أي قولوا لهم هذا، ويجوز أن يكون خبرا عن صرفها عن الخير مجازاة عن فعلهم، وهي كلمة يدعى بها كقوله ﴿♫⬩⌚✌◆▣■♑⬅⚐◑ ✁✍✎✦﴾[2] "[3].

وحتى على تقدير كونه دعاء فإنه هنا يفيد التحقق، وأما معنى أنه سبحانه صرف قلوبهم:" أضلهم مجازاة على فعلهم "[4].

وعليه فإن أهل الانحراف في الاعتقاد يصرف الله قلوبهم عن الحق، كما يختم عليها ويطبع.

4- القسوة:

قبل الحديث عن القسوة يجب أن نفرق أولا بين ما يتعلق منها بالأثر النفسي، وهي المذكورة في قوله تعالى من سورة الزمر:﴿▫⬩❑◆③⬃✍⮜ ◉♐ℯ⚡▣▫◑⬩⌚○⬁⓿◆❑⚡ ♫➔▣➔❑▯⬊✆⬋☠ ✌♓♊⚡ ❶⚡✉⬂❷⌧ ✦✎✍✁ 🗐 🕮⬆❑🕯◉♐⬩⌚✵⬦✍⌨⍓ ✗⚡❼ ⬂✽▣■⌚✍◉♐ ✌❿⌨⚡✓✗✌ ⬃⌧⌧⬁﴾[5] -ويأتي الحديث عنها في موضعها إن شاء الله-، وبين المتعلقة منها بالأثر الاعتقادي، وهي التي أخبر سبحانه

---

[1] التوبة: 127.
[2] التوبة : 30.
[3] تفسير القرطبي ج: 8 ص: 300
[4] أبو جعفر النحاس، معاني القرآن ج3/ص270، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة، ط1: 1409.
[5] الزمر: 23.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وتعالى أنه جعلها في قلوب اليهود بسبب نقضهم الميثاق، قال تعالى: ﴿◻♦⌛☒☺◻✍ ☼♦☽⬂⌫⬁☙☠ ✋♓☊♓☉☽♦♑⇽☠⬀

✍◻☉⇽♦☽♑⇽☠⬀ ✍◻☼◻◼◻➔◻♉◆◻
⌂➔◼➔◻✍◆♑⇽☠⬀ ♚◻◆➊◻☉☪ ☎
⑥➚◆◻➋◻✿◼➔◻♍☙ ✂✍✍☞⌛◻◼◻♑☙⌘ ♍◆♊
✌◻◻◆✂⬁⬂➔♑◻♑◻◷ · ◻◆◆◼◻◻◻✂☎ ◻◻➔◻✍
✋♓♑☺◻✍ ➊➔◻◻☞✂◻➋◻✂☎ ☜♑◻◻◷ 🗐 ◻◆♦••
✍♦➑◆✂✌⬉ ✍♦☽➔♑◼◻➚⇽ ⬉◆✍◼➐ 🗐 ❀♦☝✍★✍◻◻◻ ⌨
✋♓♑☸⬃✍⬋☠⬀ ☝♦◼◻➊◻⌖ ✋♓♑☸⬃✍⬋☠⬀ ☎
◻♦✍✍⬉⇧✂⇽ ⬉♦☸⬃✍⬋☠⬀ ◻◆✂✍◷⇧▦◻◻⇧ 🗐
☽♑♑◻ ✂✍✍☝⅄ ⑥➚◆♑◼➍
✂✍✍◻◻☺⇽♦⇔◻⬁☾♑✓▫☙ ⬀◻◻⬁ ﴾[1].

فإن اليهود لما نقضوا الميثاق الذي أخذه الله عليهم جعل قلوبهم قاسية، فلما قست قلوبهم صاروا يحرفون الكلم عن مواضعه. قال القرطبي:" القسوة: الصلابة والشدة واليبس، وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى "[2].

وهذا المعنى تكرر وصف اليهود به في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿⚐➔☠▪

⌂♦◻❁✵⇧ ⌂➔◼➔◻◻⬅◻➚☠ ✋♓♑♊◻ ◻➔♦⬃⑨♑
➊♦◷✍♑⌂ ▫♦♑♑⑥" ◻✍✍☒◻✍✍☐⬂♦♑✓◻✍✍⑥♦◻☙
⌂♦◻⇔◻♦◻☪ 🗐 ◻◻◆♑◻♌◻ ✋♑♊⌘ ◻◻◻⬃ ◻◻◻◻⅄◻⑨⑥
✂✍✍◻⬂♦♑✗◻✍✍⑥♦◻☙ ☜◻♦③☞♦▦◻✗◎➋⬉
✋♑☪⬃◻⬅ ✍✍❀☞☼⬃♑◻◻➋⬉ 🗐 ◻◆♑◻♌◻
✍✍◻☺♦◻✍✍ ④◻⌖◎☽◎◻⬅ ▫♦⑩◆②⬃➋⬉●⇽
✋♑✡⬃◯⬅ ✂✍✍⬂☺◻✍✍✍➚↓ 🗐 ◻◆♑◻♌◻
✋♑☸⬃✍◻✍✍ ✋◻☺◻✍✍ ⑨◆✍⬀⌛♑➊➚ ✋♑♊⇧
⌘◻⌖⇧⑩◆◻♑ ✂✍✍✍★ ▤ ◻◆✋✍✍ ✂✍✍✍✦
✍✍☞✍✍ ⬉◆☺●✍✍ ✍•➔⬃☺◻◼➔◻♌◆
﴾⬀♑♑⬀﴿[3].

وقد نصت الآية على أن هذه القسوة قد بلغت مبلغا يفوق في وصفه ما يتصف به الصخر الذي قد يتفجر بالأنهار أو يشقق فيخرج منه الماء أو يهبط من خشية الله.

---

[1] المائدة: 13.

[2] تفسير القرطبي 462/1.

[3] البقرة: 74.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

7- **الرين**: ذكر الرين على قلوب الكفار في قوله تعالى:﴿ ☎ ·☒☒✍✍ ☠✗✗✗▯❑➔▣➔♗ ▤❼■✍♦⇖ ♦♌✄♦❻ ▤⇗✍♦✉ ⇪⇗✗⇗ ♦♌❑⇦⌛⇖○⇖▤♦③ ☎✄❑⇦☼♗☒✍ ✍❑✌ ﴾[1].

وقد جاءت الآية نافية لدعوى المكذبين أن الوحي أساطير الأولين، ومقررة أن تكذيبهم مرده إلى أنه قد ران على قلوبهم سوء عملهم، فهي " ... بيان للسبب الذي حملهم على قولهم بأن القرآن أساطير الأولين "[2].

ومعنى " ... ﴿❻♦✄♌♦ ⇖♦✍■❼▤ ♗➔▣➔❑▯✗✗✗☠﴾: .. غلب على قلوبهم وغمرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها، يقال منه: رانت الخمر على عقله فهي ترين عليه رينا وذلك إذا سكر فغلبت على عقله "[3].

قال ابن كثير:" والرين يعتري قلوب الكافرين والغيم للأبرار والغين للمقربين "[4]. فجعل الرين شيئا خاصا بالكافرين، بينما جعل مصطلح الغيم خاصا بالأبرار والغين بالمقربين، ويبدو أن مستنده في ذلك حديث:" **إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة مرة** "[5].

وهذا الرين مرده إلى غلبة الذنوب على قلب العبد، قال السجستاني:" أي غلب على قلوبهم كسب الذنوب كما ترين الخمر على عقل السكران، ويقال: ران عليه النعاس ورتن به إذا غلب عليه "[6]. ومعنى أن يغلب على قلبهم كسب الذنوب بلوغهم إلى مرتبة لا يملكون فيها أمرهم، "قال أبو زيد: يقال قد رين بالرجل رينا: إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به "[7]. وقد بين ابن جرير صفة وقوع ذلك فقال:" والحق في ذلك

---

[1] المطففين : 14.
[2] الشوكاني، فتح القدير 5 / 400.
[3] ابن جرير، جامع البيان 97/30.
[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 486/4.
[5] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ج:4، ص2075، ح2702، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت ط.
[6] السجستاني، نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن ص248.
[7] الشوكاني، فتح القدير 400/5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عندي ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا به محمد بن يسار ... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كان نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه، فذلك الران الذي قال الله جل ثناؤه:﴿ 🗐⬀✍♦🖃 ☎ ·☒☒🖅 ❻♦♌✁♦⇖ ♦✍■❼🗐 🕭➔🖪➔❑🗓✎&✎☠ ✍❑✌ ☒🖅☼🕭❑➔✁☎ ③♦▤⇖○⬀⌛➔❑♌♦ ﴾ "[1]، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها، وإذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله:﴿ ⌘☞⍓♦☠⌘ ✁✍✎✦ ⇖♦✍■❼🗐 🕭➔🖪➔❑🖃♎♑♎☠⬀ ❑♦⇖♦✍■❼🗐 ♎➔♑♎☠⬀ ﴾ نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها "[2].

فقد نص ابن جرير على أن هذا الران يتكون بتتابع الذنوب وترسب آثارها على قلب العبد حتى تغطيه تغطية كاملة، مستدلا على ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أشار إلى ارتباط ما بين الران وما ذكر آنفا من الطبع والختم والغلف –الأكنة–، وهو ما يدفعنا إلى السؤال عن العلاقة بين هذه المسميات؟

العلاقة بين الختم والطبع والرين والأقفال والأكنة والصرف:

ذكر المفسرون أن هذه المسميات بعضها أعلى درجة من بعض وإن كان جميعها يؤدي إلى نتيجة واحدة، فروى ابن جرير بسنده عن" عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول: الران

---

[1] وهو في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا 128/1- 129.

[2] جامع البيان 112/1-113.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد ذلك كله "[1]، " وقال أبو معاذ النحوي:" الرين أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين، والإقفال أشد من الطبع "[2]

فكأن مجاهدا نظر للصورة الحسية للختم:" مصدر ختمت الشيء ختما فهو مختوم ومختم شدد للمبالغة، ومعناه: التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء، ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل إلى ما فيه ولا يوضع فيه غير ما فيه "[3]، فإن الإنسان إذا أراد أن يمنع من وصول شيء إلى ما يروم ختمه:

1- بدأ بتغطيته فيكون على هيئة الذي ران عليه غطاؤه أي غشيه.
2- ثم يغلق عليه غطاءه فيختمه ويطبع عليه.
3- فإذا أراد أن يستوثق أكثر من إحكام هذا الغطاء جعل عليه أقفالا.

وكلام أبي معاذ النحوي يندرج في السياق نفسه.

وذلك يدل على أن الإنسان يمر بهذه المراحل واحدة بعد واحدة، حتى يصل إلى مرحلة لا يرجع فيها عن غيه أبدا، ولا تؤثر فيه كل حجة. وذلك ما يقودنا إلى مسألة أخرى وهي تأثر فكر الكافر بعقيدته الفاسدة.

ب- أثر الكفر على المستوى الفكري:

وصف القرآن الكريم الكفار بالصمم والبكم والعمى وعدم العقل، وبأن حالهم كحال الأنعام التي لا تفهم من الخطاب إلا الدعاء والنداء، فقال تعالى: [illegible] [4].

1 تفسير الطبري 112/1.
2 الشوكاني، فتح القدير 400/5.
3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 185/1-186.
4 البقرة: 171.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قال النسفي في بيان معناها:" ﴿❒◆✌◆✞⬧⬉ ✍☺✍⬆⍓⍝⬦×◆ 🗏•▤☒❷⬉❒✍☎ ﴾: المضاف محذوف أي: ومثل داعي الذين كفروا ﴿✍☒☺⬜✞⬧⬀ ✍☺✍⬆⍓⍝❽ ③◆☾⬃➔⍝✉← ﴾ يصيح، والمراد ﴿▤⍝▦❐☺ •• ③◆○⬄☺⬜➚← ☽⍝• ⑩←⬉◆☺✍➚☯ ❒◆☼⍝⑨⬜✍➚☯ 🗐 ﴾: البهائم، والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار، كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها، ولا تفقه شيئا آخر كما يفهم العقلاء، والنعيق: التصويت يقال: نعق المؤذن ونعق الراعي بالظأن، والنداء: ما يسمع، والدعاء: قد يسمع وقد لا يسمع، صم: خبر مبتدأ مضمر أي: هم: صم، بكم: خبر ثان، عمي: عن الحق خبر ثالث، فهم لا يعقلون: الموعظة ".[1]

فضربت الآية للكفار مثلين:

- المثل الأول: مثل الأعمى الأصم الأبكم الذي لا يعقل في عدم إدراكهم للحق أو استجابتهم له.
- المثل الثاني: مثل الأنعام التي إن سمعت فإنها لا تفقه مما تسمع إلا الصياح والدعاء والنداء.

وهذا الوصف تكرر للكفار في سورة الأعراف مرة أخرى كما قال تعالى:﴿
❒◆⍝•☽•⑨⇳ ❶•❻◆🕮▫☼◆✍ ⍝✍⬀⍝⬜♑⬜✡⬜⚐⌘
🗏•⌖⍝❷❸☾✁ ⍝✍♓⍝⍝ ✁✍⍝💻⬂♑⬀♊♎⬗
❒◆✁✍“☼▪⬂ ☎ ▭○●←☠⬀ ⍝❒➔⍝➔❒⚇⍝ •◆
③◆▦⬂⍝•♑←❒♍⍝ ⍝✍⍝✍❒ ❒◆▭○●←☠⬀ 🕮❒⬉⇳✓⬉×⊀
•◆ ⬉③⬉⌨⬀⬗⬘❸←❒♌◆ ⍝✍⍝✍❒✍ ❒◆▭○●←☠⬀
④❒○⬄☺◆➔⬉❒♌◆ ⍝✍⍝✍❒✍ 🗐
➚◆✁❶•✁♌⊀ •◆
🕮❒⬆⍝🕓•⍝⍝✱⬙⍝⌨⬜ ⍝✍☒⍝✍✿☞☼⬀⍝🕓⍝⚐✍ ⍝✍⬧◆⍝⬀
⍝→⍝⍝ 🕮❒⬆⍝🕓•⍝⍝✱⬙⍝⌨⬜ 🗐 🕮❒⬂✽⍝❻ ⍝→☠⬉
✁✍⍝⍝⬂⬄◆🕓▦⍝❐➔❒♍⍝ ⬀⍝⍝⬗⬘ ﴾.[2]

[1] النسفي، تفسير النسفي 48/1.

[2] الأعراف : 179.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهذه الآية تزيد في بيان شيئين:

- أحدهما: أن ما وصفوا به في الآية الأولى من العمى والصمم وعدم العقل ليس مرده إلى عطب خلقي في الآلة، ولكن إلى شيء آخر؛ فهم لهم قلوب -أي عقول[1]- ولكنهم لا يفقهون بها، ولهم أعين ولكنهم لا يبصرون بها، ولهم آذان ولكنهم لا يسمعون بها، " فالذي يسمع ما جاءت به الرسل سمعا يعقل به ما قالوه ينجو و إلا فالسمع بلا عقل لا ينفعه "[2].

- والثاني: أنهم أشبه بالأنعام التي لا تعقل من الخطاب إلى الصياح والدعاء والنداء، " ﴿☞♦✍⚖➔☠⌂ 🕮❒⮹✿✍❻﴾: أي من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أبس بها وإن لم تفقه كلامه، بخلاف هؤلاء، ولأنها تفعل ماخلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به "[3].

وهذا الوصف يجعلهم لا يستجيبون للحق سواء عليهم في ذلك أأنذروا أم لم ينذروا: ﴿
☎✂❒⇱❷⊠▦⊠✍ ✂✍✎⮝🔔♎⇦▫☞ ❒♌♐◑
⇔⚐♐♑⇘⑩■⬛♦⇲ ⇙⇗✎✂♦❒⌂♎
⌂☠⬧♈ ⬂⮹❒🕮 ⌂☠←♑⬧✍⌂❻⊠⓿☼❒🕮♦⇗
⌘☠♦☞⌂⌘ ⬗♎⬀ ♦♌❒⇱☪♎✌⬃⬧⇱③ ⬧⬧ ⌂☠➔♎⌂❻⬁⓿☪➔✍
✂❼■✍♦⇱♦❒ ⌂☠♐♑♐✉❒➔⬛➔🔔 🗐❼■✍♦⇱ ✦✎♎✂
✂❼■✍♦⇱♦❒ ☎ ⌂ 🗐☠♐♑♎➔⇳☺♎
⌂☠←♑⬧♈♦❒ ☎ ⮘❒♦❒◷♦⌖♎⬊ ⌂☠♎♎▩❷◷✿◷⌂✉❒🕮
⇱♦⓿⊠✂☸⇱ ⇱♦➔♎⑩⚐♐ ♐⬀ ⬗ ﴾[4].

وهذه الآية تكشف عن السبب الذي لأجله لا يعقلون ولا يسمعون ولا يبصرون مع عدم وجود عطب خلقي في الآلة؛ وهو أنه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم، وأن على أبصارهم غشاوة: فأما الختم فقد تقدم معناه، وأما ﴿⬊♎⌖♦◷❒♦❒⮘ ☎﴾ فـــ " خبر مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله جل ثناؤه عليه من جوارح الكفار الذين مضت

---

[1] انظر ص2 من المبحث الأول من هذا البحث.

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 181/16، جمع: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، د ت ط.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 269/2.

[4] البقرة: 6-7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قصصهم، وذلك أن غشاوة مرفوعة بقوله:﴿✂❼■✍♦⇖♦❒﴾ ﴿🕮❒✍⇗🕐✿🕐❷⊠♎♌☠⇗﴾، فذلك دليل على أنه خبر مبتدأ وأن قوله: ﴿⌘⊡☞♦☠⌘ ✂✍✎✦﴾ تناهى عند قوله ﴿❒♦⇖♦✍■❼✂﴾ ﴿♒☺⇳➔♌♑♎☠🗐﴾، وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين: أحدهما: اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة بتصحيحها وانفراد المخالف لهم في ذلك وشذوذه عما هم على تخطئته مجمعون، وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهدا على خطئها، والثاني: أن الختم غير موصوفة به العيون في شيء من كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موجود في لغة أحد من العرب، وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى:﴿⇖♦✍■❼🗐 ❧⊠⊞⇘➔♌❍♌🕗 ❒♦🔔⬧▫🖮♎❍♌🕗﴾، ثم قال:﴿❒♦♉⊡➔⊡✎• ⇖♦✍■❼🗐 ✍♦⬗✿❸♎■⌀🕗﴾، فلم يدخل البصر في معنى الختم وذلك هو المعروف في كلام العرب ... "[1]، [2].

" ... والغشاوة وهي الغطاء يكون على البصر "[3]، كما روي عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.[4]

هذا وقد تكرر هذا الوصف لعدم قبول الكفار للحق بصورة قريبة من هذا في سورة يس، قال تعالى:﴿◗♎☼✱✍ ♉⊡➔⊡▫☪♦✍ ×♎❼☑ 🕮❒⇖⇳✡❒🕐◗☜♑♎☠⇗ 🕮❒⇘⬛■🕐⊠⌖ ▫⬧♑♎❻" ◗♎⊟■⑥ ✂✍✿☞❶⇘🔔⬧✍♌⊅ ▫⬧♑⇐☠ ✌❿◗⇘☺⊡⇐⬧❒♌♦ ⇗♎⇍ ❒♦♉⊡➔⊡▫☪♦✍ ✌♎♊✍ ✍✓⇙×⇗ 🕮❒③⇙⑨☜⑨&♌☠⇗ ♒⊡⑨♦✂ ❒✌♎♊⇳ ⌘⊡▫⊞♎♑♒⚐⇔ ✂⑨⊡♒ ▫⬧🕯❒➘⇘⊕♦❿⇘✡❒🕐♑⇐☠⇗ ▫⬧♑⇐✳●⇳ •• ③⇖🖮⇗⇖⇘❸⇐❒♌♦ ⇗♎⇍ ❒♦♒⊡❒✂✎⇗⇙ ⇖♦⬛■❸⇗&♌☠⇗﴾

[1] الجاثية: 23.
[2] ابن جرير، جامع البيان 114/1.
[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 47/1.
[4] نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⇔⚐⬧♒︎ ⇧✈❒🕮 ⬀☠︎⇦♑︎⬧✍︎⬀❻☒⓿☼❒🕮◆⬈
✍︎➔☾⓿☞❻⬀♎︎➔☠︎⬀ ⬧⬧ ③⬉⬧⬃✌︎⧓☾⬉❑♌︎⬧ ⬀☞⬂⬁⬀⚙︎ [1].

وقد " ... مثلت حالهم بحال الذين غلت أعناقهم ﴿❑⬧♑︎⧓❻﴾: أي الأغلال منتهية إلى الأذقان، فلا يقدرون عند ذلك على الالتفات ولا يتمكنون من عطفها، وهو معنى قوله:﴿ ❑⬧♑︎⇦☠︎ ✌︎❿☽⬂☺⬜⬧⇦❑♌︎⬧ ﴾: أي رافعون رءوسهم غاضون أبصارهم ...

فلفظ هي كناية عن الأيدي لا عن الأعناق، والعرب تحذف مثل هذا ونظيره:﴿ ⬝❸◆🕓︎⬂⧓⓿⬥︎⬧ ✍︎⬧☽☞⓿⌛︎➔☠︎⬉ ✃︎⬀⬀♒︎⬂⬧⬜❷▪ ﴾[2]: وتقديره وسرابيل تقيكم البرد لأن ما وقى من الحر وقى من البرد، لأن الغل إذا كان في العنق فلا بد أن يكون في اليد ولا سيما وقد قال الله ﴿❑⬧♑︎⧓❻" ☽⧓🖫■⑥ ✃︎⬀⬀⚘︎☜︎❶⬂🔔︎⬧⬀♌︎⬁ ﴾، فقد علم أنه يراد به الأيدي ﴿❑⬧♑︎⇦☠︎ ✌︎❿☽⬂☺⬜⬧⇦❑♌︎⬧ ﴾: أي رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق، لأن من غلت يداه إلى ذقنه ارتفع رأسه ... ﴿❑⬧♈︎❑⬧⬜➔⬜⬧⬜❏☾◆⬀ ✌︎⧓♋︎ 🖏︎
⬀⬃✔︎⬃✖︎⬁ 🕮❒③⬀⑨☞⑨⚘︎&⬉☠︎⬀ ⬂⬜⑨◆✃︎ ❒◆✌︎⧓♋︎⇧ ⌘⬜⬛︎▫︎▦✌︎⧓♑︎⧓⚐⇔ ⬂⬜⑨◆✃︎ ﴾: أي منعناهم عن الإيمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد، والسد بضم السين وفتحها لغتان ... ﴿▫︎⬧🕯︎❒➘⬂⌖︎◆❿⬂✡︎❒🕒︎♑︎⇦☠︎﴾: أي غطينا أبصارهم ﴿ ▫︎⬧♑︎⇦☼︎💣︎﴾ بسبب ذلك ﴿⬧⬧③⬉⌨︎⬀⬁⬂❸⇦❒♌︎◆ ﴾: أي لا يقدرون على إبصار شيء، قال: الفراء فألبسنا أبصارهم غشاوة: أي عمى فهم لا يبصرون سبيل الهدى ... "[3].

وهذه الآية خلافا لآية البقرة:

- لا تنص على ختم في القلب بينما تنص آية سورة البقرة عليه.
- لا تنص أيضا على ختم على السمع خلافا لآية سورة البقرة.

---

[1] يس: 8-10.
[2] النحل: 81.
[3] الشوكاني، فتح القدير 360/4-361.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- تجعل العطب خارجا عن الآلة؛ فالسد والأغلال وإن كانت مانعة من الإبصار، فإنها شيء لم يؤثر في البصر حقيقة.

هذا والملاحظ أن الغشاوة المذكورة في آية سورة البقرة هي أيضا شيء خارج عن عمق الآلة —أعني آلة الإبصار-، غير أن الغشاوة إذا كانت على العين فهي مانعة للبصر منعا كليا، أما السد والأغلال فهي تترك مجالا ما للإبصار —والله أعلم-.

فلعل الآيتين تتحدثان عن درجتين مختلفتين من العمى تكون إحداهما أكبر من الأخرى.

وقد جاء في آية سورة النحل ما يجعل العطب في عمق الآلة، بل يجعله طبعا بأثر لا يزول، كما يجعله شاملا للقلب والسمع والبصر:﴿❁📖⬆❒🕯◆⌚☸◇✎①☙ ✁✍✏⯅🔔✎⇦▫☙ ◐♦⌨◆➚⊠ ✁✍✏✦ ↖◆✍■❼🗐 ❒◆♋☺⊠⇳➔✎♑✎🏳⇦ ⍝➔🖫➔❒🖃✎♑✎🏳⇦ ❒◆📖❒⇗⌚❁⌚❷✿♎✎☠⬀ ☎ ❒◆📖⬆❒🕯◆⌚☸◇✎①☙ ♎➔☠↖ ✁✍🖲◆⌚▦✎🖫➔❒♍☙ ⇗✎⬀⇨⬂ ❁﴾ .[1]

و " ... الطبع أثر يثبت في المطبوع، ويلزمه، فهو يفيد من معنى الثبات اللزوم ما يفيده الختم، ولهذا قيل: طبع الدرهم طبعا وهو الأثر الذي يؤثر فيه فلا يزول عنه، كذلك أيضا قيل:" طبع الإنسان " لأنه ثابت غير زائل، وقيل:" طبع فلان على هذا الخلق " إذا كان لا يزول عنه، وقال بعضهم: الطبع علامة تدل على كنه الشيء، وقيل:" طبع الإنسان " لدلالته على حقيقة مزاجه، من الحرارة والبرودة، وطبع الدرهم علامة جوازه، ولذلك فمن ختم على قلبه —والعياذ بالله- يمكن أن ترجى توبته، أما من طبع على قلبه فقد منه الأمل ".[2]

إذا فهؤلاء صار العمى والصمم بالإضافة إلى انغلاق القلب والعقل طبعا لهم لا يزول ولا ترجى لهم منه توبة، وقد يثوب المذكورون من قبل.

هذا وقد أشارت آية أخرى إلى دور الهوى في هذه التعمية والتغشية والختم، قال تعالى:﴿ 📖❒▫♦❷◆➚◆③⬀✴❁ ✌◆♊⇨ ✁✍✌✦③♦⓿⊠ ☽✎⌚♦♑⊠○⬅⌚ ♎⊠❒◆📂○⬅ ❒◆📖❒⇨✿✁⯅📖↖ ✦✁✍✏✦ ↖◆✍■❼🗐 ↘✎🖫▫🏳▯ ❒◆⌘⊠⬇♦☹♦ ↖◆✍■❼🗐

---

[1] النحل: 108.

[2] ياسين جاسم المحيمد، من لطائف القرآن الكريم ص22، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1422-2001.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

•✍⍓➔⍓♉◆❒ 🕘♑❍♐⌨□🖬⬧🔔◆❒ 🕘♑❍♑➔⬂⊞⌧☙
♊⍓☺⬧□ ☪❑◆❑🕛⧫⌖♑➘ 🕘♐■♐❸✾⬖⧫☜ 🗐❼■✍⧫⬉
🗐 ★✐☞✃ ♑⑨⬃➔⧫☜ ☝♊♑✌ ♑❍③♑⑨⬀☠◆⑨
🗐❑⧫⌧⬧➋⬉❒♌⧫ ⬀▨⛝⬖ ✽[1].

والآية تقر نفس ما ذكر من قبل من الختم على القلب والسمع، والتغشية على البصر، وسياقها يربط الأمر بالهوى، أو كما جاء فيها:✽🕮□⬧❷⧫⬈◆③⬃☼✾ ♊⬧⧫☝✃☞✌✦③⬧⓿⌧ ♈♑❍♐⬧🕛♑⍓❍⬅ ♎⍓⍓◆❑🗁❍⬅
✽: وهو "... إشارة إلى الأصنام إذ كانوا يعبدون ما يهوون من الحجارة، وقال قتادة: المعن لا يهوى شيئا إلا ركبه لا يخاف الله، فهذا كما يقال: الهوى إله معبود "[2].

وعلى هذا فالختم والتغشية لها ارتباط بتأليه الهوى؛ فصاحبه لا يعمل عقله وسمعه وبصره لإدراك الحق، و " إنما يأتمر بهواه؛ فمهما رآه حسنا فعله، ومهما رآه قبيحا تركه "[3]، وما وافق هواه هو الحق الذي قامت عليه كل حجة، وما خالف هواه هو الباطل البين الجلي.

وعليه فالذين كفروا قد تعطلت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم فصاروا كالأنعام أو أضل منها، وأثرت أهواء نفوسهم على موازينهم فاختلت وصار حكمهم على الأشياء تبعا لها، وهم في ذلك درجات بعضهم هو كالمغلول الذي من بين يديه ومن خلفه سد، وبعضهم قد غشي على بصره وختم على سمعه وعقله، وبعضه طبع على عقله وسمعه وبصره فلا ترجى له توبة ولا يتوقع للطبع الذي على عقله وسمعه وبصره زوال.

هذا عن أثر العقيدة الفاسدة على مستوى الفكر، فما أثرها على المستوى العملي؟

3- الأثر العملي:

---

[1] الجاثية : 23. :

[2] عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن 145/4، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د ت ط.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 151/4.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عندما ابتعث الله رسله إلى الناس، جاؤوا ليصلحوا فسادا عقديا وانحرافا في الأعمال والسلوك، ولقد خلد القرآن الكريم جهاد هؤلاء الأخيار وجهدهم وقصه في سور كثيرة[1]، وإننا إذا نظرنا في شيء من ذلك وجدنا أن هذه الدعوة كانت دعوة واحدة، وأهم من ذلك في هذا المقام أنها اعتمدت أسلوبا واحدا؛ فكانوا –عليهم السلام– جميعا يبدؤون بالدعوة إلى إصلاح العقيدة، ثم بعده إلى إصلاح السلوك والعمل، ففي سورة الشعراء:

– [illegible][2].

– ثم [illegible]

[1] انظر مثلا: سور الأعراف، هود، الأنبياء، المؤمنون، الشعراء، القمر ...

[2] الشعراء: 105-110.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

– ثم [illegible] .[2]

– ثم [illegible]

---

[1] الشعراء : 122-131.

[2] الشعراء : 141-150.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible].[1]

– ثم [illegible].[2]

قال الرازي تعليقا على قول نوح عليه السلام –وهو قول جميع الرسل من بعده-:" واعلم أن القوم إنما قبلوا تلك الأديان للتقليد، والمقلد إذا خوف خاف، وما لم يحصل الخوف في قلبه لا يشتغل بالاستدلال، فلهذا السبب قدم على جميع كلماته قوله [illegible] ..."[3].

فالرازي يبين هنا أن الدعوة إلى التقوى وتحريك الخشية في القلب يثير في النفس ما يؤدي إلى تصحيح الانحراف وإدراك الحق، ثم يبين أنها الدافع إلى التزام الطاعة واجتناب الانحراف، قال:"وإنما قدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته، لأن تقوى الله علة لطاعته، فقدم العلة على المعلول"[4]. وكلامه صريح في أن العلاقة بين العقيدة والعمل علاقة العلة والمعلول، وهو ذات ما يقوله البقاعي:" [illegible]: أي تكون لكم تقوى، وهي خوف يحملكم على أن تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية بطاعته بالتوحيد وترك الالتفات إلى غيره"[5].

---

[1] الشعراء : 160-166.

[2] الشعراء : 176-180.

[3] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب 133/24، دار الكتب العلمية، بيروت ط1: 1411-1990.

[4] نفسه.

[5] نظم الدرر 374/5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولما كنت التقوى مثمرة للأعمال صالحة، كان ضدها وهو الكفر منتجا لضدها؛ أي الكفر والمعاصي.

على أنه قد وردفي القرآن الكريم ما ينص على وجود أثر سيء للمعاصي على قلب الكافر، كما قال تعالى:﴿☒☒· ☎ ❻◆✁♌♦ ⇱♦✍■❼▤ ♎✍◆➔◆❑⇱⇱ ☒✆☠ ✌☐✍ ☒♎☼←❑✁☎ ③♦▤⬁○⌛←❑♌♦ ⇮⇮⇮⇮ ﴾[1].

قال القرطبي:" في الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو " الران " الذي ذكر الله في كتابه:**﴿☒☒· ☎ ❻◆✁♌♦ ⇱♦✍■❼▤ ♎✍◆➔◆❑⇱⇱ ☒✆☠ ✌☐✍ ☒♎☼←❑✁☎ ③♦▤⬁○⌛←❑♌♦ ﴾"، قال: هذا حديث حسن صحيح[2]، وكذا قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب، ... وروي عن مجاهد أيضا قال: القلب مثل الكف -ورفع كفه-، فإذا أذنب العبد الذنب انقبض -وضم إصبعه-، فإذا أذنب الذنب انقبض —وضم أخرى- حتى ضم أصابعه كلها حتى يطبع على قلبه، قال: وكانوا يرون أن ذلك هو الرين، ثم قرأ:﴿☒☒· ☎ ❻◆✁♌♦ ⇱♦✍■❼▤ ♎✍◆➔◆❑⇱⇱ ☒✆☠ ✌☐✍ ☒♎☼←❑✁☎ ③♦▤⬁○⌛←❑♌♦ ⇮⇮⇮⇮ ﴾، ومثله عن حذيفة رضي الله عنه سواء، وقال بكر بن عبد الله: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخزة الإبرة، ثم صار إذا أذنب ثانيا صار كذلك، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل أو كالغربال لا يعي خيرا ولا يثبت فيه صلاح ".[3]

---

[1] المطففين : 17.

[2] أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، السنن، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة " ويل للمطففين " 434/5، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت ط.

[3] الجامع لأحكام القرآن 259/19-260

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهذه الآثار كلها تثبت أن الأعمال لها تأثير على القلب، كما للقلب تأثير على الأعمال، فتكون العقيدة الفاسدة منتجة لأعمال السوء ثم أعمال السوء تزيد في عمى القلب. قال القرطبي:"الجوارح وإن كانت تابعة للقلب،فقد يتأثر القلب وإن كان رئيسها وملكها بأعمالها للارتباط بين الظاهر والباطن، قال صلى الله عليه وسلم:" **إن الرجل ليصدق فتنكت في قلبه نكتة بيضاء، وإن الرجل ليكذب الكذبة فيسود قلبه** "[1] "[2].

وقد فصل ابن القيم آلية هذا التأثير فقال –في سياق الحديث عن عقوبات المعاصي-:" ومنها أن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جنبها: اعملني أيضا فإن عملها قالت الثالثة كذلك، وهلم جرا، فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات، وكذلك جانب السيئات أيضا، حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة، وملكات ثابتة، فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأحس من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء حتى يعاودها، فتسكن نفسه وتقر عينه، ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره، وأعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها، حتى إن كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها، ولا داعية إليها إلا ما يجد من الألم بمفارقتها ... "[3].

فمواقعة المعاصي تثمر في القلب شيئا يتصور في صورة التعلق بها والاشتياق إليها وعدم الاطمئنان إلا بمعاودتها ولو لم يدع إليها داع.

وخلاصة القول في هذا المبحث أن قلوب الكفار يرين عليها كسب الذنوب ويحيط بها كالأكنة، ثم يختم ثم توضع عليها أقفال ويستحكم من إغلاقها وآخر ذلك أن يطبع عليها

---

[1] في كتاب الزهد لهناد:" قال عبدالله [أي ابن مسعود]: إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى ما يكون للفجور في قلبه موضع إبرة يستقر فيها وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى ما يكون للبر في قلبه موضع إبرة يستقر فيها " انظر: هناد بن السري الكوفي، الزهد، باب الصدق والكذب 632/2، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط1: 1406.

[2] تفسير القرطبي 188/1.

[3] ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص64، المكتبة الثقافية، بيروت: 1414-1993.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فلا ترجى لها بعد ذلك توبة أو رجوع، و يمر الإنسان بهذه المراحل واحدة بعد واحدة، حتى يصل إلى مرحلة لا يرجع فيها عن غيه أبدا، ولا تؤثر فيه كل حجة،
ويتعطل عقوله وسمعه وبصره، فيصير أولئك كالأنعام أو أضل منها، وتؤثر أهواء نفوسهم على موازينهم فختل ويصير حكمهم على الأشياء تبعا لها، وهم في ذلك درجات بعضهم هو كالمغلول الذي من بين يديه ومن خلفه سد، وبعضهم قد غشي على بصره وختم على سمعه وعقله، وبعضه طبع على عقله وسمعه وبصره فلا ترجى له توبة ولا يتوقع للطبع الذي على عقله وسمعه وبصره زوال. ثم إن هذه العقيدة المنحرفة تنتج المعاصي والانحراف، وذات المعاصي تنتج أثرا سيئا في قلوب أهلها.
هذا عن آثار العقيدة على المستوى القلبي والفكري والعملي، فما هو أثرها على المستوى النفسي؟ ذلك ما يطرح في الفصل الموالي.

الفصل الثاني:
أثر العقيدة على الفرد على المستوى النفسي

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تناولنا في الفصل السابق تأثير العقيدة على قلب العبد وتفكيره وعمله، ونتناول في هذا المبحث تأثيرها على الفرد على المستوى النفسي، وذلك في مبحثين:

- **المبحث الأول**: أثر الإيمان على الفرد على المستوى النفسي

- **المبحث الثاني**: أثر الكفر على الفرد على المستوى النفسي

المبحث الأول:

أثر العقيدة الصحيحة على المستوى النفسي:

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تقدم أن للإيمان تأثيرا على قلب العبد وتفكيره وما ينتج عن ذلك من أعمال، فهل يتأثر العبد نفسيا بكونه مؤمنا أو كافرا؟

نص القرآن الكريم على أن الله عز وجل يشرح صدور أهل الإيمان وأن قلوبهم تلين لذكر الله ، وأنها تطمئن به، وأنها سليمة من المرض، وأن لهم الأمن، وأنهم يحبون أهل الإيمان، ولا يوادون من حاد الله ورسوله.

1- انشراح الصدر:

قال تعالى:﴿📖❒▫⬧☺⬓♊ ⌗⬧❸◆⬓⬓ ✂✍✎✦ ◷✽⑨⇧❻◆■🡐◶
♍♋”☀♋ ⇔🖬■◶🏱🖗 ▫⬧♑🡐❒◆ ↸◆✍■❼🗐 ☼🡐❒❻♍ ✌♓♋♊
❻▪🖃✍■♎❍♋ ◶♍♏♍■◶▫◑⬀❶◆❒♋ ▫⬧❒◆⑬⬀ ♋♏♍◑◶◶❍⬀❓◆❒♋
🕮♍✎✉⬂❷🙵 ❶♋✉⬂❷⌘ ✌♓♋♊ 🕭⮕🖬⮕❒❒⬊♐⬋☠ ✂✍✎★ 🗐
🗐↑❒♁♍▫◶❋⬦♐🖮⬓ ✖♎❼ ⮗✽🖬■◶✍♍ ✌⑩🖮♎✓✗✌
.[1]﴾✰⌘⌘⬠

فقد نصت الآية على أن الله قد شرح صدور قوم للإسلام، قال القرطبي:" شرح: فتح ووسع. قال ابن عباس: وسع صدره للإسلام حتى ثبت فيه، وقال السدي: وسع صدره بالإسلام للفرح به والطمأنينة إليه، فعلى هذا لا يجوز أن يكون هذا الشرح إلا بعد الإسلام، وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام"[2].

والقرطبي هنا –بعد أن يقرر أن الشرح يعني التوسيع- ينقل قولين:

أولهما عن ابن عباس –رضي الله عنهما- وينص على أن الشرح اتساع الصدر لقبول الإسلام والثبات عليه.

والثاني عن السدي: الطمأنينة بالإسلام والفرح به .

ثم يقرر أن الفرق بين القولين أن الأول قد يصدق على ما قبل الإسلام وما بعده، وأما الثاني فلا يقع إلا لمن كان مسلما.

ولعله قد استحضر في التنبيه على ذلك ما قد يفهم من ظاهر قوله تعالى:﴿▫⬧☺⬓♊
③◆♑⇧⑨♍③◆❍🡐◶ 📖❒♌ ✂✍✎✦ ③⬉❷⬓⑩♍
④❒⌑⇧❸◆⬓⬀ ◶✽⑨⇧❻◆■🡐◶ ♍♋”☀♋⇔🖬■◶🏱🖗 ☎

---

[1] الزمر/22.

[2] الجامع لأحكام القرآن 247/15.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible][1]، فإن ظاهر الآية يفيد أن إرادة الله عز وجل لهداية العبد سابقة لانشراح صدره للإسلام.

قال البيضاوي في تفسيرها: "﴿[illegible]﴾: يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان ﴿[illegible]﴾ فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه "[2].

فإرادة الله لهداية العبد هنا سابقة لانشراح صدره ولاعتناقه الإسلام، " والمراد بمن شرح الله صدره ها هنا فيما ذكر المفسرون: علي وحمزة رضي الله عنهما، وحكى النقاش أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال مقاتل: عمار بن ياسر، وعنه أيضا والكلبي: رسول الله صلى الله عليه وسلم، والآية عامة فيمن شرح الله صدره بخلق الإيمان فيه "[3].

وهذه الآية تنص نصا صريحا على أن انشراح الصدر سابق وممهد لقبول الحق والخضوع له، وأما آية الزمر السابقة فهي تقرر صورة أخرى من الانشراح قد تتقدم الإسلام وقد تقارنه. وقد وجدنا ابن كثير مثلا يقرنهما ويجعلهما شيئا واحدا، قال:"يقول تعالى:﴿[illegible]﴾ أي ييسره له وينشطه ويسهله لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى:﴿[illegible]﴾ الآية، وقال تعالى:﴿[illegible]

---

[1] الأنعام: 125.

[2] أنوار التنزيل 450/2.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 247/15.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⌘♊🕛⍓☺③💣❝✂ ⇱☠⇗▤⬂⓿⬧⍝⍝ ✾🖬✶🖮⍓❍
⬀🖃⇗▤⍝🖃❑➔🖬➔🔔 ❼⍝× 🕛🡐❍◆☪✸③⍓♉◆❒
◆❷⬂▦⇗▤⬂⍝✂ ⇱☠⇗▤⬂⓿⬧⍝⍝ ❑■▪❷☒🖏◆❒
🗐 ◆♌◆⑩⬄🕛⍝➔⬂⍝✂◆❒ ⬧🖆❑⬆❍➔▦⬂⍝✂◆❒
♐♍❒🡐⑨⍝⍓🕛▪❷⍝✂ ⇱☠➔♎ ⍓🖮✍⬙❃🕛⬧⍝🕯❒🡹🕮
⬅⬄⍝⬀ ⁽²⁾ ⁽¹⁾.

فابن كثير هنا يستشهد على معنى آية الأنعام بآية الزمر والجامع بينهما استعمال لفظ الشرح في كليهما، ثم بآية الحجرات التي تنص على أن الله عز وجل قد حبب الإيمان لأهله وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وهو ما قد يوافق معنى من معاني الشرح.

غير أننا إذا انظرنا في الآيتين وجدنا أن كل واحدة منهما قد تضمنت ضدا للشرح غير الذي ورد في الأخرى؛ ففي آية الأنعام:﴿♊⍓☺⬧▫⍝⑩❖❷⇱③ ✦✎✂
🕛🡐■◆❻⇳⑨✾🕒 ⬃⍓◆❸⇳⌑❑④ 🕛🡐❍◆③⍝⑨⇳♑◆③ ♌❒🕮
♌❒🕮 ⬃⑩❖❷⇱③ ♊◆✌◆❒ ☎ ⬿⚐🕛■🖬⬄♉💣❞⍝⍝
🕛🡐■◆❻⇳⑨✾🕒 ⬀✍⍓➔⬂♑⬧⑥ 🕛⇱🕮⅄✂⬁✍⇱③
⍝⍓☺❃☼❒🕯⬧🗎 🔔☯♊◆❷⍓❍ ⍝🕑⍝✍♒⓿✾➩
③◆🕛⓿❍❍➔❒⑨🡐 ❼⍝× ✂⍝⍝⍓❍❍☺⍓⍝✎⇗⍝﴾، فشرح الصدر هنا ضده ضيق الصدر وحرجه، وفي آية الزمر:﴿🕮❒▫⬧☺⍓♊ ⌗⬧❸◆⍓⍓
✦✎✂ 🕒✾⑨⇳❻◆■🡐🕛 ⍝⍝❞💣♉⬄🖬■🕛⚐⬿ ▫⬧♑🡐❑◆
⇱◆✍✾☼🡐❑❻⍝ ♓⍝♊ ❻▪🖃⍝■⍝❍⍝🕘 ▫⬧❑◆③⬃✍⇠
✍⍝⍝⬧⍝❒🖬▯❑◆⓿◆❑⍝ 🔔➔🖬➔❑▯⇘⅋⇙☠ ✌♓⍝♊
⓿⍝⬂❷❖ ✍✎★ 🗐 🕮🡹❒🕯⍝⬧🕛❃⬙✍🖮⍓ ×⍝❼
➩✾🖬■🕛✍⍝⍝✌⑩🖮⍝✓×✌ ⬀⍝❖❖⬅﴾، وضد الشرح هنا قسوة القلب.

فأما الشرح الذي هو ضد قسوة القلب فيأتي الحديث عنه في العنصر الموالي إن شاء الله.

وأما الشرح الذي هو ضد الضيق فإن مقارنته بضده تكشف أنه يلقي في النفس نوعا من الراحة والسعادة، ذلك أن الضيق نوع من الألم والعذاب الذي يثقل على صاحبه وينوء بحمله وبوقوعه به. ولذلك امتن الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم

---

[1] الحجرات : 7.

[2] تفسير ابن كثير 175/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بنعمة شرح الصدر فقال:﴿ 🕮❒☜♦⚐⬄ ♠■⌑⇧❸◆⍓⬁ ☜♦⌨⍓
⏲❀⑨⇧❻◆⍻☒ ⬀⬂⬁ ﴾.[1]

وقد أشار الألوسي إلى هذا المعنى فقال:" الشرح في الأصل الفسح والتوسعة، وشاع استعماله في الإيضاح، ومنه شرح الكتاب إذا أوضحه لما أن فسح الشيء وبسطه مستلزم لإظهار باطنه وما خفي منه، وكذا شاع في سرور النفس حتى لو قيل أنه حقيقة عرفية لم يبعد، وكذلك إذا تعلق بالقلب كأن قيل: شرح قلبه بكذا أي سره به لما أن القلب كالمنزل للنفس ويلزم عادة من فسح المنزل وتوسعته سرور النازل فيه، وكذا إذا تعلق بالصدر الذي هو محل القلب، وربما يؤذن ذلك بسعة القلب لما أن العادة كالمطردة في أن توسعة ما حوالي المنزل إنما تكون إذا كان المنزل واسعا فيوسع ما حواليه لتحصيل زيادة بهجة ونحوها فيه فينتقل منه إلى سرور النفس بالواسطة ... "[2].

فنص على أن الشرح يدل على إلقاء السرور في النفس والقلب، وهو نقيض ما يؤدي إليه ضيق الصدر.

وقد ذكر المفسرون بالإضافة إلى ما سلف حديثا مرفوعا في بيان بعض لوازم هذا الشرح أو نتائجه، قال القرطبي:"وروي مرة عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله، قوله تعالى:﴿ 🕮❒▫♦☺⍓♊ ⌑•❸◆⍓⍓ ⊁✍✎✦ ⏲❀⑨⇧❻◆■⬅⏀
⍓☜⍻"⎉♌⬄🖬■⏀⚐🖎 ▫♦♑⬅❒◆ ⬉♦✍■❼🗐 ☼⬅❒❻☜ ✋♓⍻♊
❻▪✉■⍻○⍻⏀ 🗐 ﴾ كيف انشرح صدره ؟ قال:" **إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح** ". قلنا: يا رسول الله، وما علامة ذلك؟ قال:" **الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله**"[3]. وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول[4] من حديث ابن عمر أن رجلا قال: يا رسول الله أي

---

[1] الشرح: 1.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ج: 30 ص: 165-166.

[3] سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور،كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنعام 88/5 ح917، تحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار العصيمي، الرياض، ط1: 1414.

[4] أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الأصل السادس والثمانون 415/1، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1: 1992.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المؤمنين أكيس قال:" **أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا، وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع**". قالوا: فما آية ذلك يا نبي الله؟ قال:" **الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت** "[1].

ثم قال تعليقا على الحديث:" فذكر صلى الله عليه وسلم خصالا ثلاثة ولا شك أن من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الإيمان فإن الإنابة إنما هي أعمال البر لأن دار الخلود إنما وضعت جزاء لأعمال البر، ألا ترى كيف ذكره الله في مواضع في تنزيله ثم قال بعقب ذلك جزاء بما كانوا يعملون؛ فالجنة جزاء الأعمال، فإذا انكمش العبد في أعمال البر فهو إنابته إلى دار الخلود، وإذا خمد حرصه عن الدنيا ولها عن طلبها وأقبل على ما يغنيه منها فاكتفى به وقنع فقد تجافى عن دار الغرور، وإذا أحكم أموره بالتقوى فكان ناظرا في كل أمر واقفا متأدبا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه إلى ما لا يريبه فقد استعد للموت. فهذه علامتهم في الظاهر، وإنما صار هكذا لرؤية الموت ورؤية صرف الآخرة عن الدنيا ورؤية الدنيا أنها دار الغرور وإنما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي ولج القلب "[2].

وكلام القرطبي هذا يربط بين أمور ثلاثة: الاعتقاد وهو ما عبر عنه بــ " رؤية الموت ورؤية صرف الآخرة عن الدنيا ورؤية الدنيا أنها دار الغرور "، وشيء نفسي ينشأ عنه وهو انشراح الصدر و " النور الذي ولج القلب "، وتجل لذلك في الأعمال وهو ما جعل في الحديث علامة على ولوج النور إلى القلب.

هذا وقد استعمل الشرح في آية الزمر بمعنى معاكس لقسوة القلب عن ذكر الله، أي لينه لذكره عز وجل.

2- لين القلب لذكر الله:

قال تعالى: ✂︎☜✍︎ ☼♦❽□✌︎♦ 📖❒❍⇧❍✽♊⌘

✂︎✍︎💻︎⬂♦□⑨🙰③✽🙰 📬︎🙰☝︎♦🕓︎⌛︎✡✍︎ ✋︎⑩☞♦⌖♦🕓︎⌛︎🙳♑︎✡✍︎

✋︎□⌖♦✍︎❄︎🙳❼♦ ✍︎♦☽︎⬂⌖♦➔🙰❷❾ ✋︎🙰☪︎⬃❍🡐 ♉︎⬉🖫︎➔❑⑩🡐

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 247/15.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 247-248.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] [1].

وهذه الآية إذا وضعناها في سياقها مع الآية المتحدث عنها سالفا أمكن أن نستنتج جملة من الأمور، وهي في سياقها كالآتي: [illegible] [2].

وعليه فالمستنبط بالنظر في السياق كاملا:

- أن المتصفين بهذا الوصف اتسعت صدورهم لقبول الإسلام واعتناقه ورضوا واطمأنوا به، مع ما أعقب ذلك من سرور ورضا في قلوبهم وصدورهم.
- أنهم إذا تليت عليهم آيات الله اقشعرت جلودهم، ولعل ذلك أثر لشيء قلبي كما قال تعالى: [illegible] [3].
- ويعقب ذلك لين في القلوب يظهر أثره على الجلود.

---

[1] الزمر/23.

[2] الزمر/22-23.

[3] الأنفال: 2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قال البيضاوي:" [معنى] ⬅❍⬃☪ஜ✌ ❾❷ஜ➔♦⌖⬂◑♦✍❁
⬅⑩❑➔◨⬉♉ ♦✖⇦ஜ🔔⅄✎✍✂ ♒♍⬀❑♦⌖⬂③♦⑥
⑥♦◨✸&⬋☠⬀ ❁: تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف، واقشعرار الجلد تقبضه، وتركيبه من حروف القشع -وهو الأديم اليابس- بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد، ❁⚐➔☠▪ ✍♦✂ஜ✉✖⬅
⬅⑩❑➔◨⬉♉⚐➔☠⬀ ❒♦🔔➔◨➔❑✉⬅♑⬅☠⬀ ◑ஜ🖫■❼🗐
❶ஜ✉⬂❷⌘ ✂✍✎★ 🗐❁ بالرحمة وعموم المغفرة، والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه والتعدية بـــ " إلى " لتضمن معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها "[1].

فاقشعرار الجلد تقبضه حتى يشابه القشع وهو الجلد اليابس ، وهو مثل في شدة الخوف، وسببه استحضار ما فيه من الوعيد وتهييبه والرهبة منه، ثم يعقب ذلك لين القلب ومن بعده الجلد باستحضار الرحمة والعفو والمغفرة. وذات المعنى نجد النص عليه بصفة صريحة عند ابن كثير، قال:" وقوله تعالى: ❁✍♦◑⬂⌖♦➔ஜ❷❾ ✌ஜ☪⬃❍⬅
⬅⑩❑➔◨⬉♉ ♦✖⇦ஜ🔔⅄✎✍✂ ♒♍⬀❑♦⌖⬂③♦⑥
⑥♦◨✸&⬋☠⬀ ⚐➔☠▪ ✍♦✂ஜ✉✖⬅ ♉⬉◨➔❑⑩⬅♎➔☠⬀
❒♦🔔➔◨➔❑✉⬅♑⬅☠⬀ ◑ஜ🖫■❼🗐 ❶ஜ✉⬂❷⌘ ✂✍✎★
❁ أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ❁⚐➔☠▪
✍♦✂ஜ✉✖⬅ ♉⬉◨➔❑⑩⬅♎➔☠⬀
❒♦🔔➔◨➔❑✉⬅♑⬅☠⬀ ◑ஜ🖫■❼🗐 ❶ஜ✉⬂❷⌘
✂✍✎★❁ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه ... "[2].

ثم إنه يحاول أن يستقصي الفروق بينهم وبين من يضاد وصفهم من الفجار، قال:" فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات.

---

[1] تفسير البيضاوي 64/5.

[2] تفسير ابن كثير 51/4-52.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى: [illegible] [1]، وقال تعالى: [illegible] [2]، أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة "[3].

والذي يهمنا في هذا المقام هو ما ذكر في الفرق الثاني، وقد استطاع أن يجمع صورة متكاملة لتعامل المؤمن مع القرآن الكريم تتقدم تأثره النفسي أو تنتج عنه؛ فهؤلاء المؤمنون:

---

[1] الأنفال: 2-4.

[2] النور : 73.

[3] تفسير ابن كثير 4/51-52.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- إذا تليت عليهم آيات الرحمن لم يخروا عليها صما وعميانا و لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها.

- ويستمعونها بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم .

- وعند ذلك وجلت قلوبهم وزادتهم إيمانا وخروا سجدا وبكيا بسبب كونهم " مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها، فلهذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم ".

وقريب من لين القلب لذكر الله اطمئنانه به.

3- اطمئنان القلب بذكر الله:

قال تعالى: ❁✂☜✍✏⅄🔔♎⇦✖♦ ↗♦✂✌♦☪↖❑✂☎
❐♦✍•➲⇧☺♦↖⇗✖❼ 🔔➔🖬➔❑✉←♑←⚐ ✉♎⓿✍✍☝❷⬂⌧
✂☜✍★ ▤ 📖❑•• ✉♎⓿✍▤⇩❷⌧ ✂☜✍★
✍•➲⇧☺⌂↖⇗✖❼ ✂☜✍⦾ᘏ⬂☽→🖬➔❑⚇➲ ⇗♎⌘⮰❁.[1]

فنصت الآية على أن قلوب الذين آمنوا تطمئن بذكر الله، وأن ذكر الله وحده هو الذي تطمئن به القلوب.

قال الشوكاني في بيان معناها:"... أي هم ❁✂☜✍✏⅄🔔♎⇦✖♦ ↗♦✂✌♦☪↖❑✂☎ ❁ ... ❁❐♦✍•➲⇧☺♦↖⇗✖❼ 🔔➔🖬➔❑✉←♑←⚐ ✉♎⓿✍✍☝❷⬂⌧ ❁★✍☜✂❁ أي تسكن وتستأنس بذكر الله سبحانه بألسنتهم كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد، أو بسماع ذلك من غيرهم، وقد سمى سبحانه القرآن ذكرا قال:❁❐♦♎⌂◷⓿⌧✂ ❶♎✍☝⬂❷⌧ ✌❿⌛♦✍❻♦🖰➘ 📖❑☼❽♦ᘏ⬂☼❑◷❍← ❁▤❁، [2] وقال:❁☽⚞☼✻✍ ✞•♦♦⬂♊← ☼♦❽❑ᘏ⬂☪♦✍ ✂☜✍✏🔔♏♎✍☝⬂❷♦❁. [3] قال الزجاج: أي إذا ذكر

---

[1] الرعد/28.

[2] الأنبياء : 50.

[3] الحجر: 9.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الله وحده آمنوا به غير شاكين بخلاف من وصف بقوله:﴿❑◆☽⚝❶⬧✁
➔❶ ☝⬧❷♦ ✁☝✍✦ ❑◆■⬀⑨⍓■⇦ ✁☝⅄⇳☺⍓🕯❑♏❑☠⇳
🔔➔🖬➔❑☺⊃ ✁☝✍⅄🔔⬧⇦✕♦ ⬥⬥ ③⇖⬧⬀✌⬧☾⇖❑♍⬃
☝⬧⚝☝☝⍓☞⌘⇳❷♦❑⌀ ☎ ﴾[1]، وقيل: تطمئن قلوبهم بتوحيد الله، وقيل:
المراد بالذكر هنا الطاعة، وقيل: بوعد الله، وقيل: بالحلف بالله فإذا حلف خصمه بالله
سكن قلبه، وقيل: بذكر رحمته، وقيل: بذكر دلائله الدالة على توحيده..."[2].

فقد قرر هنا مستندا إلى الآية أن من كان مؤمنا اطمأن قلبه إذا ذكر الله. والطمأنينة هي سكون النفس وأنسها بذكر الله " والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها "[3]. وأما ذكر الله الذي يؤدي إلى هذه الطمأنينة والسكون فقد ذكر له تسع معان:

- الأول: ظاهر ما ينصرف إليه الذهن عند إطلاق لفظ " الذكر " وهو ما ينطق به اللسان من تلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد، سواء أنطق به بلسانه أو وصل إلى سمعه من غيره.
- الثاني: وهو مطابق للمعنى الأول إلا أنه مقتصر على شيء خاص منه وهو القرآن الكريم، ومستنده أن الله سبحانه وتعالى قد سمى القرآن الكريم ذكرا:﴿❑◆♎⬧⍓🕐⓿⌧✁ ❶☝⬧⬀❷⌧
✌❿⌛⬧❻☝◆⬧⍓🖱➘ 📖❑☼❽⬧⬧⬀✡❑🕐❍⬅ ﴾، وقال:﴿
☽☝⚝☼⚹☝ ✝⬧⬧⬀⌶⬅ ☼⬧❽❑⬧⬀☪⬧☝
✁☝✍☝♏☝⬀❷⬧ ﴾.
- الثالث: إذا ذكر الله وحده آمنوا به غير شاكين، والطمأنينة بهذا المعنى هي اليقين وانتفاء الشك، وهو قول الزجاج، واستنبط ذلك بمقارنة حالهم بحال المذكورين في قوله تعالى:﴿❑◆☽⚝❶⬧✁ ❶➔☝⬧❷♦
❑◆■⬀⑨⍓■⇦ ✁☝✍✦ ✁☝⅄⇳☺⍓🕯❑♏❑☠⇳
🔔➔🖬➔❑☺⊃ ✁☝✍⅄🔔⬧⇦✕♦ ⬥⬥

---

[1] الزمر : 45.

[2] فتح القدير 81/3.

[3] تفسير أبي السعود 20/5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

☎ ⌀❑♦❷⇧⌘☞⍓✍✍⇶✉ ✍♍❑⇱☪⇶✌⇗⬩⇱③ ﴾.

– الرابع: الذكر هو توحيد الله.

– الخامس: الذكر الطاعة.

– السادس: الذكر وعد الله، ولعل معناه الاطمئنان لأن الله منجز ما وعدهم به من النصرة والفلاح في الدنيا والآخرة.

– السابع: الحلف بالله فإذا حلف خصمه بالله سكن قلبه.

– الثامن: ذكر رحمته، وهو بهذا المعنى موافق للحالة المذكورة في العنصر السابق، وهي ما يعقب وجل القلب واقشعرار الجلد.

– التاسع:ذكر دلائله الدالة على توحيده.

وإذا ما استثنينا القول السابع الذي يتحدث عن حالة خاصة وهي الثقة بقول الحالف، والقول الخامس الذي ينص على أن الذكر الطاعة و لم تعرف تسمية الطاعة باسم الذكر مع أنها قد تؤدي إلى طمأنينة القلب، فإن الأقوال الأخرى تحمل معنى صحيحا ظاهر المأخذ أو يحتاج إلى شيء من التأمل، غير أن القول الأول ويندرج ضمنه الثاني ظاهر متبادر بالإضافة إلى أنه لا شيء يدعو إلى العدول عنه إلى غيره.

ثم إن صيغة الآية تفيد قصر هذه الطمأنينة على ذكر الله وحده ﴿🕮❑⬧⬧ ⌧❷⇩🗎⬃⓿⇶✉ ✂✍✏★ ❼✗⬀⬁⍓☺⇳➲⬧✍ ✂✍♎⇘☽→🖪→❑⚇➲﴾.

قال أبو السعود معلقا على ذلك: "... ﴿🕮❑⬧⬧ ⌧❷⇩🗎⬃⓿⇶✉ ✂✍✏★﴾ وحده ﴿❼✗⬀⬁⍓☺⇳➲⬧✍ ✂✍♎⇘☽→🖪→❑⚇➲﴾ دون غيره من الأمور التي تميل إليها النفوس من الدنياويات وهذا ظاهر، وأما سائر المعجزات فالقصر من حيث إنها ليست في إفادة الطمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب كافة،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وفيه إشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب وأفئدهم هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى و لم يعدوه آية وهو أظهر الآيات وأبهرها "[1].

فنص على أن صيغة الآية تفيد قصر اطمئنان القلب على ذكر الله وحده وأن غير المؤمن فؤاده غير مطمئن لأن الطمأنينة لا تحصل بغيره. وأما كون هذه الطمأنينة قاصرة على ذكر الله وحده؛ فإذا ما كان ذلك في مقابل ما تميل إليه النفوس من أمور الدنيا فظاهر، وأما إذا ما قورن بمعجزات الأنبياء من قبل فإفادها للطمأنينة الكاملة قاصرة على من شاهدها فقط، وعلى هذا فالذكر بهذا المعنى هو القرآن الكريم، وإفادته للطمأنينة من جهة كونه معجزة شاهدة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما الشوكاني فقد زاد أمرا ثالثا وهو النظر في آيات الكون، قال:" ﴿🕮❐⬧⬧ ✂🙰✍★﴾ وحده دون غيره ﴿✍⬧➲⇳☺⊠⬁⬀✕❼ ✂🙰🙰⑩⬂➘➔🖪➔❑⚇➲﴾، والنظر في مخلوقات الله سبحانه وبدائع صنعه وإن كان يفيد طمأنينة في الجملة لكن ليست كهذه الطمأنينة، وكذلك النظر فى المعجزات من الأمور التى لا يطيقها البشر فليس إفادها للطمأنينة كإفادة ذكر الله فهذا وجه ما يفيده هذا التركيب من القصر "[2].

فهو يوافق أبا السعود في إفادة التركيب للقصر واختصاص الطمأنينة بذكر الله وحده، ثم يبين أن المقصود من هذه الطمأنينة المختصة بالذكر وحده كمالها، لأنه يقر أن النظر في مخلوقات الله سبحانه وبدائع صنعه وإن كان يفيد طمأنينة في الجملة غير أن تلك الطمأنينة ليست بمستوى الطمأنينة المتحصلة من ذكر الله، ثم يبين من خلال ذلك أن هذه الطمأنينة قاصرة على ذكر الله وحده لاتصافها بالكمال، وهي غير موجودة بصورة كاملة في الدنياويات، وهي قاصرة بالنسبة للمعجزات على من عاينها، وهي واقعة في النظر في مخلوقات الله ودلائل قدرته غير أنها لا ترقى إلى درجة الكمال والتمام.

---

[1] تفسير أبي السعود 20/5.

[2] فتح القدير ج: 3 ص: 81

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد يقال: إنه لا داعي لكل هذا التفريع؛ فإن ذكر الله كما يكون باللسان يكون أيضا بالقلب، وفي التتزيل: ﴿♍⧄☽· ✂✍✍✍▲🔔⚗⇦▫⚘
✂✍✍☐☽•☐⬀✂☎ ☽⚗❶•✂ ✌♦◯◯☡⊘⚗⬀ ☪•⏲❋⬦⚗✂⊀
✌♓⚗♊⌘ ✂✍✍⊙⊙⓿⇘➲•⏲♊⌦ ✍•❶☒🗎·❷⇖☐✂☎
▫•⚗☒❶•✂ ♎⚗➔⓾✌⌨⬀⌦⇦❸⇐☐♌♦ ⬀⇨⬀⚗⌦﴾[1]، فهؤلاء إذا تعرضوا لوسوسة الشيطان تذكروا فأحجموا عن السوء، ولا يقول أحد أن تذكرهم لا يكون إلا باللسان. فإذا تقرر هذا فإن في النظر في دلائل عظمة الله في مخلوقاته أو التأمل في المعجزات والخوارق التي يجريها على أيدي رسله وأنبيائه يتحقق فيه ذكر الله وإن لم يكن باللسان، ولذلك لا معنى لقطعه عن مدلول الآية. وإنما يقال: إن ذكر الله وحده فقط هو الذي تطمئن به القلوب حقا من دون سائر ما تميل إليه النفس وتشتهيه من لذات الدنيا ورغائبها.

وقريب من معنى الطمأنينة الأمن.

4- لهم الأمن:

قال تعالى: ﴿✂✍✍▲🔔⚗⇦✕♦ ⬈♦✂✌♦☪⇖☐✂☎ ☐♦⚗•♎⇨
③♦⚿▫⧗⚗◯⓿☐☑✂☎ ☽⚗③☺⍓⏲☪♦♑⇦⚐ ⚗⚗➔⓿⚿▫⚐✌
⚖⬆☐🕯⚗•⏲❋⬦⚗⌨⍓ ⚗•♑⇦☠⇖ ✂✍✍✿☞✌⇘♊⇦ ☐♦♎➔☠
✌⓾♑⇳✌♦⑨⇦☐♌♦ ⌦⚗⚗⚗﴾[2].

فقد نصت الآية على أن الذين آمنوا و لم يشب إيمانهم ظلم –وهو هنا الشرك كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم[3]– لهم الأمن والهدى. وقد جاء تعليقا على قول إبراهيم –عليه السلام– لقومه: ﴿☐♦☐🗎•⓿⇘✂⍓ 🕮☐✿•🔔✍⇦ ✌♦✍✍
🕮☐⌗⇖❸♦🗎⇩✌⇦☠⬀ ☐♦•• ✌☐③•✍▫➔☐♍⚘ 🕮☐☼❋▤⬈☠⬀
🕮☐⌗⇖❸♦⚆⇘✌⇦⚐ ⚗⚗✍✍✍★ ✌♦✍ ⚗•☠⬀
③⇖ॐ♦❾♓⊘✌⬀ ⚗⚗◯⊘⏲ ⇘♦⚿■⓿⇘⧗➔☠⬀
⇦⚿▫➲•⏲☪✡✍ 🗐 ▫•🕯☐❽❻ ✂✍✍⇘⊞⌧❷⚗③☽•✓⬀✕⬀

⬃☹➚⬇☪➚🖏 ♌⚒◗ ☎ ⬱♊⬂✌☞❀🙰🙰⚒🖃 ❻🖃⊠○❒📖
﴿✍⬧➔⬃◼■☺←❑♍➔⬀⬀⬱﴾[1].

وهو " .. جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه لذكره إياها بسوء في نفسه بمكروه، فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه وهو لا يضر ولا ينفع، ولو كانت تنفع أو تضر لدفعت عن أنفسها كسري إياها وضربي لها بالفأس، وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم وهو القادر على نفعكم وضركم في إشراككم في عبادتكم إياه ﴿✌⧫🙰 ⬀☠◆⬀ ③⬉ॐ⧫❾♓⚡✌⬀ ⚒○⚒🕐 ⬂⧫◼⓿⬂⌛→☠⬀ ☾←◼▫⬂⬂☪✡🙰 🗐﴾: يعني ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حجة و لم يضع لكم عليه برهانا و لم يجعل لكم به عذرا، ﴿▫⬧🕯❒❽❻ ✃🙰⬂⬂▦⊠❷⛝③◗⬧✓⬃✗⬀ 📖❒○⊠🖃❻ ﴾: يقول: أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتي ربي مخلصا له العبادة حنيفا له ديني بريئا من عبادة الأوثان والأصنام أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناما لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهانا ولا حجة ﴿◗⚒♌ 🖏➚☪⬇➚☹⬃﴾ يقول إن كنتم تعلمون صدق ما أقول وحقيقة ما أحتج به عليكم فقولوا وأخبروني أي الفريقين أحق بالأمن ... "[2].

فرد –عليه السلام– على قومه لما خوفوه آلهتهم بأنه كان من المفترض أن يخافوا هم لأنهم أشركوا بالله، متعجبا أن يطلب المشرك من الموحد أن يخاف وهو الأحق بالأمن، وقال:"أي فريقي الموحدين والمشركين ﴿📖❒○⊠🖃❻﴾ من العذاب ﴿⬱♊⬂✌☞❀🙰🙰⚒🖃 ◗⚒♌ 🖏➚☪⬇➚☹⬃﴾ ﴿✍⬧➔⬃◼■☺←❑♍➔﴾ و لم يقل: فأينا احترازا من تزكية نفسه "[3]، وربما دل هذه الصيغة على أن الأمر متعد إلى كل مؤمن وليس قاصرا عليه وحده –عليه السلام–.

---

[1] الأنعام/81.

[2] جامع البيان 253/7.

[3] النسفي، تفسير النسفي 332/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم تأتي الآية بعد ذلك مقررة أن [illegible].

والسياق يحتمل أن يكون هذا من كلام الحق جل وعلا أو من كلام إبراهيم –عليه السلام– أو من كلام قومه، قال ابن جرير:" اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول أعني [illegible] الآية، فقال بعضهم هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله إذ قال لهم إبراهيم: [illegible]، فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة و لم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم: يعني بشرك، و لم يشركوا في عبادته شيئا ثم جعلوا عبادتهم لله خالصة أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم، أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله ...

وقال آخرون هذا جواب من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم حين قال لهم أي الفريقين أحق بالأمن، فقالوا له الذين آمنوا بالله فوحده أحق بالأمن إذا لم يلبسوا إيمانهم بظلم ... "[1].

---

[1] ابن جرير، جامع البيان 7/254-255.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فذكر ابن جرير أن هذا قد يكون فصل الخطاب من الله عز وجل بين إبراهيم وقومه –أي هو من كلام الله–، أو من جواب قومه له وهو بعيد، ولذلك يعلق عليه قائلا:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن وفصل قضاء منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه، وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد، ولكنه كما ذكرت من تأويله بدءا "[1].

والملاحظ أنه لم يذكر القول الثالث: وهو أن هذا من كلام إبراهيم عليه السلام مع أنه أكثر تبادرا، أو على الأقل هو أقل غرابة من القول الثاني الذي ذكره –أي كونها من جواب قومه له–.

أما النسفي فقد جزم بأنه من كلام إبراهيم عليه السلام فقال:" ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله:﴿✁✎⍓✍☆✂◆❐ ✂❑⇖☪◆✌✂◆➚ ◆✗⇦⍭☊⍓✎✍✁﴾:﴿③◆▪⌛▫◆⭘▢⍭○▫☑✂☎ ☽⍭③☺⌂◷☪◆♑← ✉⍭⍓◆⌂▫✌✳﴾ بشرك عن الصديق رضي الله عنه، ﴿🕮⬆❐ℹ◎⍓♦◷❋◈✍⌨⌂ ⇖☠←♑♦⍓◎﴾ ﴿✁✍✿☞✌⎘⏀← ❐◆♎⇨☠ ✌⑩♑⇳✌◆⑨←❐♌◆﴾ تم كلام إبراهيم عليه السلام "[2]. وهو لا يذكر غير هذا القول مما يدل على أنه لا يرى غيره.

وحتى بهذا المأخذ فإنه يكون مما قرره القرآن الكريم، ذلك أن ما ذكره القرآن الكريم وسكت عنه فهو حق، وقد تتبع بعض العلماء ما ذكر القرآن الكريم على ألسنة الناس، فوجد أن كل قول باطل قد تعقبه القرآن الكريم بالتشنيع والإبطال، فأما ما كان حقا فإن القرآن الكريم لا يعقب عليه.[3]

---

[1] نفسه 255/7.

[2] تفسير النسفي 332/1.

[3] قال الشاطبي في الموافقات 353/3:" كل حكاية وقعت فى القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها وهو الأكثر رد لها أولا: فإن وقع رد فلا إشكال في بطلان ذلك المحكى وكذبه، وإن لم يقع معها رد فذلك دليل صحة المحكى وصدقه " ثم بسط الحديث عن المسألة وذكر لها أمثلة كثيرة من القرآن الكريم. انظر: ج3/ص353-358.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذا ولم يتحدث أكثر المفسرين عن معنى هذا الأمن المتحصل للذين آمنوا وكأنه شيء ظاهر مسلم بالنسبة إليهم، وسياق الآية يدل على أنه الأمن من عاقبة سوء الاعتقاد، وهو أمن أخروي بالدرجة الأولى، وقد أشار ابن جرير بصفة مختصرة إلى أكثر من ذلك فقال:"... [هم] أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم، أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله "[1].

وهو ينص على أن هذه العاقبة السيئة ليست مقصورة على الآخرة فقط، بل هي متعدية إلى العقاب الدنيوي.

هذا وقد يدل وقوع لفظ الأمن مطلقا في الآية على أنه يشمل الأمن من كل سوء ومكروه، وهو من كمال السعادة وتمام النعمة، غير أنه معترض بأنه قد تقرر نزول الخوف بأهل الإيمان كما قال تعالى مثلا في غزوة الأحزاب:﴿ [illegible] ﴾[2]، كما تقرر نزول البلاء والشدائد والمصائب بهم، قال تعالى:﴿ [illegible]

---

[1] جامع البيان 254/7.

[2] الأحزاب: 9-10.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⬨▫☒⌧♌❒▫ ❶⧫🕓🕯①🙜 ✌♈⚓⚐⚐ ⬆ⴿ⬀ ⇧♐⚓⧓ ✂☞⚘✌⚐❏❻⬊
⬀⚐⚐⬊⬈ ✵.[1]

ويجاب عن ذلك بأن هذا من لوازم الابتلاء في الدنيا، غير أن العقيدة التي تحملها قلوبهم، بالإضافة إلى تثبيت الحق عز وجل لهم كما وعد في الدنيا والآخرة، يلقي في نفوسهم بعد ذلك طمأنينة ورضا يعقبها الشعور بالأمن رغم أسباب الخوف، والله أعلم.

5- سلامة القلب:

قال تعالى على لسان إبراهيم –عليه السلام-:✵❐◆⧫⧫ ✌⬆③⬂❽⚉❄⚐❼
③⧫❏⬀⚑⧫ ③⬉⌨⬀➔⊠➔⌖❏♌⧫ ⬀⚐⚐⬊ ③⧫❏⬀⚑⧫ ⧫⧫
③⧫☪⊞⊠⬈⬅ ✌⧫⚘✌⬅ ❏⧫⧫ ⬂☪⬉❏♌⧫ ⬀⚐⚐⬊ ☽⚐⧫⧫
✌⧫❐🕮❏✌⧫❼ ✂⚘✏⅄ ⬂⚐☽⧫▪⧫⌸ ♉⬈⧫⚐⑩⚑⌸
⬀⌀⚐⬊ ✵.[2]

فإبراهيم –عليه السلام– وهو يدعو ربه ألا يخزيه يوم القيامة، يصف هذا اليوم بأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولكن ينفع العبد فيه أن يجيء بقلب سليم.

قال الشوكاني:" واختلف في معنى القلب السليم فقيل: السليم من الشرك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد قاله أكثر المفسرين، وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم: الصحيح، وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض، وقيل: هو القلب الخالي عن البدعة المطمئن إلى السنة، وقيل: السالم من آفة المال والبنين، وقال الضحاك: السليم الخالص، وقال الجنيد: السليم فى اللغة اللديغ فمعناه أنه قلب كاللديغ من خوف الله تعالى، وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القرآن "[3].

فقد حكى في معنى سلامة القلب جملة من الأقوال:

أحدها: السلامة من الشرك دون سائر المعاصي التي لا يسلم منها أحد، وقد نسب هذا القول إلى أكثر المفسرين، ويبدو أن مستنده ما تقرر في أصول الدين من أن الشرك وحده هو الموجب للخلود في النار، وهو الذي لا يغفر الله لمن لم يتب منه

---

[1] آل عمران : 186.
[2] الشعراء 87-89.
[3] فتح القدير 106/4، وانظر: ابن الجوزي، زاد المسير 130/6.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويغفر ما دونه لمن يشاء، كما قال عز وجل:﴿◗♋♌☐ ✂ꝏ✎⅄ ●●
③♦⬄⬂⊞♋❷⬉ 📖❒♌ ④🡐⌑⇳❸♦🖱☒ 📭♋❍♋ⓞ⌚
❒♦③⬄⬂⊞♋❷⬉ ✌♦ꝏ ⑩🡐❒♌♦ ❶♦⌚◉♑♋⌨⍓
♑♋☺⍓♊ ④❒⌖♦ꝏ✎⬈⬇ 🗐 ❒♦✌♦♊ ④🡐⌑⇳❸♋🖱⬁
📭♋ꝏꝏ✎★ ▫♦◗♦⑨♋ ✂ꝏ▫⬂✋♦❸♦❽✂
◗♋⚐⬂☺⌚ꝏ ⬉♦🡒♋⑩☺⌚ꝏ ⬀♋⊘⬁﴾[1].

والثاني: أنه القلب غير المريض -أي الصحيح-، وهو خلاف قلب الكافر والمنافق الذي وصف بالمرض، وإليه ذهب سعيد بن المسيب.

والثالث: أنه القلب المطمئن إلى السنة والخالي من البدعة، ومثل هذه الأقوال عادة لا يراد منها حصر معنى الآية، بل الإخبار باشتمالها على هذا الوصف، وعادة ما ترتبط بمقامات خاصة.

والرابع: أنه السالم من آفة المال والبنين، ومراعاة السياق في هذا القول جلية واضحة؛ ذلك أنه جعل الناس طائفتين: طائفة افتتنت بفتنة المال والبنين أو افتتنت لأجلها عن الحق، فكان قلبها غير سليم ثم لم ينفعها مال ولا بنون، وطائفة سلمت من فتنة المال والبنين، و لم تنصرف لأجلها عن الحق، فهي التي ينفعها القلب السليم.

والخامس: أنه القلب الخالص، وإطلاق الخلوص في هذا القلب يعم صفاءه من كل شوائب الكفر والمعاصي والبدع والأهواء، وعزاه إلى الضحاك.

والسادس: أن السليم بمعنى اللديغ، والعرب تسمي اللديغ سليما تفاؤلا[2]، وهو قول الجنيد؛ أي أن القلب كاللديغ من خشية الله، وميول الجنيد التصوفية في هذا القول ماثلة ظاهرة. وقد اعترض الشوكاني هذا القول ورده من دون سائر الأقوال الأخرى. أما ابن الجوزي، فرغم أن منهجه استقصاء جميع الأقوال في الآية فإنه لم يذكره مطلقا.

---

[1] النساء: 48.
[2] انظر: ابن حجر، فتح الباري 455/4.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد اختار الرازي أن المراد منه سلامة القلب من عموم أسباب الانحراف، فقال:" أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة "[1].

6- محبة أهل الإيمان وعدم موادة أهل الكفر:

امتدح الله سبحانه وتعالى صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم بجملة من الصفات منها أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم فقال عز وجل: [illegible][2].

قال البيضاوي تعليقا على الآية: " [illegible] جملة مبينة للمشهود به ويجوز أن يكون [illegible] صفة و [illegible] خبر محذوف أو مبتدأ، [illegible] معطوف عليه، وخبرهما [illegible]، وأشداء: جمع شديد ورحماء: جمع رحيم، والمعنى أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم..."[3].

---

[1] مفاتيح الغيب 130/24.

[2] الفتح: 29.

[3] أنوار التنزيل 209/5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فمن حسن صفاتهم -رضوان الله عليهم- التي امتدحوا بها غلظتهم على من خالف دينهم وتراحمهم بينهم، وهاتان الصفتان وإن تجلتا في الأعمال، فإنهما ناتجتان عن شيء نفسي.

وقد ذكر السيوطي عند تفسير الآية أثرا يصور تراحم بعض من المندرجين ضمن هذه الآية، قال:" وأخرج ابن سعد في الطبقات[1] وابن أبي شيبة[2] **عن عائشة قالت: لما مات سعد بن معاذ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، فو الذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله:**﴿❻↓❑☒♥♦✍✎↗↓✉♦❹⬃☪♦ⷭ⊻☠⬃﴾**، قيل فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع؟ فقالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته** "[3].

فهذا تأكيد للجانب النفسي من هذه الرحمة، يكشف عن كونها ناتجة عن حب بعضهم بعضا، والتي جعلت أبا بكر وعمر يبكيان عند موت سعد بن معاذ الأنصاري الذي ليس من قبيلتهما ولا من قومهما ولا من بلدهما، ولولا الإيمان لم يكن أحسن حالهما إلا أن لا يربطهما به رابط، إن لم يعادياه ويقاتلاه .

وقد وقع النص على هذه المحبة بصورة صريحة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما وقع فيه بيان ارتباطها بالإيمان، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله**

---

[1] محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج3/ص423، وفيها أيضا:" **عن ابن عباس قال لما انفجرت يد سعد بالدم قام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقه والدم ينفح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته، لا يريد أحد أن يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الدم إلا ازداد منه رسول الله قربا حتى قضى** " ج: 3 ص: 427. انظر: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت د ت ط.

[2] انظر : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف، تحقيق: كمال يوسف الحوت، كتاب الجنائز، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبكي ج3/ص63، ح12923، مكتبة الرشد، الرياض، ط1: 1409.

[3] السيوطي: جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثورج7/ ص541، دار الفكر، بيروت: 1993.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "[1].

ويظهر أن هذا التسلسل الوارد في الحديث لم يجئ هكذا اعتباطا؛ فإن محبة المؤمنين المذكورة فيه كما كراهية العود إلى الكفر متفرعة عن الخصلة الأولى وهي محبة المؤمن لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم أشد من محبته لأي شيء آخر، ولذلك من استجمع هذه الخصال اكتمل إيمانه فاستشعر حلاوته.

وإذا كان هذا وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخبر القرآن الكريم أنه إذا لم يقبل المحسوبون على الإيمان على أداء واجباته الكاملة وتولوا عنه، فإن الله سيستبدلهم بقوم يكونون على مثل ذلك الوصف، فقال عز وجل: ﴿ [illegible] ﴾[2].

قال ابن الجوزي:" وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال:

أحدها: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، قاله علي بن أبي طالب والحسن عليهما السلام وقتادة والضحاك وابن جريج، قال أنس ابن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر 2546/6 ح6542، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان 66/1 ح43.

[2] المائدة : 54.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والثاني: أبو بكر وعمر روي عن الحسن أيضا.

والثالث: أنهم قوم أبي موسى الأشعري، روى عياض الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني أبا موسى.

والرابع: أنهم أهل اليمن رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال مجاهد.

والخامس: أنهم الأنصار قاله السدي.

والسادس: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدمشقي "[1].

فقد ذكر ابن الجوزي هاهنا أقوالا ستة أربعة منها تنطبق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: جميعهم –كما في القول السادس–، أو على طائفة منهم: أبي بكر، أو أبي بكر وعمر، أو الأنصار، والقولان الآخران يجعلان المقصودين أهل اليمن عموما، أو طائفة منهم أي الأشعريين.

فأما انطباقها عليهم –رضوان الله عليهم– فبين وظاهر، وهو في آية الفتح السابقة جلي صريح، ولكن النظر في اختصاصها بهم واقتصارها عليهم كما قد يوهمه ذكر هذه الأقوال؛ فإنهم وإن كانوا أحق من انطبق عليه وصف الآية ❁◻•○✽❑⬀☞☞♦ ③♦▯▯✌⁂❼
✂☞✍✦ ◫❍•❑⬀✈▯ ⑥↗♦♎▭♒&↙☠⬀
❑♦⑥↗♦♎⌛♒❑☼♦○←◷▦ ▭❑❶♎✍▲✌ ↖♦✍■❼
✂☞♒◉♒⬂☺←•⬃♌♎☪♎✓×♦ ▭❑↖♎❽❑❑☹ ↖♦✍■❼
✂☞♒◉⬂▤•◷▦♎❷☆⬄×♦ ⑥↗♑❑◷♑⑨←❑♍☞ ×♎❼
♒▭⌛♎⓿✍☝ ✂☞✍★ ❑♦•• ⑥•③•☞▫➔❑♌♦ ♒◉•❑⬀♌♦❑•
♦♌★☆▯⚑❁ بشهادة القرآن الكريم ❁♎❼♦❑☺○⑨☆ ❻▪♒←❑✌↖
✂☞✍★ ▤ ❑♦✂☞✍▲♎⬄×♦ ♌♦➔▭○←◷▦
↖♦✍■❼ ✂☞⓿✍↗↓ ✂☞♒◉⬂▤↗▦⊙☞❻☆
❻↓❑☒✉♦☞✍↗↓ ▭❹♦⬃☪♦♒☠⬂ ☎ ❁، فإن في قصرها عليهم وحدهم إجحافا، ولعل الآية تقرر سنة إلهية مطردة متجددة، وهو ما يؤكده قوله تعالى:❁
▤ ❑♦❍♍ ✍•✌♦❑♦❑☐♦♒▲❑⬀✂☎ ④❑○⬄☞♦⌨⬀⑨♎✌⬀
♔❑⬀♌✍•❑⬀ ➘☒❷⬀❸♦⬃↗☠⬀ ⚐➔⚐○ ••
③♦▤↗❑☼←❑☑✂☎ ▯❑♌⬂✝•◷▣■▤↗▭ ⬀♎⊠⬄❁.[2]

---

[1] زاد المسير 2/380-381.

[2] محمد : 38.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وعليه فكلما ارتد من المحسوبين على أهل الإيمان قوم جاء الله بقوم خير منهم، ووصف هؤلاء القوم بنفس الوصف الذي وصف به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في آية سورة الفتح، وقد وجدنا ابن كثير، بعد أن يذكر الأقوال السابقة، يثني بما يدل على عدم قصر المذكورين في الآية على الصحابة، فيقول:" وقوله تعالى:

هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا على خصمه وعدوه كما قال تعالى:

، وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الضحوك القتال[1]؛ فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه، وقوله عز وجل:

أي لا يردهم عما فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

أي من اتصف بهذه الصفات فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له

أي واسع الفضل عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه "[2].

[1] قال ابن الجوزي:" ... لنبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين اسما: .. محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة والملحمة والشاهد والمبشر والبشير والنذير والسراج المنير والضحوك والقتال والمتوكل والفاتح والأمين والخاتم والمصطفى والنبي والرسول والأمي والقثم والماحي الذي يمحى به الكفر والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه أي يقدمهم وهم خلفه والعاقب آخر الأنبياء والمقفي بمعنى العاقب لأنه تبع الأنبياء وكل شيء تبع شيئا فقد قفاه والملاحم الحروب والضحوك صفته في التوراة قال ابن فارس: وإنما قيل له الضحوك لأنه كان طيب النفس فكها وقال إني لأمزح، والقثم من معنين: أحدهما: من القثم وهو الإعطاء، يقال: قثم له من العطاء يقثم إذا أعطاه وكان عليه السلام أجود بالخير من الريح الهبابة، والثاني: من القثم الذي هو الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم والله أعلم " أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، صفة الصفوة ص55-65، تحقيق: محمد فاخوري-د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط2: 1399-1979.

[2] تفسير ابن كثير 71/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فهذه صفة المؤمنين الكمل من الصحابة ومن غيرهم بما تفضل به عليهم ربهم، جمعوا بين الرحمة والشدة، ولا يخافون في الله لومة لائم. وهذا كله مرتبط بعقيدة الإيمان التي في قلوبهم وناتج عنها، فلما اكتمل الإيمان في قلوبهم لم يترك مجالا لمؤثر آخر، كما جاء في الحديث المذكور آنفا:" **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** "[1]. فهم يحبون الله ويحبون لله.

ثم إن هذه المحبة لله مسقطة لكل محبة تنافيها، قال تعالى: [illegible][2].

فقد جاء في الآية على أن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ممن كان فيه داع قوي يدعو لمحبته وهو القرابة. ونصت عليه الآية بصيغة الخبر، وذكر البيضاوي ما يفيد أنه من جنس الخبر الذي يراد به النهي، قال:" [معنى] [illegible]

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر 2546/6 ح6542، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان 66/1 ح43.

[2] المجادلة: 22.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

❒◆❻◆ᓀ←❑✐⬧🕮⇖🛈) أي لا ينبغي أن تجدهم وادين أعداء الله، والمراد أنه لا ينبغي أن يوادوهم ﴿❒◆❻◆ᓀ←❑✐⬧🕮⇖🛈 ❒◆ᘎ⬧❑⬀ 🗎⬧🕭☼⬅❑☑✂☎ ⬈◆✂🖃♦ᓄ✐⬈◆⚖➔☠⬀ 🕮❒❒⬃ ⬀☠➔⚖◆⬈✐ᓄ❒✡⬀🖃❒🕮 🕮❒❒⬃ ⬂✈⬗⬅❑◆🕓☼◆♑⬅🏳⬄ 🕮❒❒⬃ ⬉◆⌖ᕗ❷❸◆☜⬧ᘎ⬋☠⬀ ﴾
ولو كان المحادون أقرب الناس إليهم ﴿🕮⬆❒⬮ᘎ⬧🕓✵⬦⬄❑⬤﴾أي الذين لم يوادوهم ﴿⬕🗎⬧☞◆⬕✿ ✗⬂❼ 🕭➔⬕➔❑⬮⬄ᘎ⬄☠⬉ ✂ᘎ“⬤③☺⬕🕓ᑊ⌘﴾ أثبته فيها "[1].

فنفي المودة يقصد منه في الحقيقة النهي عنها، والحامل على ذلك هو أن الله قد ثبت الإيمان في قلوبهم. ويبدو أن الآية تخبر عن صفة حميدة في قوم لتضعهم في محل القدوة لغيرهم، وعلى تقدير كونه نهيا فإنه لا يتوجه إلى المودة لكونها مسألة قلبية تتجاوز إرادة الإنسان ولكن يتوجه إلى بعض سوابقها أو لواحقها أو قرائنها، قال الشاطبي:" ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به. فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعا، وإن جاز عقلا ... إذا ثبت هذا فالأوصاف التي طبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب لا يطلب برفعها، ولا ما غرز في الجبلة منها؛ فإنه من تكليف ما لا يطاق ..."[2].

وينبني على ذلك أن الأمر أو النهي إذا تعلق بها فهو منصرف إلى أشياء تسبقها أو تلحقها أو تقترن بها، قال:" إذا ظهر من الشارع في بادئ الرأي القصد إلى التكليف بما لا يدخل تحت قدرة العبد، فذلك راجع في التحقيق إلى سوابقه، أو لواحقه، أو قرائنه "[3].

وبالتأمل يتبين أن المودة شيء يتجاوز كسب الإنسان، ولذلك فالنهي عن المودة متوجه إلى شيء داخل ضمن قدرة العبد تتفرع عنه المودة، قال الشاطبي:" ... فالذي تعلق به الطلب ظاهرا من الإنسان على ثلاثة أقسام:

- أحدها: ما لم يكن داخلا تحت كسبه قطعا ...

---

[1] أنوار التنزيل 315/5.
[2] الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، 107/2-108، دار المعرفة، بيروت د ت ط.
[3] نفسه 107/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- والثاني: ما كان داخلا تحت كسبه قطعا ...
- والثالث: ما قد يشتبه أمره؛ كالحب والبغض وما في معناهما. فحق الناظر فيها أن ينظر في حقائقها، فحيث ثبتت له من القسمين حكم عليه بحكمه. والذي يظهر من أمر الحب والبغض والجبن والشجاعة والخوف ونحوها أنها داخلة على الإنسان اضطرارا ... "[1]

والحاصل أن العبد مطالب باستكمال الإيمان، فإذا بلغ هذه المرتبة صار بالضرورة ممن لا يواد من حاد الله ورسوله، لكون هذا من آثار الإيمان ولوازمه. فإذا صار كذلك فقد استجمع أسباب الخير "... هؤلاء الذين لا

كتب الله في قلوبهم الإيمان ... قضى لقلوبهم الإيمان ... .. وقواهم ببرهان منه ونور وهدى ... ويدخلهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ... ماكثين فيها أبدا بطاعتهم إياه في الدنيا في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة ... أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه ... ألا إن جند الله وأولياءه ... هم الباقون المنجحون بإدراكهم ما طلبوا والتمسوا ببيعتهم في الدنيا وطاعتهم ربهم ... "[2]

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الإيمان إذا دخل قلب الإنسان انشرح صدره، ولان لذكر الله قلبه واطمأن به، واستحق الأمن في جنب الله، وسلم قلبه من الأمراض، وصار من أهل المودة والرحمة بأهل الإيمان، وانقطعت مودته لمن حاد الله ورسوله ولو كان من

[1] الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، 2/107-108.
[2] ابن جرير، جامع البيان 28/27.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أقرب الناس إليه. هذا عن آثار الإيمان على المستوى النفسي، فما هي آثار الكفر؟ ذلك ما يسعى للإجابة عنه في المبحث الموالي.

المبحث الثاني:

أثر العقيدة الفاسدة على المستوى النفسي:

تقدم في المبحث السابق أن من آثار الإيمان جملة من الأمور النفسية تحصل لصاحبه كانشراح الصدر، ولين القلب لذكر الله واطمئنانه به، وسلامته، والأمن، ومحبة أهل الإيمان وعدم موادة أهل الكفر. فهل في نصوص القرآن الكريم ما ينص على آثار نفسية للكفر على مقارفه؟

- إذا تأملنا نصوص القرآن الكريم نجده أنه قد نص على جملة من الأمور تصيب الكافر منها:

1- ضيق الصدر:

قال تعالى: ❁▫⬧☺⍓♊ ③⬉❷⌘⑩⬂ ✁⬳✍✦ ♌❒🕮
③⬧♑⇧⑨⬂③❍⬅🕛 ④❑⌑⇧❸⬧⬄⬀ 🕒✽⑨⇧❻⬧■⬅🕛
⬿⬂”✵⬥⬄⬕■⬛🕛⏍⬏ ☎ ❑⬧✌⬧♊ ③⬉❷⌘⑩⬀ ♌❒🕮

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

🕛←■◆❻⇕⑨✾🕒 ⬀✍⊠➔⬂♑⬩⑥ 🕛⬉🕮⅄✃⬁🙰⬉③
🙵⊠☺❋☼❒🕯⬩🗎 🕭☯♊♦❷⊠❍ 🙵🕑☽🙴♒⓿✾➩
🗐 🙪⬈✎🙵⊠☺○○🙜🙵✃ ❼🙨✖ ⇠⑨☐➔⭘🕛♦③
✦✎🙵✃ ⬉✍⊠➔⬂♑⬩⑥ 🙞①🙪🙜🕓☒⓿⬩🗎
⬩⬩ 🙞▫⇦🙪🕭⅄✎🙵✃ ❼■✍◆⬉ ❝⬝⇕♉🙴♒❷🙜🙵✃
.[1]🙹 ⬘➩🙘🙨⬀ 🙞♍❑⬉☪🙪✌⬃⬩⬉③

فقد نصت الآية على أن الله عز وجل كما يشرح قلوب المهتدين، فإنه يجعل صدر من كفر ضيقا حرجا أي " شديد الضيق ... وروي أن عمر أحضر أعرابيا من كنانة من بني مدلج فقال له: ما الحرجة؟ فقال: شجرة لا تصل إليها وحشية ولا راعية، فقال: كذلك قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الإيمان والخير "[2].

" وقرأ ... نافع وأبو بكر حرِجا بالكسر: معناه الضيق، كرر المعنى وحسن ذلك لاختلاف اللفظ، والباقون بالفتح جمع حرجة... وقال الزجاج: الحرج: أضيق الضيق، فإذا قيل: فلان حرج الصدر فالمعنى: ذو حرج في صدره، فإذا قيل: حرج فهو فاعل، قال النحاس: حرِج اسم الفاعل، وحرَج مصدر وصف به كما يقال: رجل عدل ورضا"[3].

إذا فصدر الضال ضيق شديد الضيق، كالشجرة التي التفت حولها الأشجار التفافا شديدا بحيث لا يصل إليها من الأنعام ولا من غيرها أحد، وقد ورد في الآية معطوفا على الضيق، على طريق عطف المترادفات على بعضها لتغاير اللفظ، وتتضمن معنى زائدا وهو شدة الضيق، وحرَج إما اسم فاعل "ذو حرج "، أو مصدر فيقال: صدر حرَج –بالفتح-، كما يقال رجل عدل.

ومثلت الآية هذا الضيق بحال الذي يصعد في السماء:🙸❒◆✌♦♊ ③⬉❷🙓⑩⬃
🕛←■◆❻⇕⑨✾🕒 ⬀✍⊠➔⬂♑⬩⑥ 🕛⬉🕮⅄✃⬁🙰⬉③ ♌❒🕮
🙵⊠☺❋☼❒🕯⬩🗎 🕭☯♊♦❷⊠❍ 🙵🕑☽🙴♒⓿✾➩
.🙹🙪⬈✎🙵⊠☺○○🙜🙵✃ ❼🙨✖ ⇠⑨☐➔⭘🕛♦③

---

[1] الأنعام : 125

[2] أبو جعفر النحاس، معاني القرآن ج: 2 ص: 486ـ تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة، ط1: 1409.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 7/80-81.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قال القرطبي:" ... [وقد قرئ] بإسكان الصاد مخففا من الصعود: وهو الطلوع، شبه الله الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمترلة من تكلف ما لا يطيقه كما أن صعود السماء لا يطاق، وكذلك يصاعد، وأصله يتصاعد أدغمت التاء في الصاد وهي قراءة أبي بكر والنخعي إلا أن فيه معنى شيء بعد شيء وذلك أثقل على فاعله، وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف وهو كالذي قبله، معناه: يتكلف ما لا يطيق شيئا بعد شيء كقولك يتجرع ويتفوق، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: كأنما يتصعد، قال النحاس[1]: ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ يصعد ويصاعد واحد، والمعنى فيهما أن الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك، فكأنه يستدعى ذلك وقيل المعنى كاد قلبه يصعد إلى السماء نبوا عن الإسلام ... "[2].

فوجه المشابهة هنا بين صدر الكافر –بالنسبة إليه– وبين الذي يصعد في السماء هو أن هذا الضيق لا يطاق كما أن صعود السماء لا يطاق.

وتضمنت قراءة ﴿يصاعد﴾ و ﴿يتصاعد﴾ معنى زائدا وهو حدوثه مرة بعد مرة وهو مؤد إلى ارتقائه وزيادته.

ولقد أدى التطور العلمي إلى اكتشاف بعض الحقائق التي ربما جعلت هذه الصورة أوضح، فإن الآية " ... تشير بكل وضوح وصراحة إلى حقيقتين كشف عنهما العلم:

- الأولى: أن التغير الهائل في ضغط الجو الذي يحدث عند التصاعد السريع في السماء، يسبب للإنسان ضيقا في الصدر وحرجا.
- الثانية: أنه كلما ارتفع الإنسان في السماء انخفض ضغط الهواء، وقلت بالتالي كمية الأوكسجين، مما يؤدي إلى ضيق في الصدر وصعوبة في التنفس "[3].

وبهذه النظرة الجديدة فإن الضيق والحرج المذكور في الآية ضيق حقيقي كالضيق الذي يحدث لمن يصعد في السماء بسبب تغير ضغط الجو ونقصان " الأوكسجين "، ولكن الفرق بينهما هو اختلاف المؤثر، فسبب هذا مادي وسبب الآخر عقدي.

---

[1] انظر: النحاس، معاني القرآن 487/2.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 83/7.

[3] يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص347، مكتبة ابن حجر، دمشقط2: 1424-2003.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كما أن الآية لم تتحدث عن الضيق فقط ولكن تحدثت عن بلوغه أقصى درجاته، كما أشارت إلى مسألة التزايد عبر التصاعد الذي هو ترق في الصعود وحدوث له مرة بعد مرة، " ولقد عبرت الآية عن هذا المعنى بأبلغ تعبير في قوله تعالى:﴿☐•◆☐✡❄☺☐ ③◆⓪☐☐→☐⑨← ✗☐❼ ✂☐☐☐☐○○☺☐☐✎↗☐﴾ ... فالآية لم تتكلم عن مجرد الضيق الذي يلاقيه في الجو المتصاعد في السماء فقط، وإنما تكلمت عن ازدياد هذا الضيق* إلى أن يبلغ أشده "[1].

هذا ولئن كان مطلع الآية يجعل هذا الضيق وصفا لأهل الضلال، فإن ما تعقب به بعد ذلك يبين أن هذا الضلال هو الكفر، كما تفيد أنه يجعل عليهم الرجس أيضا:﴿☐•⓿☒☐☐☐①☐ ⑥•♑☐➔☐☐↖ ✂☐☐✎✦ ✂☐☐☐❷☐☐☐⇕▪“ ↖◆☐■❼ ✂☐☐✎▲☐☐⇦▫☐ •• ③↖•☐☐☐☐↖☐♍☐﴾.

" وأصل الرجس في اللغة النتن، قال ابن زيد: هو العذاب، وقال ابن عباس: الرجس هو الشيطان أي يسلطه عليهم، وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه، وكذلك الرجس عند أهل اللغة هو النتن؛ فمعنى الآية والله أعلم ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿↖◆☐■❼ ✂☐☐✎▲☐☐⇦▫☐ •• ③↖•☐☐☐☐↖☐♍☐﴾"[2].

- مرد ذلك إلى أن كتلة الجو غير موزعة بشكل متساو في الاتجاه العمودي، فما بين سطح الأرض وارتفاع عشرين ألف قدم فوق مستوى سطح البحر تتجمع نحو خمسين بالمائة من الكتلة الكلية، بينما يتجمع نحو تسعين بالمائة منها فيما بين سطح الأرض وارتفاع خمسين ألف قدم، ولذلك فإن الكثافة تتناقص بسرعة شديدة كلما ارتفع الإنسان في اتجاه عمودي، وكلما بلغ الإنسان ارتفاعات عالية كانت كثافة الهواء قليلة جدا. وإذا ما وجد على ارتفاع يقل عن عشرة آلاف قدم فإن ذلك لا يسبب له مشكلة جدية بالنسبة للتنفس، فإذا ارتفع إلى ما بين العشرة آلاف والخمس والعشرين ألف قدم فسيكون التنفس في مثل هذا الارتفاع ممكنا لتمكن الجهاز التنفسي من التأقلم ولكن بصعوبة وبكثير من الضيق، فإذا ارتفع إلى مستوى فوق ذلك فإنه لن يستطيع أن يتنفس مطلقا ويموت اختناقا بسبب قلة الأوكسجين.

وعليه يجب على الطائرات إذا كانت في ارتفاعات كبيرة أن تحافظ على مستوى معين من الضغط الداخلي، لأن الضغط الجوي في تلك الارتفاعات يكون أدنى بكثير من الحد المطلوب لتأمين الأوكسجين الكافي لبقاء الركاب على قيد الحياة. كما أن التغير الكبير في الضغط الجوي الناتج عن تغير الارتفاع يؤدي إلى انزعاج جسدي حاد بسبب ارتفاع نسبة النتروجين في الدم عند الانخفاض السريع للضغط. انظر: المرجع نفسه ص348.

[1] نفسه ص349.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 83/7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و ﴿كذلك﴾ تفيد معنى أنه عز وجل يجعل عليهم الرجس أيضا كما جعل الضيق في صدورهم " أي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس ... عليهم، ووضع الموصول موضع المضمر للإشعار بأن جعلَه تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر "[1].

وأبو السعود –صاحب الكلام السابق- يشير هنا إلى شيء أكبر مما صرحت به الآية من خلال تأمله لعمق النص، فقد وصفتهم الآية بأنهم ﴿•• ③⇱⬀♦⬀✌☋☪⇱❑♍☙﴾، وهو ينص على "كمال نبوهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر "، وبه قال البيضاوي أيضا.[2]

والحاصل أن الضيق والحرج أثر من آثار الكفر كما الرجس أيضا.

2- قسوة القلب:

قال تعالى:﴿📖❒▫♦☺⍓♊ ⌗•❸◆⍓⍓ ✁✍✦ 🕒❁⑨⇧❻◆■←🕛
🕮⬄🖁■🕛⚐⚐ ▫♦♑←❑◆ ⬉◆✍■❼🗐 ☼←❑❻♐ ✌♓☋♊
❻▪✐☠■☋❍☋🕘 🗐▫♦❑◆③⬀✍⬁ ♐☞☋🖬▫◗♦🕛❍⬁⓿◆❑☋

🗐 ✁✍✦★ ❶☋✍⬂⬂❷⌧ ✌♓☋♊ 🔔➔🖬➔❑⍗⬊☙⬃☠
✌✗✓☋⌨❿✌ ♐✍🕛■🖬✽⬂ ❼☋✗ ⍓⌨✏⬙✵🕛♦♐✍🕯❑⬆📖
⬀⌘⌘⬂ ﴾[3].

تضمنت الآية استفهاما يتضمن نوعا من إنكار التسوية بين صنفين من الناس، وينبه على بعد ما بينهما، وقد صرحت الآية بالطائفة الأولى وأما الثانية فإنها مفهومة من السياق الآتي، قال ابن جرير:" يقول تعالى ذكره: أفمن فسح الله قلبه لمعرفته والإقرار بوحدانيته والإذعان لربوبيته والخضوع لطاعته ﴿▫♦♑←❑◆ ⬉◆✍■❼🗐 ☼←❑❻♐ ✌♓☋♊ ❻▪✐☠■☋❍☋🕘 ﴾، يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين بتنوير الحق في قلبه فهو لذلك لأمر الله متبع وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه وأخلاه من ذكره وضيقه عن استماع الحق واتباع الهدى والعمل بالصواب، وترك ذكر

---

[1] تفسير أبي السعود ج: 3 ص:183- 184، وانظر تفسير البيضاوي ج: 2 ص: 451.

[2] نفسه.

[3] الزمر/22.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الذي أقسى الله قلبه وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام إذ ذكر أحد الصنفين وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله ﴿◻⬧◆❑③⬃✍⋞
☝⬧ⓔ☞◻⬛⬥◑⬧◑⬧◻◆⓿⬗◻◆⬛⬥☞◻⬛◻➔⬛⬥◻⬇☞⬗☞◻⬇☠ ♓☞◻♊
❶⬗☞⬗⬗❷◻✂☝✍★﴾"[1]

والمعنى كما قال مجاهد:" ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه "[2] .

وقد وصفت الآية الصنف الثاني بأن قلوبهم قاسية من ذكر الله، والمعنى أنها " لا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم "[3]، و " إذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته عز وجل اشمأزوا من ذلك وزادت قلوبهم قساوة "[4].

وأما القسوة ﴿من ذكر الله﴾ فـــ:" .. من أجل ذكره سبحانه الذي حقه أن تلين منه القلوب ... وقريء : ﴿عن ذكر الله﴾ والمتواترة أبلغ لأن القاسي من أجل الشيء أشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه "[5] .

وإذا نظرنا في الآية التي تجيء بعدها أفادتنا في فهم معنى هذه القسوة، قال تعالى:﴿
✂☝✍✦ ☼◆❽◻✌♦ 📖◻◯⇧◯❀♊⌘ ✂☝✍💻⬂◻⑨⬗③☸⬗
☝⬗☝⬧◑⌛✡☝ ☝⑩☞◆⊕◆◑⌛✡♑☝ ☝◻⊕⬧☝❄⬗❼◆
✍⬧◑⬂⊕◆➔⬗❷❾ ☝⬗⊙☝⬃◯← ♉⬉◻➔◻⑩←
✂☝✍⛶⬗⬅×◆ ⑥⬧③⬂⊕◆◻⬀♍☞ ❻◆⬛✹♑⬃☠⬀ ⚐➔☠⬝
✍⬧⬗⬗☂×← ♉⬉◻➔◻⑩←♎➔☠⬀
◻⬧◆◻⬛➔◻⬚←♑←☠⬀ ⬗⬗◻■❼◻ ❶⬗☞⬗⬗❷◻✂☝✍★
❾◆⬗☞⬗❾ ❼◻⬛⬗☞◯⬗☎⬗ ♎➔❾⬗❽ ✂☝✍★ ❾☞⬂⬗⑨⬗❽
⬗◯⬗◯⬗ ♊◆☝⬗ ④◻⊕◆☝✍⬈↓ ◻◆☝◆♊ ③⬉⬗⇳◻⬗✍⬃
✂☝✍✦ ◻◆◉⬗☝✍ ◆⬗◯◆←◯ ☝⬗♊⇧ ♎⬗☝⑩☮﴾[6].

فقد بينت الآية ما أجملته التي قبلها من انشراح الصدر وتوابعه من لين القلب لذكر الله؛ وصورته أن يقشعر الجلد ويوجل القلب ثم يعقبه لينهما لذكر الله، ونصت الآية على أن

---

[1] جامع البيان 209/23.

[2] نفسه.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 51/4.

[4] الألوسي، روح المعاني 257/23.

[5] نفسه.

[6] الزمر : 23.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذا من ﴿♎➔⑨⍓❽ ✂🙰✎★ ⑨◆🙱✈⑨♉❽ 🖃♐❍♉🕗 ♋♦♊﴾ وهو منطبق على وصف من وصف في الآية السابقة بقوله عز وجل: ﴿🕮❐▫◆☺⍓♊ ⌖•❸◆⍓⍓ ✂🙰✎✦ 🕒✿⑨⇳❻◆■⬅🕛 ♐♉"❖♋⇔⌧■🕛⚐☝ ▫◆♑⬅❐◆ ⬉◆✍■❼🗐 ☼⬅❐❻♐♋♓♉♊ ❻▪🖃♐❍■♉🕗﴾، وضده من لا يحدث له هذا التأثر وهو مفهوم من الآية وإن لم ينص عليه صراحة. وقد جعلت في مقابل المهتدين الذين تقشعر جلودهم عند ذكر الله الضالين ﴿❐◆♋◆♊ ③⬉⌀⇳⌧♐✍⬀ ✂🙰✎✦ ▫◆☺⍓🙰 ♐•❍⬅🕛﴾، وهو مطابق لوصف من وصف في الآية السابقة بقوله جل وعلا: ﴿▫◆❐◆③⬀✍⮘ ♐♏♉⌧▫☽•🕛❍⬁⓿◆❐♉ ♍❐➔⌧➔❐⍗⬊♋⬃☠ ♋♓♉♊ ❶♉🖎🙰⬂❷⌘ ✂🙰✎★ 🗐 🕮⬆❐⍕♐•🕓✵⬦♐⌨⍓ ×♊❼ ⬂✿⌧■🕒⍉♐ ♋❿⌨♊✓×✌﴾، وهو ما يفيدنا في فهم معنى هذه القسوة التي ينتج عنها ضد ما يحدث لأولئك المهتدين الذين توجل قلوبهم وتقشعر جلودهم لذكر الله؛ أي أن هذه القسوة هي عدم استجابة هذه القلوب أو تأثرها لذكر الله أو لسماع آياته كما يفترض أن يحدث للقلب السليم، بل هي جافة صلبة لا تتزعزع ولا تتحرك. وقد أشار ابن جرير إلى ذلك وهو يقول في تفسيرها: "يقول تعالى ذكره: فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره مذكرا به عباده فلم يؤمن به و لم يصدق بما فيه ... وقوله: ﴿🕮⬆❐⍕♐•🕓✵⬦♐⌨⍓ ×♊❼ ⬂✿⌧■🕒⍉♐ ♋❿⌨♊✓×✌﴾: يقول تعالى ذكره هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلال مبين لمن تأمله وتدبره يفهم أنهم في ضلال عن الحق جائر "[1].

وربطه بين جفاف القلب والإعراض عن القرآن الكريم وبين ما يأتي في السياق القرآني في صفة الذين تقشعر جلودهم من سماع القرآن –وإن لم يصرح به– بين بعد تأمله.

هذا وقد أشار الألوسي في حديثه عن القسوة إلى مسألة تفوقها؛ وهي أن قلوب هؤلاء الكفار تشمئز عند ذكر الله، وقد ذكر ذلك في نفس السورة التي جاءت فيها هذه الآية

[1] جامع البيان 209/23.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

التي تتحدث عن القسوة: أي سورة الزمر، وذلك قوله تعالى:﴿❒◆☽♑❶⬧✇
❶➔✍❷⧫ ✇⬧✍◈ ❒◆■⬃⑨◻■⬅ ✇✍⬆⇳☺◻❒ﬡ❒◻☠⇳
♎⬆✍◈✇ ••③⬉⬃✍♑☾⬉❒♍☙ ♎➔⬃➔❒⚇➲
❶➔✍❷⧫ ✇⬧❶♑☽◆❒ ☎ ✍❒◆❷⌘☞◻✍✍♑✍
⌂➔♎ ✇⬧❶♑☽ ▦🕐♑○♑☼❒⬅⑩ ♊♑✍ ⌘♊③♑♎⬆✍✍✇⬄☠➔♎
.[1] ﴾ ⬉✍♑⬃⧫♌❒⬅❸⬉⌑⬄▭⧫✍⇔○◻④

ومعنى " ﴿✇⬆✍⇳☺◻❒ﬡ❒◻☠⇳ ♎➔⬃➔❒⚇➲
••③⬉⬃✍♑☾⬉❒♍☙ ⧫✗⬄♑♎⬆✍✍✇
✍❒◆❷⌘☞◻✍✍♑✍ ☎﴾: أي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى: ﴿
❶⬧✍⊠❷⬀☠✿ ❻⧫✍✸⌨◻ ❼♑✗
❒⬆✍☽⬆❷⬀⬈◆✇♌⬃ ❒◆■⬃⑨◻■⬅ ① ❒◆⬏⬆◻⬃✇☎
✇✍⬉■❼✇ ◻📖⑩⬃✍⧫🕐❷⊠♎♑⚐⬄ ☼⬅▦➔◻❻✡✇
.[2,3] ﴾ ⬉✍♑⬃⧫

فقد نصت الآية على شيء أكبر من قسوة القلب من ذكر الله، وهو أن قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة تضطرب وتنفر عند ذكره سبحانه، فالقسوة رد فعل سلبي أي عدم الاستجابة، وأما الاشمئزاز فإنه رد فعل إيجابي؛ بمعنى أنه شيء يتجاوز القسوة، لأن القسوة تنتج عدم الاستجابة فقط، أما الاشمئزاز فهو يؤدي إلى النفور والاضطراب وعدم الراحة، وسببه ما استقر في قلوبهم من الكفر والشرك الذي لا يأنسون بغيره، ولذلك فهم يستبشرون به ويطمئنون إليه " ﴿❒◆☽♑❶⬧✇ ❶➔✍❷⧫ ✇⬧✍◈♑♎⬆✍✍✇⬄☠➔♎ ⌘♊③♑✍♊ ⑩⬅❒☼♑○♑🕐▦ ﴾ فرادى أو مع ذكر الله تعالى ﴿☽♑❶⬧✇ ♎➔☠⬄ ④◻○⇔✍⧫▭⬄⌑⬉❸⬅❒♌⧫ ﴾ لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى، ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما؛ فإن الاستبشار هو أن يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز أن يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه أديم الوجه "[4] .

---

[1] الزمر : 45.
[2] الإسراء : 46.
[3] أبو السعود، تفسير أبي السعود 257/7.
[4] نفسه 257/7-258.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

3-الهلع:

قال تعالى:﴿❁◑♑♌□ ✃✍“☼●●○✿◷♊⌘ ⌘♐■♑☐♦
♎◱■➔❑◭◷♔ ✍✍♑✍ ◑♑❶♦✃ ✌♦○○○←
✃✍♏◵◻♐❽↓❑↖✡✍ ✃✍♏◶☐◉❸❿ ♉◻❶♑◑♦✃
✌○○○←✍✍✍✍◳◵②♦❷◸❸← ✌♦◶◨↖❑◳◷✍✍ ♉✍♉♑✍
◑♑♦♦ ✃✍◵☺←◵✿✃✍✍✍✍♦ ✍✍♉✍
✃✍✍✍✍✍♦✍✍✍♎⚠➔✍✍ ■❼◫ ✍☸●◙●✍&✍✍✍◸
❿◻✃✍★✍☺←❑♌♦ ✍✍✍✍﴾ إلى

قوله:﴿✍❑↑♁◙✍◑☼✱◈✍⌨◻ ✕♑❼ ♉◻◶❑◷✍●▭

✌❿▤◳❷♦✌↖❑♌♦ ✍♑✍✍✍﴾ [1].

فالآية تقرر طبيعة بشرية خسيسة سمتها الآية الهلع، ثم بينت مدلوله وهو الجزع عند نزول الشر والمنع عند مجيء الخير، قال ابن كثير في تفسيرها:" يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿❁◑♑♌□ ✃✍“☼●●○✿◷♊⌘ ⌘♐■♑☐♦ ♎◱■➔❑◭◷♔﴾، ثم فسره في قوله:﴿◑♑❶♦✃ ✌♦○○○← ✃✍♏◶☐◉❸❿ ♉◻❽↓❑↖✡✍﴾ أي إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، ﴿❑♦◑♑❶♦✃ ✌♦○○○← ✃✍◳◵②♦❷◸❸←﴾ أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها..." [2].

فالإنسان مجبول على أخلاق دنيئة فهو هلوع "... شديد الحرص قليل الصبر ﴿◑♑❶♦✃ ✌♦○○○← ✃✍♏◶☐◉❸❿ ♉◻❽↓❑↖✡✍﴾ يكثر الجزع ﴿❑♦◑♑❶♦✃ ✌♦○○○← ✃✍◳◵②♦❷◸❸←﴾ السعة: ﴿✌♦◶◨↖❑◳◷✍﴾ يبالغ بالإمساك، والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها" [3].

---

[1] المعارج: 19-25.

[2] تفسير القرآن العظيم 422/4.

[3] أنوار التنزيل 389/5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والبيضاوي –في هذا النص– يؤكد ما ذكره ابن كثير من كون هذه الأوصاف أحوالا مقدرة ومحققة وقد جبل الإنسان عليها، لا يسلم من ذلك إلا مؤمن:" أي الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ "[1].

وقد استثنت الآية من هذا الوصف الذي جبل عليه كل إنسان قوما يؤدون صلاتهم وزكاتهم ويؤمنون بيوم القيامة ويخافون عذاب الله ويحفظون فروجهم كما يحافظون على أماناتهم وعهودهم وصلواتهم:﴿ [illegible] ﴾[2]، وكل هذه صفات تنطبق على أهل

---

[1] تفسير القرآن العظيم 4/422.

[2] المعارج : 22-35.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الإيمان، بل على من اكتمل الإيمان في قلوبهم وبلغوا فيه مرتبة عالية. وقد سمتهم آية أخرى " المؤمنون " في السورة التي تعرف بهذا الاسم قبل أن تعدد من صفاتهم ما يكاد يتطابق تطابقا كاملا مع ما ذكر في هذه الآيات.[1]

والنتيجة أن من لم يعانق الإيمان قلبه فإن هذا الوصف الذميم يبقى ملازما له قائما بنفسه حاضرا فيها، فيكون من نتيجة الكفر تحول صاحبه إلى آلة جمع ومنع يتوقع الشر في كل حين ويسعى للاستعداد له باستجماع كل ما يستطيع، حتى إذا نزل به قطع الجزع قلبه كما قطعه الحرص والمنع من قبل.

ولكن ما معنى كون هذه الصفات ذميمة مع أن الإنسان قد جبل عليها؟

يبدو أن المشكلة ليست في أصل الصفة ولكن في جموحها وعدم تقيدها بحد؛ ذلك أن ما فطر عليه الإنسان من حب الخير والتماس أسبابه يشغل وظيفة محرك الحياة الذي بدونه لا يبذل أحد سببا، غير أن هذا الأمر الذي هو كالسبب، إذا لم تقارنه مهدئات ومهذبات تحول إلى غاية وصار صاحبه كالعابث، بل تحول إلى رجل مريض لا يزيل الألم بالدواء ولكن يتألم بفقدانه. وقد جاء النص على ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر فقال:" **إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثني بالأخرى، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فقلنا يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرحضاء* فقال أين السائل آنفا؟ أو خير هو؟ ! –ثلاثا–، إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإنه كل**

---

[1] سورة المؤمنون الآيات من 1 إلى 11.

* الرحضاء: العرق من الشدة، وأكثر ما يسمى به عرق الحمى. انظر: النووي، شرح صحيح مسلم 150/7، مراجعة خليل الميس، دار القلم، بيروت ط1: 1407-1987.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم، إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها، استقبلت الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت، وإن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة "[1].**

قال النووي في شرح الحديث:" .. معناه أنه صلى الله عليه وسلم حذرهم من زهرة الدنيا وخاف عليهم منها، فقال هذا الرجل: إنما يحصل لنا ذلك من جهة مباحة كغنيمة وغيرها وذلك خير، وهل يأتي الخير بالشر؟ وهو استفهام إنكار واستبعاد، أي يبعد أن يكون الشيء خيرا ثم يترتب عليه شر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أما الخير الحقيقي فلا يأتي إلا بخير أي لا يترتب عليه إلا خير، ثم قال: أو خير هو؟ معناه أن هذا الذي يحصل لكم من زهرة الدنيا ليس بخير وإنما هو فتنة وتقديره الخير لا يأتي إلا بخير ولكن ليست هذه الزهرة بخير لما تؤدي إليه من الفتنة والمنافسة والاشتغال بها عن كمال الإقبال على الآخرة، ثم ضرب لذلك مثلا فقال صلى الله عليه وسلم: إن كل ما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم ... ومعناه أن نبات الربيع وخضره يقتل يقتل حبطا بالتخمة أو يقارب القتل إلا إذا اقتصر منه على اليسير الذي تعود إليه الحاجة وتحصل به الكفاية المقتصدة فإنه لا يضر، وهكذا المال هو كنبات الربيع مستحسن تطلبه النفوس وتميل إليه فمنهم من يستكثر منه ويستغرق فيه غير صارف له في وجوهه هذا يهلكه أو يقارب إهلاكه ومنهم من يقتصد فيه فلا يأخذ إلا يسيرا وإن أخذ كثيرا فرقه في وجوهه "[2].

** الحبط: التخمة، أو يلم: أي يوشك أن يقتل، وآكلة الخضر: أكثر ما يقال للإبل والبقر والفيلة، وثلطت: ألقت الثلط وهو الرجيع. انظر: المصدر نفسه.

[1] البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل النفقة في سبيل الله 1045/3 ح2687 واللفظ له، ومسلم، كتاب الزكاة، باب تخوف زهرة الدنيا، 727/2 ح1052

[2] شرح صحيح مسلم 148/7-149.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ففي هذا الحديث يشبه النبي صلى الله عليه وسلم حال الذي يتحول عنده جمع الدنيا إلى مقصد بحال الذي يقتله الطعام الذي كان من المفترض أن ينفعه لأنه يأكل ولا يشبع فيموت بسبب التخمة، وفي هذا تصوير رائع لمسألة تحول السبب إلى غاية وتحول ما أصله النفع إلى ضرر ووبال، وهو يؤكد ما ذكر سابقا من أن الدافع الخلقي ليس معيبا، ولكن العيب في جموحه وخروجه عن وظيفته وحده. وعليه فمن المفترض أن يكون ما يحصل للعبد من حظوظ الدنيا مما زين للناس وسيلة يتوسل بها إلا إصلاح نفسه، ويتقوى بها على إدراك الغاية الكبرى –أي نيل مرضات الله–؛ فينتفع منها بما تحقق حاجته إليه ويصرف ما زاد عن حاجته إلى من كان محتاجا إليه، ولا يكون في طلب متاع الدنيا على هذا الوجه شيء يذم، أما إذا تحولت الوسيلة إلى مقصد والسبب إلى غاية، فإن الإنسان عند ذلك يقتل نفسه بكثرة ما يجمع كما تقتل البقرة نفسها تخمة بكثرة ما تأكل مما كان من المفترض أن ينفعها إن هي أخذت منه حاجتها ثم استقبلت الشمس فثلطت وبالت: أي صرفت ما زاد عن حاجتها.

وقد ذكر القرآن الكريم صورة أخرى لهذا الهلع الذي يعتصر قلوب الكفار، هي الحسرة التي تعتصر قلوبهم عند فوات المقصود، قال تعالى:﴿

③♦🕐✵🕯❒⑨☙&❑🙰 ✁🙰✎⅄🔔♉⇦×♦
➚♦✁♉✂♦✡⇖❑✁☎ •♦ ✍♦▤➚❑☼🡐❑✁☎
🖅☒🔔🙰✎⅄🔔♉⇦×♦ 🖅☒▦☒❷⇖❑✁☎
❑♦🔔•🙰ඉ➚❑✁☎ “ॐ⌘⬃❑♦🕐☼♉♑♉☠⬀ ☽♉❶♦✁
♉•❸♦🖃🡐❑✁☎ ×♉❼ ✁🙰❀☞❻⬀⋎⬖ 🕮❒❒⬃
🖅☒🔔☼🡐❑✁☎ ➘➚❽☒❽ ඉ⅄❑⬀ 🖅☒🔔☼🡐❑✁☎
⇖♉✡⑨⍓☼♦🙰 ✌♦🙰 ✌♦🙰✍➔❑✁☎ ❒♦✌♦🙰
🔔➔☞♉🖬➔❑✁☎ ඉ♉⑩♦➶⇳➔⍓✍• ✁🙰✎✦
❶•🕐ඉ♉🖮⍓ ◯⍓⭘⇳❸♦❑☪ ×♉❼ 🔔➔🖬➔❑⍞☙&☙☠⬀ ▤
❒♦✁🙰✎✦ ⑥➚♦⬂❻⬖🕐 ❒♦⑦➚▦♉⓿💣➔ ▤
❒♦✁🙰✎✦ 🖃♉☺⍓🙰 ✍•➔⬃☺⍓🖬❑♌♦
.﴾🖃♦🕐⬁❷❸⮜ ⬀♉♉⬂⬖[1]

فقد نهت الآية المؤمنين أن يشابهوا قوما وصفتهم بصفتين:

---

[1] آل عمران: 156.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الأولى: أنهم كفروا، قال القرطبي:" يعني المنافقين "[1]. ولعل ذلك لأن سياق الآيات يتحدث عن موقف المنافقين يوم غزوة أحد. وعليه فالمعتبر في الآية المؤثر الحقيقي وهو ما تكن قلوبهم لا ما يظهرون.

والثانية: أنهم:" ... ﴿[illegible]﴾: يعني في النفاق أو في النسب في السرايا التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة، ﴿[illegible]﴾ فنهى المسلمون أن يقولوا مثل قولهم، وقوله:﴿[illegible]﴾ هو لما مضى ... ومعنى ﴿[illegible]﴾: سافروا فيها وساروا لتجارة أو غيرها فماتوا، ﴿[illegible]﴾: غزاة فقتلوا ... "[2]: ﴿[illegible]﴾.

والصفتان مرتبطتان برباط المقدمة والنتيجة والسبب والمسبب؛ فكفرهم هو الذي جعلهم يقولون هذا القول، خلافا للمؤمنين حقا الذين تنص عقيدتهم على: ﴿[illegible]﴾[3]، و ﴿[illegible]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 246/4.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 246/4.

[3] آل عمران: 145.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

❼⍈× ✍♦✌ "⇗⬁♍⬧⍓☺⬉⓿⍣⧫❒ ⬀☠→⎙⬁❻❑←⑨←🕒
⌨⚐⑩⍈⧯♦⭨ ✦✏✍✃◆❒ ▤ ⬀☠⬈⎙⍈✍❑➔⧯➔🔔
❁:و ،[1]❁⬁⬂⍈⬁⬁ ⬁❻❑←⑨❺🕐✍✃ ⧫☠✃☒⓿⍈✍
⬁✍⓿⍈⌛⍓ ❼⍈× ⬄⚐←☞▫⧯⍣☞➔🔔 ×⬁⬁⬧⍓◆❒
⮘❑♦❷⍣▦⬂⬄⍓☺⬧ ⬄⚐☞⬉✌ ⬃❑❑🕮 ★✏✍✃
⮘❸⬀❷⍓⌘ ⬊❑⍓☺⇳❍◆❻◆❒ ★✏✍✃ ⌘♊⍣♓✌
×⬁⬂⬧⍓◆❒ ⬁⬂⍈⍣⬁ ☞♍❑⬉➔⍓☺⬂♑⬧⑥ ✍⓿☺⍣♓✌
★✏✍✃ ❼■🖫☪" ⬀☠←☞▫⧯⍣☞➔🔔 ⬃❑❑🕮 ⬀☠☞⑩✌
♦♌❑←❸✿⌑⬂♦⬆✌ ⬁⬂⍈⍣⬁ ❁،[2] كما ينص على ذلك سياق السورة.

ونتيجة لهذه العقيدة الفاسدة تتقطع قلوبهم حسرة ❁⍓⑩⍣⧫⬈⇳➔⍓✍•
❼⍈× ☪❑◆❸⇳⓿⍓❍ ⍓⌨⍣⍓🕒⬧❶ ✦✏✍✃
⬀☠⬁&⬁⎕❑➔⧯➔🔔 ❁. و " ... اللام متعلقة بقوله:❁قالوا❁ أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم، والمراد أنه صار ظنهم أنهم لو لم يخرجوا ما قتلوا حسرة، أو متعلقة بقوله ❁لا تكونوا❁أي لا تكونوا مثلهم في اعتقاد ذلك ليجعله الله حسرة في قلوبهم فقط دون قلوبكم ... "[3]، " والحسرة الاهتمام على فائت لم يقدر بلوغه "[4].

وعليه فمن الآثار النفسية للكفر الهلع وهو الحرص على تحصيل الخير وجمعه وتوقع الشر وانتظاره والجزع والحسرة عند نزول الشر.

4-مرض القلب:

تقدم أن من آثار الإيمان سلامة القلب، وضد السلامة المرض وقد وقع النص عليه في القرآن الكريم. ولقد شاع هذا الوصف بصفة أساسية في المنافقين، كما قال تعالى:❁❑◆✌♊⍣⌘ ✍✃✍✡❑✍❑⬁ ③◆☽→❑✌⬉
★✏✍✍⍈✍ ⬈◆✃✌✌◆✡❑✍
❑◆⍈✍✍⍬❍⬂⓿◆❑⬁✈⍣ ✃✍⍓☞⌘⬁❷⧯ ❑◆✌✍◆

---

[1] آل عمران: 156.

[2] آل عمران : 157-158.

[3] الشوكاني، فتح القدير 393/1.

[4] تفسير القرطبي ج: 4 ص: 247

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible].[1]

وانطباق هذه الآية على المنافقين جلي ظاهر؛ فهم الذين يظهرون الإيمان ويقولون ﴿[illegible]﴾، وهم في الباطن كفار ﴿[illegible]﴾، يحسبون أنهم بذلك يقدرون على أن يخدعوا الله والمؤمنين ﴿[illegible]﴾. ثم إن الآية نصت على أن قلوب هؤلاء مريضة ﴿[illegible]﴾.

قال ابن جرير:" وأصل المرض السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان، فأخبر الله جل ثناؤه أن في قلوب المنافقين مرضا "[2]، ثم يقول:" معنى قول الله جل ثناؤه:﴿[illegible]﴾: إنما يعني في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله مرض وسقم، فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه عن تصريح الخبر عن اعتقادهم، والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه، هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله وتحيرهم فيه؛ فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنهم كما وصفهم الله عز وجل: مذبذبون

---

[1] البقرة: 8-10.

[2] جامع البيان 120/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما يقال فلان يمرض في هذا الأمر أي يضعف العزم ولا يصحح الرؤية فيه"[1].

فقد جعل ابن جرير المرض هنا شيئا مرتبطا بالجانب الاعتقادي وهو الشك، وهذا القول عليه عامة أهل التفسير من السلف، قال ابن كثير:" قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ﴿✗ⓦ❼ ☟●❺⌘✓⌧ ☎ ﴾ قال: شك، وقال ﴿□♦❽♦✂⑩⍓⚖➔☠⇖ ✂✍✏✦ ✌♦❷♦➩☪✍ ﴾ قال شكا، وقال ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿✗ⓦ❼ 🔔➔🖬➔❑🖃ⓦ♑ⓦ☠ ☟●❺⌘✓⌧ ☎ ﴾ قال: شك، وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وأبو العالية والربيع أبن أنس وقتادة ...

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿✗ⓦ❼ 🔔➔🖬➔❑🖃ⓦ♑ⓦ☠ ☟●❺⌘✓⌧ ☎ ﴾: قال: هذا مرض في الدين وليس مرضا في الأجساد، وهم المنافقون، والمرض: الشك الذي دخلهم في الإسلام ... "[2].

وأما ابن الجوزي فرغم أن منهجه تقصي جميع الأقوال وحصرها إلا أنه لم يذكر غيره، فقال:" ﴿✗ 🔔➔🖬➔❑🖃ⓦ♑ⓦ☠ ☟●❺⌘✓⌧ ﴾: المرض ها هنا الشك قاله عكرمة وقتادة "[3].

ومع أن هذا الوصف شاع في المنافقين، إلا أنه قد جاء في آياتين مكيتين مما يجعل من المحتمل أن يراد به الكفار، كما في قوله تعالى في سورة المدثر:﴿❒◆✌◆✍

⚘❻✍□☪✍✂ ✽🖬🕐❑♦⬁🕐❑📖 ✏✍♦☪▫🖬⍓➔⍓♉

✍♦☪▫🖬⍓➔⍓♉ ✍♦✌♦❑ · ☪❑⬩▤⚘⬦❄🕐■🖬♦✌ ⬩⬧ⓦ☽

♦✗⇦ⓦ🔔⅄✂ⓦ✍ ☪❑♦☪⬀☞ⓦ▫ ⬩⬧ⓦ☽ ⬀☠⬋✆⬩☜●⑨ⓦ⇖

⌘♊⬃☽⬂⑩♦☞⬄○♦⑩ⓦ ☎✂❒⇖❷☒▦☒✍

✽🖬🕐♦✍⬁▤⬂✍✂ ☎✂❑➔✍❑⬆📖 ♦✗⇦ⓦ🔔⅄✏✍✂

---

[1] نفسه 121/1.

[2] تفسير القرآن العظيم 49/1.

[3]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] "[1].

قال الشوكاني:" المراد بالذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والسورة وإن كانت مكية و لم يكن إذ ذاك نفاق فهو إخبار بما سيكون في المدينة، أو المراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب وهو كائن في الكفار، قال الحسين بن الفضل: السورة مكية و لم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الآية الخلاف "[2].

وفي سورة الحج: [illegible] [3].

قال ابن كثير:" [معنى] [illegible] أي شك وشرك وكفر ونفاق ... قال ابن جريج: الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون [illegible]: هم المشركون، وقال مقاتل بن حيان: هم اليهود "[4].

---

[1] المدثر: 31.

[2] فتح القدير 5/ 330.

[3] الحج : 53.

[4] تفسير ابن كثير 231/3، وانظر: تفسير القرطبي 86/12، وابن الجوزي، زاد المسير 443/5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كما ورد في سورة الأحزاب بصيغة تجعل من المحتمل أن يكون ذلك وصفا للفساق أيضا، قال تعالى:﴿③♦🕔✡♋○✿✍✏↗◆ ✂✍✍♐☪◻◻✍☞♍♎➪ ⬥○⇔⬂↗✖◻ ✉•⬆■♦⑨⌨ ✋♓♋♊⌘ ✂✍✍♐✡♓♋○✿✍✏↗♋ 🗐 ☽♌♌⇧ ✂✍✍✍◻☽•⓿⬂⬂↗✖◻ ✍♐✍✍✍♐⬂☽•◻⬀✌☞ •☒•▫ ✋◻③⬂♌•➔⬃♊⌘ ✍♐✍✍✍♐⬂☽•◻⬀✌☞ ▫•⑩◆⬇☺⬠➚⬠ ✂✍✍✏⅄🔔♋❽ ✖♐❼ 🔔•▫⌨♐○♋🕘 ✋♦❷◆⋎☒ ◻◆🔔➔◼▫♊⌘ 🔔•◻⬀•☪ ✋◻➔⬃❷⬉◻▫☸✍﴾[1].

قال ابن الجوزي": قوله تعالى:﴿▫•☒• ✋◻③⬂♌•➔⬃♊⌘﴾ أي: لا تلن بالكلام، ﴿▫•⑩◆⬇☺⬠➚⬠ ✂✍✍✏⅄🔔♋❽ ✖♐❼ 🔔•▫⌨♐○♋🕘﴾ ﴿✋♦❷◆⋎☒﴾: أي فجور، والمعنى: لا تقلن قولا يجد به منافق أو فاجر سبيلا إلى موافقتكن له، والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة ﴿◻◆🔔➔◼▫♊⌘ 🔔•◻⬀•☪ ✋◻➔⬃❷⬉◻▫☸✍﴾: أي صحيحا عفيفا لا يطمع فاجرا "[2].

فهذه آيات وصف فيها غير المنافقين من الفساق أو الكفار بمرض القلب، أو على الأقل هي تحتمل ذلك. قال ابن القيم:" فمرض القلب خروجه عن صحته واعتداله، فإن صحته أن يكون عارفا بالحق محبا له مؤثرا له على غيره، فمرضه إما بالشك فيه، وإما بإيثار غيره عليه.

فمرض المنافقين مرض شك وريب، ومرض العصاة مرض غي وشهوة، وقد سمى الله سبحانه وتعالى كلا منهما مرضا "[3].

إذن فمرض القلب وصف لمن لم يكتمل الإيمان في قلبه سواء أكان كافرا مجاهرا، أم منافقا يظهر الإيمان ويبطن خلافه، أم كان من فسقة أهل القبلة الذين انطوت قلوبهم على غي وشهوة.

---

[1] الأحزاب : 32.

[2] ابن الجوزي، زاد المسير 6/ 379.

[3] ابن القيم، التفسير القيم لابن القيم –جمع: محمد أويس الندوي–، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص113.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويلاحظ أن عامة المفسرين -كما تقدم- قد حملوا هذا المرض على شيء يرتبط بالجانب الاعتقادي المحض، والمقصود في هذا المبحث النظر في المسألة من الجانب النفسي، وقد وجدنا الألوسي يتناول ذلك فيقول:" المرض بفتح الراء كما قرأ الجمهور، وبسكونها كما قرأ الأصمعي عن أبي عمر وعلى ما ذهب إليه أهل اللغة: حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل، وعند الأطباء: يقابل الصحة، وهي الحالة التي تصدر عنها الأفعال سليمة، والمراد من الأفعال ما هو متعارف، وهي إما طبيعية كالنمو، أو حيوانية كالنفس، أو نفسانية كجودة الفكر؛ فالحول والحدب مثلا مرض عندهم دون أهل اللغة، وقد يطلق المرض لغة على أثره وهو الألم كما قاله جمع ممن يوثق بهم، وعلى الظلمة كما في قوله:

في ليلة مرضت من كل ناحية فما يحس بها نجم ولا قمـــر

وعلى ضعف القلب وفتوره كما قاله غير واحد، ويطلق مجازا على ما يعرض للمرء مما يخل بكمال نفسه كالبغضاء والغفلة وسوء العقيدة والحسد وغير ذلك من موانع الكمالات المشابهة لاختلال البدن المانع عن الملاذ والمؤدية إلى الهلاك الروحاني الذي هو أعظم من الهلاك الجسماني "[1].

فهو يبدأ ببيان مدلول المرض في اللغة وعند الأطباء، ثم ينطلق منه لبيان معنى الآية، فيقول:" والمنقول عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وسائر السلف الصالح حمل المرض في الآية على المعنى المجازي، ولا شك أن قلوب المنافقين كانت ملأى من تلك الخبائث التي منعتهم مما منعتهم وأوصلتهم إلى الدرك الأسفل من النار "[2].

والمقصود من المعنى المجازي هنا ما يقابل المعنى الحقيقي الذي هو مرض القلب مرضا عضويا؛ فالشك مرض على سبيل المجاز.

ثم يقرر أنه لا مانع من أن يصدق وصف المرض على الظلمة وعلى الألم فيقول:" ولا مانع عند بعضهم أن يحمل المرض أيضا على حقيقته الذي هو الظلمة، ﴿❐◆✍◆♊
♒⮝🏱⬄ ⑥⬧♑⇘➔◻✍⇗ ✂✍✏✦ ♒⬧❍🡐⏀ ☼🡐❑❻✡✂

---

[1] روح المعاني 1/48-49.

[2] نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

،[1]❁ ⬁✗⬀⬀ ✌❻❑✍☼ ♊♉✌ ⌚←❍⬧♑ ✍⌂☺⬧▫
☎✁▦❒⬉❷☒▦☒✍ ✍▫⬄♉🔔⅄✎✍✁◆❑❁
←☠❑⬈⬄⌚⅄➲♑✍✁ ⬉☠➔♎⬈⧫✎✍◆❿♉♑⬃❑❑🕮
✗❻❑♋✡♑✍✁ ✍⬀♉♓✌ ☠←♑◆☼❑⬉♉▩❷⬃②⬉③
في فإن الأ لم على وكذا ،[2]❁ ▤ ♉💣⌚⌂☺➔▣♐→♑✍✁ ❼■🖫♐☽
قلوب أولئك ألما عظيما بواسطة شوكة الإسلام وانتظام أمورهم غاية الانتظام؛ فالآية
على هذا محتملة للمعنيين ... ومنه الجبن والخور وقد ادخل ذلك قلوب المنافقين حين
شاهدوا من رسول الله والمؤمنين ما شاهدوا "[3].

وبهذا المعنى يكون الألم النفسي والظلمة والجبن والخور من الأمراض النفسية المتفرعة
عن الكفر، والتي تخرج قلب الكافر عن كونه قلبا سليما.

5-الخوف:

تقدم في المبحث السابق أن من آثار الإيمان حصول الأمن لصاحبه[4]، كما قال تعالى
على لسان إبراهيم عليه السلام:❁◆❑◆▤⬂❾⬂✁⌂ ←✍🔔◆❁❑🕮
✍♍❑➔▫✍◆③❑✌ ◆◆❑ ⬀☠←☝⇩▤◆❸⬁⌖❑🕮 ✎✍◆✌
✍◆✌ ★✎✍✍♐✍ ⚐←☝⬂✍◆❸⬁⌖❑🕮 ⬀☠⬈▤❋☼❑🕮
⬀☠→⌛⬂⓿■▣◆⬊ ⌚♉❍♐✍ ⬀✌✗♓❾◆ॐ⬉③ ⬀☠◆♑
⬀✗⬃✓◆☽③▩❷☒▦⬂♑✍✁ ❻❽❑♁◆▫ ▤ ✍✡☪⌚◆➲▫▣←♋
⬃☹⬈⬇☪⬈✍ ♌♐☽ ☎ ⬁♊⬂✌☞❀✍✍♐✍ ❻✉⌂❍❑🕮
◆✗⬄♉🔔⅄✎✍✁ ⬁♉⬀⬀ ✍♍❑←☺■▣⬃➔◆✍
☎✁☑❑⓿❍♐⌛▫▣◆③ ⬄⚐◆♑◆❑ ☎✁❑⬉☪◆✌✁◆⬈
✌⚐▫▣⓿→♐✍ ⚐←♑◆☪⌚⌂☺③♐☽
←♊⬂✌☞❀✍✁ ⬉☠←♑◆♑ ⌂⌨✗⬦❋⌚◆♑♁❑⬆🕮
.[5]❁ ⬁♉✗⬀ ◆♌❑←⑨◆☝⇳♑❿✌ ☠➔♎◆❑

وفي ذلك نص صريح على أن غير المؤمن أحق بأن يخاف لأنه أشرك بالله ما لم ينزل به
سلطانا، وأن الاعتقاد بخلاف ذلك مما لا يسوغه العقل الرشيد كما يدل عليه مجيء

---

[1] النور : 40.
[2] البقرة : 257.
[3] روح المعاني 49/1.
[4] انظر ص88 من هذا البحث.
[5] الأنعام : 81-82.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ذلك بصيغة الإنكار. وقد تقدم أيضا[1] أن هذا الخوف يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة كما قرر ذلك ابن جرير، وهو ما يجعله شيئا متفرعا عن الكفر ناشئا عنه.

ولئن كان الخوف أثرا من آثار الكفر ووصفا لجميع الكفار، فإنه يبدو أن اليهود والمنافقين لهم النصيب الأوفر منه ، قال تعالى:﴿❀✞☼☞🡸⚐⬄
❻⑨☒⅄❐🕮 ❻◆⚍⬃⌛◆❐☪ ❼⚔× 🕒🡸⑨🡸❐❻⚸⚍♉☠
✋♓♉♊⌘ ✂✍✏★ 🗐 ❶⬧🕓🕲♉⌨⍓ 🖃♉🕯❐⌧❐◻&🡿☠⬁
🔔⬧❐⬁🏱⮘ ⬥⬥ ③◆▦⬂☽⬧♑🡸❐♍🙵 ⇗⬀⊠⬁⬂﴾[2].

أي " ﴿❀✞☼☞🡸⚐﴾يا معشر المسلمين ﴿🕮❐⅄☒⑨❻
❻◆⚍⬃⌛◆❐☪﴾: أي خوفا وخشية

﴿❼⚔× 🕒🡸⑨🡸❐❻⚸⚍♉☠ ✋♓♉♊⌘ ✂✍✏★ ﴾"[3]، " ...
﴿❶⬧🕓🕲♉⌨⍓ 🖃♉🕯❐⌧❐◻&🡿☠⬁ 🔔⬧❐⬁🏱⮘ ⬥⬥
③◆▦⬂☽⬧♑🡸❐♍🙵﴾: يقول تعالى ذكره: هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله، من أجل أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله؛ فهم لذلك يستخفون بمعاصيه ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم"[4].

والآية توضح أن مرد هذه الرهبة إلى عدم فقههم وإدراكهم لعظمة الله حتى خافوا الناس وأمنوا عقابه واستخفوا بمعاصيه؛ أي أنها أثر لعقيدتهم الفاسدة، وجاءت في سياق الحديث عن اليهود والمنافقين، قال تعالى:﴿🕮❐🕲⬧☠⬁ ✍⬧❷◆
☽⚔🖫■❼ ✂✍✏⅄🔔♉⬄▫🙵 ☼◆✍▫⬧☽➔❐✂☎
③◆☽➔❐🕲⬈❐♌◆ “ॐ⌘⬃❐◆🕓☼♉♑⚔⚐❶
✂✍✏⅄🔔♉⬄×◆ 🖎☒▦☒❷⬉❐✂☎ ✋♉♊⇳
🕮❐⚍⬃✍⬀ ✂✍🕲⬂▤⬁✋◆🕒🖬✍ 🕲◆⬁⬀×⬃
🕮⮉⌘⬃❷⊠⇳☞🡸⚐⬄ 🕲⬧☪◆②⬃❷⬉♉◻⮊▪
✋◆➔⬂▤⬈☠⬁ ❐◆⬥⬥ ☼🡸➲◆❿⬈🡸 ▫♉⑩▤⬈⚐⬄
🕮❐■◆⑨⬗✂ 🕮❐🖃◆⑨✡✂ ❐◆☽⚔♌
🔔➔❐✍🖫♉▫☞🡸⚐⬄ 🕲⬧☪◆✡⮘⮉❸◆☼❉▤⬈🖃⬁

---

[1] انظر ص 89 من هذا البحث.

[2] الحشر: 13.

[3] تفسير القرطبي 35/18.

[4] تفسير الطبري 47/28.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⬀☠⬋✍☐✠♑◗ ←⑨■✍⇳☆♦③ ✦✏✍✁◆❒
.[1]﴿ ⬖⬗⬗⬀ ♦♌❑←✍✍⓿🕔⬧▤⬧♐

وقد نزلت الآية في غزوة بني النضير التي وعد فيها المنافقون اليهود بالنصرة ثم خذلوهم فلم يفعلوا[2]، وخلد القرآن الكريم موقفهم ليعتبر به أهل الإيمان ويعرفوا صفة المنافقين في كل عصر من العصور إذ " ... يقولون ﴿"ॐ⌘⬃❑◆🕔✡♎♍♑⚐⓿﴾ في الدين؛ لأنهم كفار مثلهم، وهم اليهود، ﴿♐⬧⬂⬀✖⬃ ⬄⚐←☞⇳♉⊠❷⬃⌘⬆🕮 ⬧⬀⊠♉⬉❷⬃②◆☪⬧♐ ⬄⚐⬈▤⑩♎▫ ←⬈⓿♎➲←✡ ⬧⬧◆❒ ⬀☠⬈▤⊠➔♦✌﴾: أي في خذلانكم ﴿🕮❑■◆⑨⬦✁ ✁✡⑨♦✍❑🕮﴾، فكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿⬀☠⬋✍☐✠♑◗ ←⑨■✍⇳☆♦③ ✦✏✍✁◆❒ ♦♌❑←✍✍⓿🕔⬧▤⬧♐﴾، ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر بالآية التي تلي هذه، فكان الأمر على ما ذكره الله تعالى؛ لأنهم أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فلم ينصروهم، ومعنى ﴿ولئن نصروهم﴾ لئن قدر وجود نصرهم؛ لأن الله نفى نصرهم فلا يجوز وجوده ... "[3].

وسياق الآية يجعل من المحتمل أن يعود الضمير في ﴿🕒←⑨←❑❻✗♎☠﴾ على المنافقين؛ لأن سياق الآية في بيان قولهم وصفتهم والمانع لهم من تنفيذ وعدهم، أو على اليهود لأنهم أقرب من ذكر، أو عليهما جميعا، قال القرطبي:" يعني صدور بني النضير، وقيل: في صدور المنافقين، ويحتمل أن يرجع إلى الفريقين: أي يخافون منكم أكثر مما يخافون من رهبهم ذلك الخوف "[4].

ويبدو أن اختصاص اليهود بصفة الجبن شيء يكاد يكون ظاهرا، كما يبدو أن مرد ذلك إلى حرصهم الشديد على الحياة، كما قال عز وجل مبينا صفتهم:﴿

---

[1] الحشر: 11.

[2] انظرخبر غزوة بني النضير: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة 1/180-183، دار الكتب العلمية، بيروت-دار البيان للتراث، ط1: 1408-1988.

[3] زاد المسير 8/217.

[4] الجامع لأحكام القرآن 18/35.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

❏◆☜⬧✌✍⌧⬥ ✏⌫☠⬃⌦ ⬧❑◆✍⌧
⬧☜⚫❑◆ ❑◆ ❐◆☜⬧ ⌧☝
❑☝❑◆◆ ⬧◆❑☝❑◆ ◆✍☞☜
⌧✍☠◆❑❐ ❐❑☞◆❑ ❑☜ ⬧☜◆✍
◆❑⬧ ⬧◆◆❑ ❐◆⬧
⬧☜⚫❑ ❑❐☜☜☠◆
◆❑❐☞ ⬧ ⬧✍❐☞◆❑
⬧☞❐◆ ❐◆⬧ ✦⬧☜◆❏
❑◆◆☜❑◆❑❐ ⬧❐◆◆ .[1]

وكون هذه الآية في اليهود وبيان صفتهم جلي ظاهر لا يختلف فيه اثنان، ومعنى "﴿❏◆☜⬧✌✍⌧⬥ ✏⌫☠⬃⌦ ⬧❑◆✍⌧ ⬧☜⚫❑◆ ❑◆ ❐◆☜⬧ ⌧☝﴾: أي على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السيء وعاقبتهم عند الله الخاسرة؛ لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم، وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة"[2].

وقد جاء لفظ ﴿❑☝❑◆◆ ⌧☝﴾ نكرة، و " ... التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة؛ وهي الحياة المتطاولة، ولذا كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على﴿الحياة﴾ "[3].

وقد قررت الآية أن حرصهم هذا يفوق حتى حرص المشركين الذين لا يؤمنون ببعث ولا نشور ولا جنة ولا بلقاء الله ﴿❐◆☜⬧ ⬧◆◆❑ ❐◆⬧﴾ . قال النسفي: "﴿❐◆☜⬧ ⬧☜⚫❑ ❑☜ ⬧☜◆✍﴾: هو محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس: أحرص من الناس، نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس، ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا بالذكر وإن دخلا تحت الملائكة، أو أريد: وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة

[1] البقرة: 96.
[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 129/1.
[3] تفسير النسفي 59/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أحرص الناس عليه، وفيه توبيخ عظيم؛ لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا؛ فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم، فإذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء، كان حقيقا بأعظم التوبيخ "[1].

وهم لأجل هذا الحرص ﴿ ③♦❑◆⑩♋📖❑■♦⑨←♎➔☠⬀ ♏⬧♦❑⬀
③↖➔⬜☺⚫❷↖📖❑♏⬂✂⬜ ♋⬜☪◆❑⌨ ﴾[2]: أي يتمنى لو يعيش من العمر ألف سنة.

وهم لأجل هذا الحرص أيضا ﴿ ⧫⧫ ③↖☽⬧🕛☝♉⬛➔❑☼♦⌛➔☠⬀
♎⬧♏⬧♒⑩➔🕛♋ ☽♉⬧ ❼♉× ♔➔❷ॐ❽ ☝❼♦❑🕚❍✡❑❑☸
📖❑❑⬃✌♉♊ ❑◆❻◆✂✎➚♉♊↖⑨←❻⊙ ﴾[3].

أي:" يقول جل ثناؤه: لا يقاتلكم هؤلاء اليهود ... مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون لا يبرزون لكم بالبراز ... أو من خلف حيطان "[4].

6-غيظ أهل الإيمان لهم:

من آثار الإيمان موادة المؤمنين وترك موادة أهل الكفر والرحمة بالمؤمنين والغلظة على أهل الكفر، وقد تجلى هذا الوصف في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم -كما تقدم[5]-:

﴿ ☝❼◆❑☺⚫⑨⚐ ❻▪♋←❑✌↖ ✂♏✎★ 🗐
❑✂♏✎⅄♔♉⇦×◆ ✌☼◆➔⬜❍←🕛⊞ 📖❑⅄♉⚫⑨⚫✂✎➚↓
↖◆✍■❼ ✂♏♏♏⬂▤➚⊞⊙♏❻⚐ ❻↓❑☒✋◆✎➚↓
✍⧫❷◆📂♑←☠⬀ ☎ 📭◆❹⬃☪◆♒♋☠⬀ ❻↓✍⅄➔✡♏
♎✌♓♉⌘ ▫♦⚐⇳☒⌖ ❸♦⌛⬀☝◆⇔➚❑♌◆ ♋←⋎⚫⑨✡✂
★✍♏✂ ❑◆❻⚐⇳❑◆☼☸◆☪♏ 🚣♋☺❏⚐♏♎➔☠⬀
📖❑❑🏳❷▩ ✌♓♉⇳ ❑↖♉↖❑♎♉♑♋🏳 ×♉❼
✂♏♏♒❍❹➶➔❑⑩♉ 🗐 ❶◆🕛♒♉⌨⚐ ✌◆✝◆🖬➔♑←☠⬀ ×♉❼
✂♏♏♒☝✹❑⬀❻◆📂❑♉ 🗐 ﴾[6].

---

[1] نفسه.

[2] البقرة : 96.

[3] الحشر: 14.

[4] ابن جرير الطبري، جامع البيان 47/28.

[5] انظر ص

[6] الفتح: 29.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بيد أننا نجد في تمام الآية نفسها وصفا لما تكنه قلوب الكفار لهم، قال تعالى:﴿
⬀✍⑩⬁♑✞●"☙✂ ❼✌✕ ⬀☜→♦➔▣⬩✞♦✋♦❒
①←❍♦★⇧➲☒⅄ ⍓●♦❷⬃⌘❒🕮 ✍⬋⬀❻♦❽☒🖃
☒↑■▣⬂⬄♦☝⬄☙☙☙⬩▫ ①←■♦❻⍓♏☙♦★⬩▫
🕘♉❍♉🔔❑←☙ 🗐❼■✍♦⬉ ▤❽♦❑♦☞⬄☙☙☙⬩▫
☒↑⑩✐⬄♦⓿♉🙰 ♦⬋✂▪❻☙❽🙰☙✂ ➲▣✐⬈⬃➔⬉③
✦✏☙✂ ⍓⑨♦⬉♦❒▤ ♦❻☙⦿▦⬈▤⬂🙰☙✂ ⬉☠☧☙☧▯
☎✂❑➔▣♉☺♦⬉♦❒ ☎✂❑⬉☪♦✋✂♦⬈ ♦✕⬅♉🔔⅄✏☙✂
☪❑♦❷♉▦⬂⬄❑✋ ☠⬋☙⬃❁♉✋ ♉●🕛⍓⬩✌▣🕛❍🕛🙰☙✂
❒♦🕮❑♉⇧❷🕐✂ ⬉♦→♉⓿☺☺☙ ⬀☧☙⬀ ﴾.[1]

فقد نصت الآية على أن الله عز وجل قد ضرب مثلا لأصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في الإنجيل بزرع أخرج ﴿⅄☒➲⇧★♦❍←①﴾: أي " فراخه ... ﴿▫⬩★♦☙♏⍓❻♦■←①﴾: فقواه ... ﴿▫⬩☙☙☙⬄☝⬄♦⬂⬂▣■↑﴾: فصار غليظا بعد ما كان دقيقا ... فاستقام على قصبه ... ﴿③⬉➔⬃⬈✐▣➲ ✂☙🙰❽☙❻▪✂⬋♦﴾ بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره ".[2]

وهذا المثل:" ... ضربه الله عز وجل لأصحابه –عليه الصلاة والسلام-، قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا، فترقى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس، وقيل: مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".[3]

وهذا التزايد والتقوي والتغلظ والتكثف يجعل قلوب الكفار تشتعل غيظا كما نصت على ذلك الآية. ولكن يبقى النظر في انطباق هذه الآية على غيرهم من أهل الإسلام الذين يجيئون من بعدهم؟

لقد درج عامة المفسرين على قصر الآية على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على الأقل لم يصرحوا بدخول غيرهم فيها، والسبب ظاهر وهي أن الآية تصرح بأن

---

[1] الفتح : 29.

[2] أبو السعود، تفسير أبي السعود 115/8.

[3] تفسير أبي السعود 115/8.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الصحابة هم المقصودون، ولكن هل من الجائز انتقال الغيظ لغير الكفار المعاصرين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤمنين غيرهم بسبب تزايدهم وتقويهم واستغلاظهم؟ يبدو أن هذا المعنى قد بلغ كماله في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم الذين بدؤوا قلة ثم كثروا، غير أنه ليس من العسير تصور وقوع ذلك لطوائف أخرى من الكفار -بل لجميعهم- برؤيتهم لتزايد المسلمين واشتدادهم، ويؤيد ذلك ما قرره القرآن الكريم من أن الكفار يودون رؤية المسلمين كفارا مثلهم:﴿وودوا لو تكفرون﴾. فلا ريب أن كونهم يحبون أن يروا المؤمنين كفارا يجعلهم يغتاظون لرؤيتهم يتزايدون. فيكون من آثار الكفر تغيظ صاحبه من تقوي أهل الإيمان وازديادهم واشتدادهم.

وعليه فإننا نجد أن كل أثر ينتجه الإيمان ينتج الكفر نقيضه:

- فإذا كان من آثار الإيمان انشراح الصدر فإن الله عز وجل يجعل قلوب أهل الكفر ضيقة حرجة.
- وإذا كانت قلوب أهل الإيمان تلين لذكر الله فإن قلوب أهل الكفر قاسية من ذكر الله.
- وإذا كنت قلوب أهل الإيمان مطمئنة فإن قلوب أهل الكفر تعتصرها الحسرة على فوات المقصود أو الخوف من فواته.
- وإذا كانت قلوب أهل الإيمان سليمة فإن قلوب أهل الكفر مريضة.
- وإذا كان لأهل الإيمان الأمن في الدنيا والآخرة فإن أهل الكفر لا أمن لهم.

وإذا كان أهل الإيمان يوادون أمثالهم من المؤمنين فإن قلوب أهل الكفر يعتصرها الغيظ والحسد والحقد عليهم.

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الكفر يجعل صاحبه ضيق الصدر قاسي القلب من ذكر الله هلوعا جزوعا منوعا متحسرا خائفا غير آمن، مريض القلب، كما يحترق صدره حقدا وغيظا على أهل الإيمان.

هذا عن آثار العقيدة على المستوى النفسي، فما هي آثارها الشرعية والقدرية؟ ذلك ما يتم تناوله في المبحث الموالي.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثالث:

أثار العقيدة الشرعية والقدرية

تناولنا في الفصلين السابقين رسوخ العقيدة وأثرها على المستوى الفكري والعملي، ثم على المستوى النفسي، وفي هذا الفصل الأخير من الباب الأول يتم تناول آثارها التي رتبت شرعا وقدرا عليها، وذلك في مبحثين:

- **المبحث الأول**: آثار العقيدة الصحيحة الشرعية والقدرية

- **المبحث الثاني**: آثار العقيدة الفاسدة الشرعية والقدرية.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الأول:

أثار العقيدة الصحيحة الشرعية والقدرية

إذا تأملنا نصوص القرآن الكريم وجدنا أنه قد رتب مجموعة من الآثار على كون الإنسان مؤمنا، وهذه الآثار منها ما هي آثار شرعية: بمعنى أنها أوامر شرعية افترضها الله عز وجل في معاملة الإنسان بسبب كفره، ومنها القدرية: أي أنها عقوبات يترلها الله سبحانه وتعالى بالكافر من غير أن يكون للعبد تدخل في إيقاعها.

فمن الآثار الشرعية انعقاد الموالاة بين حامل العقيدة الصحيحة وغيره من أهل الإيمان:

1- انعقاد الموالاة مع أهل الإيمان:

ومن آثار الإيمان انعقاد الموالاة بين من وقر الإيمان في قلبه وبين سائر المؤمنين، قال تعالى: ❁❒◆✂✍☜♍⇦⬃✌⍺⊡↖♌♦

❒◆✂✍☜♍⇦⬃✌⍺⊡❍☼❒◴✫➔ ✍♦➔⬃⍹♑←☠⬀

📖❒❒⬃♍⑩♦✍✎↗↓ ✍♦➔⬃⍺⍈ 🗐 ③♦ⅱ▫⊲⑤←↓❒♍♏

✍⊗✍✍♍☜⊡⊠➔⬃❷↖❒✍⇦ ❒♦③♦☾⬃♑⊠❒⬀♌♦

↖♦♊⇦ ✂✍♍☜⊡←☾⊟⬧❷⊠ ❒♦③↖☽✆⑩☺←❒♍♏

✂✍♍☾⊙❒■❒🗐❒■ ❒♦③↖⬧⬃✍❒♍♏

❒♦③↖☽⑩♍➔↖❒♍♏ ✂✍♍❽❒✍⊠❒🗐❒■ ✂✍✎⅄

❒♦❻♦☊←❒⬧✎⬧📖↖⊙⊞ 🗐 📖❒↑❒ⅱ⊗⬧⊙✵♢✗⌨⊡

☊⊡❷⌘❸⬃❒⊠☞←♑←☠↖ ✂✍✎✦ 🗏 ☽♍♎♌❒ ✂✍✎⅄

↖♦⑩✗③❽↘ ❍⊡🗏⬁⑩⚐♍⬀⬂♍⬁ ❁.[1]

فقد نصت الآية على أن من صفات الذين آمنوا أن بعضهم أولياء بعض، وهو يحتمل أن يكون خبرا، أو خبرا يراد به الأمر؛ أي : أيها المؤمنون والمؤمنات ليكن بعضكم أولياء بعض. و " ... الولاية بالكسر السلطان، و الوِلاية و الوَلاية: النصرة: يقال: هم على ولاية: أي مجتمعون في النصرة، وقال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر، و الولاية بالكسر الاسم مثل الإمارة والنقابة لأنه اسم لما توليته وقمت به، فإذا أرادوا المصدر فتحوا "[2].

---

[1] التوبة : 71.

[2] ابن منظور، لسان العرب 407/15.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والمعنى المقصود في الآية هو التناصر، قال النسفي:" [قوله تعالى]:﴿
❑◆✂🙵🙵⌖🗿⬂☺←⬧⬃🖎🙢☪⬁❑♌◆
❑◆✂🙵🙵⌖🗿⬂☺←⬧⬃🖎🙢✡❑🕐✴●→ 📨◆➔⬃🙢→♑←☠⬀
📖❑❑⬃🗿🙢⑩◆🙵✎↗↓ 📨◆➔⬃⮙🖫 🗐 ﴾ في التناصر والتراحم
﴾③◆🕯▫👎←❺↓❑♍ஓ 📨🙠🙵🙵🗿⬃☺⊠➔⬃❷⇖❑🙵⮙ ﴿: بالطاعة
و الإيمان ﴾❑◆③◆☪⬃♑⊠❑⬀🙢◆ ⇖◆♊⮘
✂🙵🗿⬃☺←☪▤⬧❷▩﴿: عن الشرك والعصيان ﴾
❑◆③⇖☽🖅⑩☺←❑♍ஓ ✂🙵🗿🕐○🖬■❑🗐❑■
❑◆③⇖⬧⬃🖎➔❑♍ஓ ✂🙵🗿❽❑🖅⊠❑🗐❑■
❑◆③⇖➲🙢⑩➔⇖❑♍ஓ ✂🙵🙵✎⅄ ❑◆❻◆ஜ←❑⬧✎📖⇖🕐🖽 🗐
📖⬆❑🕯🗿⬧🕐✵⬦🙠🖮⊠ ஜ⊠❷⌘❸⬃❑⊠🖗←♑←☠⇖ ✂🙵✎✦
﴾، السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعيد كما تؤكد الوعيد في سأنتقم
منك يوما ﴿ ☽🙢♌❑ ✂🙵✎⅄ ⇖◆⑩🙠③❽➘ ﴾: غالب على كل شيء قادر
عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب ﴿○⊠▤⮙⑩🏱﴾: واضع كل موضعه ".[1]

وقد وقع وصف المؤمنين هذا في سورة التوبة نظيرا لوصف المنافقين، قال البيضاوي:"
[قوله تعالى]:﴿❑◆✂🙵🙵🗿⬂☺←⬧⬃🖎🙢☪⇖❑♌◆
❑◆✂🙵🙵🗿⬂☺←⬧⬃🖎🙢✡❑🕐✴●→ 📨◆➔⬃🙢→♑←☠⬀
📖❑❑⬃🗿🙢⑩◆🙵✎↗↓ 📨◆➔⬃⮙🖫 🗐﴾، في مقابلة قوله:﴿
✂🙵🗿⬂☺←☪◆🕐🖽🙢☽➔❑♌◆
❑◆✂🙵🗿☺←✡❑🕐🖽🙢☽⬧🕐✴●→ 📨◆➔⬃🙢→♑←🏱
🙢♓🙢♊🖅 📨◆➔⬃⮙🖫 🗐﴾،[2] ﴿③◆🕯▫👎←❺↓❑♍ஓ
🙠🙵🙵🗿⬃☺⊠➔⬃❷⇖❑🙵⮙ ❑◆③◆☪⬃♑⊠❑⬀🙢◆
⇖◆♊⮘ ✂🙵🗿⬃☺←☪▤⬧❷▩ ❑◆③⇖☽🖅⑩☺←❑♍ஓ
✂🙵🗿🕐○🖬■❑🗐❑■ ❑◆③⇖⬧⬃🖎➔❑♍ஓ
✂🙵🗿❽❑🖅⊠❑🗐❑■ ❑◆③⇖➲🙢⑩➔⇖❑♍ஓ ✂🙵✎⅄
❑◆❻◆ஜ←❑⬧✎📖⇖🕐🖽 🗐 ﴾: في سائر الأمور
﴿📖⬆❑🕯🗿⬧🕐✵⬦🙠🖮⊠ ஜ⊠❷⌘❸⬃❑⊠🖗←♑←☠⇖ ✂🙵✎✦
﴾: لا محالة فإن السين مؤكدة للوقوع ﴿☽🙢♌❑ ✂🙵✎⅄ ⇖◆⑩🙠③❽➘﴾:

---

[1] تفسير النسفي 2/98-99.

[2] التوبة: 67.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده ﴿❍⌂▤⬁⑩⚐﴾: يضع الأشياء مواضعها "[1].

والبيضاوي يشير هنا إلى قوله عز وجل من نفس السورة:﴿ ✁✍✉☺⬂☺←☪◆⌚▦♉☽→❑♌♦
❑◆✁✍✉☺⬂☺←✡❑⌚▦♉☽♦⌚☀●→ ✉◆➔⬃♋♉→♑←⚐
✋♓♉♊✉ ✉◆➔⬃✈🖫 🗐 ③◆🕯️▫✋⬉❷⬉❑♍✍
❑◆③☸⬃♋♋❑⬀♍✍ ♊◆⬉⬖ ✉♉✍✍✍☺⬂☺←☪⌛⊠❷✖
✁✍✉☺⬂⌂→⬃❷⬉❑✍⬁ ❑◆③◆☽⬂⌛♉♋→❑♍✍
🕮❑③⬃⑨♉⑨◆♋⬋☠⬀ 🗐 ♦●❍⬆❑⬀☎ ✁✍✐⅄
⁍♈♦❍⬁❸◆♋⬋☠⬀ 🗏 ☽♉♍· ✁✍✉☺←✡❑⌚▦♉☽⬁✓×♦
♎➔☠⬉ ✁✍✉⬂▦⊠⌚❍⬁☽→❑♍✍ ⬀♋♉⬖ ﴾[2]، وقد تضمنت الآية صفات للمنافقين هي نقيض ما وصف به المؤمنون:

- فالمنافقون والمنافقات يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، أما المؤمنون والمؤمنات فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
- والمنافقون والمنافقات نسوا الله فنسيهم، أما المؤمنون والمؤمنات فيقيمون الصلاة.
- والمنافقون والمنافقات يقبضون أيديهم، وأما المؤمنون والمؤمنات فيؤتون الزكاة.
- وهناك تناظر وتقابل في العاقبة أيضا؛ فالمنافقون والمنافقات مع الكفار وعدهم الله نار جهنم خالدين فيها ملعونين لهم فيها عذاب مقيم، وهؤلاء سيرحمهم الله ووعدهم جنات تجري منتحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن.

ثم إن الآية كما نصت على أن المؤمنين والمؤمنات ﴿✉◆➔⬃♋→♑←☠⬀﴾ 🕮❑❑⬃✉♉⑩◆✍✐↗↓ ✉◆➔⬃✈🖫 ﴾، نصت على أن المنافقين والمنافقات ﴿✉◆➔⬃♋→♑←⚐ ✋♓♉♊✉ ✉◆➔⬃✈🖫 🗐 ﴾. ومعنى

---

[1] أنوار التنزيل 157/3.

[2] التوبة: 67.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" ﴿✍♦➔✍ⴽ➔♑←⚐✌♓ⴽ♊✍ ✍♦➔✍▲🖫 🗐﴾: أي هم كالشيء الواحد في الخروج عن الدين، وقال الزجاج: هذا متصل بقوله: ﴿❒◆⑥•◆⬂🗈ⴽ▦➔❒♍♐ ✍ⴽ✍✍✏★ ☽ⴽ✠❒&⬃☠⬀ ◙•☺ⴽ☪⌛➔☠⬀﴾[1]: أي ليسوا من المؤمنين ولكن بعضهم من بعض: أي متشابهون".[2]

وكونهم متشابهون وأنهم كالشيء الواحد يجعلهم مختلفين عن المؤمنين الذين يوالي بعضهم بعضا، وقد نصت آية سورة المائدة على أنهم يتولون الكفار مخالفين عن أمر الله، قال تعالى: ﴿③◆🕑✷🕯❒⑨♐❒&❒✍ ✁✍✍✏⅄🔔ⴽ⇦×◆ ⬈◆✁✌◆✡⬁❒✁☎ •• ✍♦✌☪✷②ⴽ⓿⬈❒✁☎ ✁✍✍◙⬂❸◆&⬃❒⑩⬔ ❒◆✁✍✍◙☪❒🕑✿🕐❷◆❽✁ 🕮❒❒⬀◙ⴽ⓿◆✍✍✏⬈◆ ○ ✍◆➔⬀⌧⋂&⬃☠⬀ 🕮❒❒⬀◙ⴽ⑩◆✍✍✏⬈↓ ✍◆➔⬀▲🖫 🗐 ❒◆✌◆♊ ③◆✍♦❒▭⌖●←☠ ✌♓ⴽ☪▤⬈☠⬀ ▫•✉ⴽ✡✵○←🕐 ✌ⴽ☸⬀&⬃☠⬀ ▤ ☽ⴽ♌❒ ✁✍✍✏⅄ •• ③◆♑⇳⑨ⴽ❽ ✁✍✍◙⬂☽•❒⬀⚐◆ ✁✍✍◙→⅄🕐🗈ⴽ☺ⴽ✓×◆ ⬀⬂ⴽ⬄ ▫•✋◆❸◆❽ ✁✍✍✏⅄🔔ⴽ③♊⌘ ×ⴽ❼ 🔔➔🗈➔❒✍ⴽ♑ⴽ☠ ✌❒❷◆⋎⌧ ④←○✿🕐❷▩⬉⬉❒♍♐ ▫ⴽ❸&⬃☠⬀ ③◆☽➔❒◙⬈❒ⴽ♌◆ ✝•③⬂⟐⌧⬃✁ ♌❒🕮 ✍⬅➔🕐⬁④⌨◆✡❒✍ ⑩⌧✁✍★⬃❷◆❒⬅ ▫•➔⌧⊙✿⬃ ✁✍✍✏✦ 🕮❒♌ ③◆▫✌✌ⴽ❼◆ ✍✍✍◙⬂▦⌧☛⬀⌧⬃⬃ 🕮❒❒⬀ 🕮❒✌⬂◙❷ ⬉✌⑨ⴽ■⬃🕑 ▫•⓿⬉🕐⇔⌨ⴽ•←❒✁☎ ⬉◆⍁■❼🗐 ✌♓ⴽ♊⇳ 🕮❒•❸⑩❒✁☎ ×ⴽ❼☑ 🕮❒✡▦➔○⬁&⬃☠⬀ ✌◆✍✍✏ ✡◆🕐⑨ⴽ✌ⴽ✓▫♐ ⬀⌘ⴽ⬄﴾.[3]

فقد نهت الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء[4]، ثم بينت أن المنافقين يخالفون عن ذلك، يزعمون أنهم يخافون أن تدور الدائرة لأهل الكفر، ثم جعلت -كآية سورة التوبة السالفة- في مقابلهم المؤمنين الذين يوالون الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وأهل الإيمان: ﴿③◆🕑✷🕯❒⑨♐❒&❒✍ ✁✍✍✏⅄🔔ⴽ⇦×◆ ⬈◆✁✌◆☪⬉❒✁☎ ✌♓◆♊ ③◆❷⬀✍•⑨● ✌ⴽ✡▤⬈☠⬀ ⬉◆♊ ⑩ⴽ③☪ⴽ○ⴽ🕑﴾

---

[1] التوبة: 56.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 199/8.

[3] المائدة : 51-52.

[4] يأتي الحديث عن ذلك في مبحث آثار الكفر الشرعية والقدرية -إن شاء الله- وهو المبحث الموالي.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

.[1]

وبمفهوم المخالفة فإن المؤمنين مستجيبون لأمر الله بموالاة أهل الإيمان وترك موالاة اليهود والنصارى والكفار، مسقطين للحسابات الدنيوية التي تتوقع أن تكون الدائرة للكفار، ثم إن الله عز وجل يجعلهم هم الغالبين رغما عن تلك الحسابات الدنيوية جزاء صدقا لهم على صدق إيمانهم وتوكلهم عليه وموالاتهم له.

هذا وقد شرطت آية الأنفال في هذه الولاية الهجرة، قال تعالى:

.[2]

[1] المائدة : 54-56.

[2] الأنفال : 72.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" قال ابن بري: وقرىء:﴿ ✌♦♐ ♋♦▤➚☜ ✌♓♉♊
❒♦♋♐➀♦⓿◆☺☞♧♉☠ ✌♓♉♊ ★☒♉⬄➚☉ ﴾ بالفتح والكسر وهي
بمعنى النصرة ... قال الفراء: يريد ما لكم من مواريثهم من شيء؛ قال: فكسر الواو
ههنا من ولايتهم أعجب إلي من فتحها لأنها إنما تفتح أكثر ذلك إذا أريد بها النصرة، قال:
وكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النصرة "[1].

فالولاية في الآية يحتمل أن يراد بها النصرة أو التوارث[2]؛ فإن كان الثاني فقد عطفت عليه
النصرة، وإن كان الأول فالنصرة الأولى لمن هاجر، والثانية عطف مبين لأحكام نصرة من
لم يهاجر، قال القرطبي:" .. قوله تعالى ﴿❒◆☽♑♌⇗
✂♐♏⬄☺☐☪⇧✽➌⬅❒☜➚☠⇗ ×♑➐ ✂♐♋⑨♎♉⬄×⇗ ﴾:
يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال
لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم، إلا أن يستنصروكم على قوم
كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته "[3].

قال ابن العربي:" ... إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة
لهم واجبة بالبدن بألا تبقى منا عين تطرف حتى تخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل
ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك.

قال مالك وجميع العلماء: فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم
في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد
"[4].

هذا ومن لوازم هذه الولاية ما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لا تحاسدوا ولا تناجشوا* ولا تباغضوا ولا**

---

[1] ابن منظور، لسان العرب 407/15.

[2] انظر أيضا: ابن العربي، أحكام القرآن 887/3، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن 57/8.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 57/8.

[4] ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن 888/3، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د ت ط. وانظر: القرطبي، نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه "[1].

والحديث كما يوجب نصرة المؤمن وينهى عن خذلانه، فإنه يوجب له أيضا حقوقا مادية وهي حرمة الدم والمال والعرض، وحقوقا أخرى أدبية من ترك احتقاره وبغضه وتولية الدبر له وكل ما من شأنه أن يفتت وحدة الأمة المؤمنة وينشر الفرقة والبغضاء بين أفرادها.

إذا فموالاة أهل الإيمان ونصرتهم أثر من الآثار الشرعية للإيمان، ومن الآثار القدرية حصول الحياة الطيبة لمن وقر الإيمان في قلبه.

2- الحياة الطيبة:

نص القرآن الكريم على أن الله سبحانه وتعالى يحيي المؤمنين حياة طيبة، فقال تعالى:﴿

⬀❒❒🕮 ✍❷•🗎⬩❶ ♊♎♓✌ ☞☯⬧♐🖬🕗✽🕒 •✍♎☺♦⬉ ⇧♊♦✌
⌧♊♎✌⬃⬧⬉✌ ◆❑➔♎◆❒ 🗐℘⬧ॐ☼↑🕮
☪◼♦⌛℘♒⑩⬧⬖ ☪❑🗐◻◆⓿◸❍ 🕛⭠❍◻☪◆❹℘⓿⬄⬧⬉☪■🖬⬧▫
☠➔♎♦❷⇧♉❒🕮 ⬄⚐⭠♑◻✡♦③⌘❽⇳➶◆☪⬧☜◉◆❒ ☎
☎✁◻⭠☼☞•🗎 ☞♦✌ ⬙♊✽❍⇧❍❒🕯♐⬢
③♦➔⬧🖬◸☺⬃➔♦♌❒➔⬀ ⬙℘℘⬀ ﴾[2].

فـــ " هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة"[3].

---

* النجش: أن يزيد الرجل في ثمن السلعة غير قاصد إلى شرائها وإنما ليغلي ثمنها على من يريدها. انظر: النووي، شرح صحيح مسلم

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله 4 / 1986، ح2564

[2] النحل: 97.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 586/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وعليه فمن آثار الإيمان والعمل الصالح في الحياة الدنيا الحياة الطيبة، " والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت "[1]. وقد ذكر أهل التفسير في معناها أقوالا[2]:

2- أن يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال.

3- أن يرزقهم القناعة.

4- أن يحيى الواحد منهم مؤمنا بالله عاملا بطاعته، قال الضحاك:" من عمل عملا صالحا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة فحياته طيبة ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن و لم يعمل صالحا عيشته ضنكة لا خير فيها "[3].

5- أن الحياة الطيبة السعادة

6- أن الحياة الطيبة الحياة في الجنة، عن الحسن: ... ما تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة "[4].

وقد زاد ابن الجوزي خمسة أقوال أخرى:[5]

7- أنها رزق يوم بيوم .

8- أنها الرزق الطيب والعمل الصالح

9- أنها حلاوة الطاعة .

10- العافية و الكفاية.

11- الرضا بالقضاء .

12- أنها في القبر .

واختار ابن جرير القول الثاني؛ أي أن المراد منها القناعة، قال:" وأولى الأقوال بالصواب قول من قال تأويل ذلك فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، و لم يعظم فيها نصبه، و لم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته

---

[1] نفسه.

[2] انظر: ابن جرير، جامع البيان 14/170-171، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم 2/586.

[3] ابن جرير، جامع البيان 171.

[4] نفسه

[5] انظر: زاد المسير 4/489.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها؛ وإنما قلت ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا والعذاب في الآخرة، فقال تعالى: ❁❐◆⬧⬧ ✍⬧✌✋✱②♉⓿⬈❐▥✄☎
⬁☠➔⌛❑✡⬃❹◆✌ ☺☒⍓⌘⍓⑩ ⬁☠⬈▤◆☪⏲⍓☺⬃③❐📖
✍❑✆❄☜❑⬅⌛➔⚐ ⍓⑨⬃➔◆✌ ⌨⚑⍓⑨⬧♎ ⦿✌⚘❾◆✋⬧▫
✍⍓☺♋✌ ◆⬈☑❑❹❍♐✍✄ ☎✄❑➔♎❑⬈⓿⬧✍◆❑
☎ ★✎✍✄ ⇗✍⓿♋⌛⍓♌ ♊◆⬉ ⬄⚐✍✍⑩⍓⑨✾⏲
◆❐⬧♐⬈▤⬃✌⬁ ⬉◆⓿☒✄⚉⬉ ⬉◆➔♋⑩⚐♋ ⬃♋ ⬀ ❁[1] فهذا لهم في الآخرة، ثم أتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى: ❁✌◆✍
⍓⑨☪♋⬉ ✍◆✌◆❑ ☎ ⬅⑨☒▦☪◆③ ⬄⚐⬈✍⍓⑨✡♋⬉
✄✍✍★ ✌◆✍✍❐❑▯ ▤ ❁[2]، فالذي هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا والغفران في الآخرة وكذلك فعل تعالى ذكره"[3].

فابن جرير يختار هنا أن الحياة الطيبة القناعة مدللا على ذلك بأمرين:

1- أن القناعة تجعل صاحبها مطمئنا فلا يكثر للدنيا تعبه ولا يتكدر عيشه بغية تحصيل ما لعله لا يدركه.

2- السياق –أو السباق- القرآني الذي يذكر عاقبة الكافرين ثم يثني بذكر عاقبة المؤمنين، ولكل جزاء عند الكافر ما يقابله عند المؤمن .

ثم يدرج القول الأول –أي أنها الرزق الحلال- ضمن هذا فيقول:" وأما القول الذي روي عن ابن عباس أنه الرزق الحلال فهو محتمل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال وإن قل فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله، لا أنه يرزقه الكثير من الحلال؛ وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة "[4].

---

[1] النحل: 94.

[2] النحل: 96.

[3] جامع البيان 172/14.

[4] جامع البيان 172/14.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد اختار الألوسي هذا القول أيضا، فقال:" وأولى الأقوال على تقدير أن يكون ذلك في الدنيا تفسيرها بما يصحبه القناعة ... فإنه لا يطيب في الدنيا إلا عيش القانع، وأما الحريص فإنه أبدا في الكد والعناء "[1].

ثم ذكر خمسة وجوه تجعل عيش المؤمن في الدنيا أطيب من عيش الكافر:[2]

1- أن المؤمن لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى وأنه سبحانه محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضيا بكل ما قضاه وقدره وعرف أن مصلحته في ذلك، وأما الكافر فلا يعرف هذه الأصول فكان أبدا في الحزن والشقاء .

2- أن المؤمن يستحضر أبدا في عقله أنواع المصائب والمحن ويقدر وقوعها ويجد نفسه راضية بذلك، فعند الوقوع لا يستعظمها، بخلاف الكافر فإنه غافل عن ذلك فعند؛ وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه.

3- أن المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى والقلب إذا كان مملوءا بالمعرفة لم يتسع للهم والحزن الواقع بسبب أحوال الدنيا، وأما الكافر فقلبه خال عن معرفة الله متعرض للأحزان من المصائب الدنيوية .

4- أن المؤمن عارف أن خيرات الحياة الجسدية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها ولا غمه بفقدانها، والكافر لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فيعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها.

5- أن المؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة الزوال ولولا تغيرها وانقلابها ما وصلت إليه فعند وصولها إليه لا يتعلق بها قلبه ولا يحزنه فواتها، والكافر بخلاف ذلك.

أما ابن كثير فيرى أنه لا مانع من اجتماع هذه الأشياء جميعها تحت مدلول الآية، وأن صدقها على واحد منها لا ينفي صدقها على الآخر، قال:" والصحيح أن الحياة الطيبة

---

[1] روح المعاني 227/14.
[2] نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تشمل هذا كله كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ... عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه "[1]، ورواه مسلم[2] من حديث عبد الله بن يزيد المقرئ به، وروى الترمذي[3] ... عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" قد أفلح من هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به "، وقال الترمذي هذا حديث صحيح، وقال الإمام أحمد ... عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا** "[4] انفرد بإخراجه مسلم[5] "[6].

وهذه الأحاديث التي استدل بها ابن كثير تنص في جملتها على أن الجزاء الحسن للإيمان غير قاصر على الآخرة بل يمتد إلى الحياة الدنيا، وأن العيش الكفاف وعدم الافتقار من الحياة الطيبة، وأن المؤمن يعطى بحسناته في الدنيا كما يؤجر عليها يوم القيامة لا يظلمه الله شيئا.

هذا ولا ينفي تحقق الحياة الطيبة أن يبتلى المؤمن في نفسه وماله، قال تعالى: [illegible] [7].

---

[1] أحمد بن حنبل، المسند 168/2، ح6572.

[2] الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة 730/2، ح1054.

[3] الترمذي، السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه 576/4 ح2349، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[4] مسند أحمد 123/3 ح12259.

[5] صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا 2162/4 ح2808، ومعنى انفرد بإخراجه مسلم: أي لم يخرجه البخاري.

[6] تفسير القرآن العظيم 586/2.

[7] آل عمران : 186.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد تضمنت الآية قسما مؤكدا بما لا يدع للريب مدخلا أن المؤمنين سيبتلون في أموالهم وأنفسهم، قال البيضاوي:" ﴿☸♒⬧☜⌨⬀◼◼❑⬇♍·﴾: أي والله لتختبرن ﴿☸✕⬀❼☑ 🕮❑☝⬂❑◆🕔♒⬀⧗→☠⬀﴾: بتكليف الإنفاق وما يصيبها من الآفات ﴿☸❑◆🕮❑☼◩→○⬁⧗→☠⬀☸﴾: بالجهاد والقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب ﴿☸❑◆♒⬧☜♦○⬄☺⬓➔⬉⬀·

🕮⬆❑✍❑➔❑✁☎ ✁✍✍✍⍓⚠⬀③⌶⌘ ⍓⬀⌶⌘
✁✍✍♒⬂▤⬁☝◆🕔⬛✽ ⍓⬀⌶ ⚠⬧⧗⬀⬛⬀⧗→☠⬀ ❑◆⍓⬀⌶⌘
🕮❑⌖⬁❸◆🗐⬈❑☑✁☎ 🕮❑✇❶✽❾ ✁✍✍⚠⬀⬄▫ ﴾ ☸: من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين وإغراء الكفرة على المسلمين؛ أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها، ﴿☸❑◆☽⬀♌﴾ ﴿☸✍◊🕔⬄♒⬧❸⬅❑✁☎﴾ على ذلك ﴿☸❑◆✍♦☝✸☽→❑✁☎﴾ مخالفة أمر الله ﴿☸▫♦✉⬀♌❑ ❶♦🕔♒⬀①⬀﴾: يعني الصبر والتقوى ﴿☸⍓⬀⌶⇳﴾: من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها، أو مما عزم الله عليه: أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه "[1].

وقد أخبر المؤمنون بذلك إعدادا لهم لتلقي الأمر قبل نزوله، " قال ابن جريج:... أعلم الله المؤمنين أنه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم "[2].

ولئن كانت الآية السابقة قد أجملت البلاء مخبرة أنه واقع في الأموال والأنفس، فقد جاء تفصيل شيء منه في قوله تعالى في سورة البقرة:﴿☸

❑◆♒⬧✡❑⌨⬀⬛➔❑◆☼✳▤⬈☠ ⬀⍓◇⬓⬄⬈🕮 ⍓⬀♓⌶⌘
❑◆☼◆☽⬂⬀🖫 ✁✍✍⬄☚⬁ ❑◆✁✍✍⬂⬈→❑⬋⬀ ✁✍✍⬂💻③♦❑⬀⬁
❑◆✁✍✍🏵☞⬂🕔✌⬀ ✁✍✍🏵☞⬀▦→▪⬀
❑◆⬀□☺⬓❷◆🕔☠⬀ ▤ ❑◆🗀□⊕♏⬀❷⬛
✁✍✍🕔❍🕔⬀❸⬂⬀⬄▫ ⬀⬀⬀⬀ ✁✍✍⚠⬀⬄×◆
⬀❶♦✁✎ 🕮❑🕓✽🕔▭◆☞⬃♑←☠ ⬀🕔❿⬁🕔⑩⌨◆❑⊲

[illegible][1].

قال ابن جرير:" وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءه قبلهم ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: [illegible][2]... [3]".

فبدأ بوضع الآية في سياقها في السورة رابطا بينها وبين الآيات التي تحدثت من قبل عن الابتلاء بتحويل القبلة، ثم بالتي تجيء من بعد مقررة لكون الابتلاء سنة مضت في الذين من قبل، ثم يعلق بعد ذلك على نوع الابتلاء الذي نصت عليه الآية، قال:" ... يقول: لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم وبسنة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة وتعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار فينقص لها عددكم وموت ذراريكم وأولادكم وجدوب تحدث فتنقص لها ثماركم،

---

[1] البقرة: 155-157.

[2] البقرة: 214.

[3] جامع البيان 41/2.

كل ذلك امتحان مني لكم واختبار مني لكم، فيتبين صادقوكم في إيمانهم من كاذبيكم فيه، ويعرف أهل البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه والشك والارتياب "[1].

فهذا الابتلاء قد يكون تهديدا من عدو يوقع في الأنفس خوفا، وقد يكون جفافا وجدبا يقضي على الزرع وينتج مجاعة وشدة ونقصانا في الأموال، أو حروبا تقتل الأولاد وتنقص الأعداد، كل ذلك قد يترل بأهل الإيمان على سبيل الابتلاء، ولا ينافي ذلك حصول الحياة الطيبة لهم.

وقوله تعالى:﴿🖃⌦⬀⬄⌀⍓⬥⌀⬀﴾ نص على رحمته سبحانه وتعالى بهم ورأفته بهم؛ فإنه مع إنزال البلاء لم يترل بهم منه إلا القليل، قال أبو السعود:" [معنى] ﴿🖃⌦⬀⬄⌀⍓⬥⌀⬀📖 ✋♓⚲♊⌘ ✂🕾💻⬂③⬧❑⬁🕾⬀ ❑◆✂🕾⬃⬂⬀➔❑⬋⬀﴾: أي بقليل من ذلك فإن ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرة "[2].

كما يدل عطف هذه الأشياء على بعضها على أن الابتلاء واقع بجميعها، " وإنما قال تعالى ذكره ﴿🖃⌦⬀⬄⌀⍓⬥⌀⬀📖 ✋♓⚲♊⌘ ✂🕾💻⬂③⬧❑⬁🕾⬀ ⬀﴾ ولم يقل بأشياء لاختلاف أنواع ما أعلم عباده أنه ممتحنهم به، فلما كان ذلك مختلفا وكانت من تدل على أن كل نوع منها مضمر في ﴿شيء﴾ وأن معنى ذلك ولنبلونكم بشيء من الخوف، وبشيء من الجوع، وبشيء من نقص الأموال، اكتفى بدلالة ذكر الشيء في أوله من إعادته مع كل نوع منها؛ ففعل تعالى ذكره كل ذلك بهم وامتحنهم بضروب المحن ..."[3].

فالابتلاء واقع بضروب مختلفة ومتعددة، ومع ذلك فإن هذا الابتلاء لا ينافي حصول الحياة الطيبة كما تقدم.

وإذا كانت الحياة الطيبة أثرا قدريا للإيمان، فإن من آثاره حصول العزة للمؤمن.

---

[1] نفسه.

[2] تفسير أبي السعود 80/1.

[3] ابن جرير، جامع البيان 41/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

3- العزة:

كما نص القرآن الكريم على أن الله عز وجل يجعل حياة المؤمنين طيبة، وأوجب موالاتهم ونصرهم ورتبها على الإيمان، فإنه أخبر أنه يجعل لهم العزة، فقال عز وجل:﴿ [illegible] ﴾.[1]

و" العزة: هي القوة والغلبة ".[2]

ومعنى الآية" ولله .. الغلبة والقوة ﴿ [illegible] ﴾: ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك، كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين، وعن بعض الصالحات كانت في هيئة رثة: ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه، والغنى الذي لا فقر معه؟ وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيها، قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية:﴿ [illegible] ﴾".[3]

وهذا الكلام الذي حكاه النسفي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما وعن امرأة من الصالحات، يكشف عن جانب آخر من العزة؛ وهو جانب شعوري، ولعله يسمى عزة لأنه يوافق شعور الغالب المترفع الذي يأبى الذلة والهوان.

وطريق تحصيل هذه العزة هو العمل الصالح، كما قال تعالى:﴿ [illegible]

---

[1] المنافقون : 8.

[2] لسان العرب ج: 5 ص: 378

[3] النسفي، تفسير النسفي 4/ 249.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⇱❷⬂▤♦✍◆❒ ☎ ✗⑨③♉⑨☒⅄ ✗⚇✃☒⓿♦⇱
📖⬆❒🕯🌢ᘐ♦🕐✵⯑✗⌨⍓♎➔❒◆ ③♦⌨⬅❒❻⬇ ⬀⬂⬃⬄ ﴿[1].

وهذه الآية رد على المشركين في قول طائفة من المفسرين؛ فقد كان المشركون يبتغون العزة في اتخاذ الأصنام وعبادتها كما جاء في سورة مريم:﴿

★✎🙰✃ 🕐♍❒⬅⑩ ♊♉✍ ☎✃❒⬈⓿♦③✦✍🙰✃◆❒
⬀☠⬅●❍▭ ☎✃❒⬅☼❒⬈▤◆⓿♉♏🌢 ☪❒⍓♑♉🌢✃◆⬈
♦♌❒⇱❷➔▦⬂▤◆⓿⍓🙘 🗐 ·☒☒✌ ⬀♉⬂⬃ ✃☒❽♉⇱
♦♌❒⬅☼❒⬈▤♦③◆❒ ⬀☠✗&🗷☜⍓⑩🙰♦⌨♉➔♉✍
⇱♦⬛❸⬀&✗☠⬀ ⬂⬄⑨③✃ ⬃✗⌘♉⬀ ﴾[2]، كما كان المنافقون يبتغون العزة في تولي الكفار، فجاءت هذه الآية تبين بطلان هذا المعتقد. قال الألوسي –تعليقا على الآية–:" من كان يريد .. الشرف والمنعة من قولهم: أرض عزاز أي صلبة، وتعريفها للجنس، والآية في الكافرين كانوا يتعززون بالأصنام كما قال تعالى:﴿

★✎🙰✃ 🕐♍❒⬅⑩ ♊♉✍ ☎✃❒⬈⓿♦③✦✍🙰✃◆❒
⬀☠⬅●❍▭ ☎✃❒⬅☼❒⬈▤◆⓿♉♏🌢 ☪❒⍓♑♉🌢✃◆⬈
⇱♉❽☒✃﴾، والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال سبحانه:﴿✃🙰✎⅄🔔♉⇦×♦ ③♦☞✸②♉⓿⬈❒♌♦
♊♉✍ ◆⬈✎🙰◆⑩♉🌢⬃❒❒📖 ♦×⇦✗❷♉▦🕐♦▤⬂🌢🙰✃
🗐 ♦×✓♉☪♉✍⬃♦⬅☺⬂🌢🙰✃ ⬀♌❒⬅⑩
⇱☠➔♎⍓⑨✡♉⇱ 🙞♍❒⬈⇔♦✌⬀▭♦③❒📖
✃🙰🌢⬂➔♉❽❒❒■ ﴾[3] ومن اسم شرط وما بعده فعل الشرط والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الإرادة وإستمرارها "[4].

وردا على هذا الاعتقاد الفاسد جاءت الآية مقررة أنه " ... من كان يريد العزة فليطلبها من الله تعالى فلله وحده لا لغيره العزة، فهو سبحانه يتصرف فيها كما يريد "[5].

---

1 فاطر : 10.

2 مريم: 81-82.

3 النساء : 129-130.

4 روح المعاني 173/22.

5 نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وكون العزة لله وحده لا يعارض ما ذكرت الآية السابقة من أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، "ولا ينافي ذلك قوله تعالى:﴿❐◆✏✶ ✂✍☜✉➔♉❽☐☐↗
❐◆☜♉❷♦☞←❐✏♐🕮♉🕐 ❐◆☜♉◘▫☺←♦⬀✌♉☪♉✓▫☙ ﴾
لأن ما لله تعالى وحده العزة بالذات، وما للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم العزة بواسطة قربه من الله تعالى، وما للمؤمنين العزة بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام "[1]؛ فعزة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تابعة لعزة متفرعة عنها، فهو العزيز سبحانه بذاته يهب العزة لمن يشاء.

أما إرادة العزة فتحتمل:[2]

1- من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله ، ودليله ما روي أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز**"[3]، وهو قول قتادة.

2- من أراد العزة بعبادة الأوثان، فهي ليست كذلك بل هي لله جميعا، وهو قول مجاهد.

3- من كان يريد أن يعلم لمن العزة فإنها لله جميعا، وهو قول الفراء.

قال الألوسي:" وأظهر الأقوال عندي الأول وهو منسوب إلى قتادة "[4].

وعلى هذا القول يكون طريق العزة طاعة الله؛ أو ما سمته الآية " الكلم الطيب والعمل الصالح "، والكلم الطيب يعني " .. التوحيد والتحميد وذكر الله ونحوه، وقوله ﴿❐◆✂✍☜✉➔⍓☺⍓✍↖ ✂✍☜●①○⑦🖬⍓⊠←
③◆❷⬀▫♦➔↖❍←① ﴾ قيل: المعنى يرفعه الله وهذا أرجح الأقوال، وقال ابن عباس وغيره: إن العمل الصالح هو الرافع للكلم؛ وهذا التأويل إنما يستقيم بأن يتأول على معنى

---

[1] نفسه.

[2] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 477/6.

[3] أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب 253/5 ح8105، تحقيق: السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1986.

[4] روح المعاني 173/22.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أنه يزيد في رفعة وحسن موقعه، وعن ابن مسعود قال: **إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه: إن العبد إذا قال سبحان الله والحمد لله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعد بهن لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجاء بهن وجه الرحمن سبحانه، ثم تلا عبد الله بن مسعود**
﴿☽☈⬂◆❍⬂☉○☊ ③♦⑦⬄➔⊠⑨← ✁✍☜⬂▤♦◾☈⚐❶
✁✍☜☽⅄❷♒⚔◾☽ ❐◆✁✍☜⬂➔⊠☺⊠⊠⬃⇱
✁✍☜①○①◾☈⊠← ③♦❷⬀▫♦➔⇱○←①﴾. رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد"[1][2].

إذا فالله عز وجل يصعد إليه الكلم الطيب ويرفع سبحانه العمل الصالح –على أرجح الأقوال كما يقول الثعالبي–، وكذلك يعز صاحبه ويرفعه، فمن أراد العزة فليبتغها في جنب الله الذي له العزة ولرسوله وللمؤمنين وطريقها الطاعة والعمل الصالح. فتكون العزة أثرا طيبا من آثار الإيمان وما يلازمه من العمل الصالح.

وإذا كان من الآثار الطيبة للإيمان العزة، فإن صاحبه توضع له المودة والقبول في الأرض.

4- المودة والقبول:

كما نص القرآن الكريم على أن لأهل الإيمان العزة، فقد أخبر سبحانه وتعالى أنه سيجعل لهم مودة في قلوب الناس، كما قال عز وجل:﴿☽☈♌❐ ✁✍✎⅄♎♉⬄▫☜
↗◆✁✌☪⇱❐✁☎ ❐◆⇱◆☺♉◾➔❐✁☎
✁✍☜①○①◾☈♦⊠①☼💣♉ ♋⊠❶◆↗⇳➔⊠⬃⇱ ☜♦♑←☠⇱
✁✍☜❷▪❐✍🖗❐①♊← ❐⇱⑩♦✁ ⬀♉♊⬁﴾[3].

---

[1] المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملائكة 461/2 ح3589.

[2] الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن 254/3.

[3] مريم : 96.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قال ابن جرير تعليقا على الآية:" يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم فعملوا به فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، سيجعل لهم الرحمن ودا في الدنيا في صدور عباده المؤمنين "[1].

وقد جاء في الحديث الصحيح أن هذه المحبة فرع عن محبة الحق عز وجل لهم، والتي تتلوها محبة جبريل والملائكة لهم ثم محبة الناس، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض**"[2].

والحديث نص على أن الله يحب من عباده قوما فيأمر أهل السماء فيحبونهم، وهي استجابة خلق –لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون– لأمر ربهم، ثم توضع له المودة في الأرض؛ وهذه المودة –خلافا لمودة الملائكة– ليست حاصلة من أمر شرعي ولكن من قدر إلهي وربما أمر تكويني يجد الناس أثره ولا يعرفون مصدره.

هذا وقد جاء في حديث آخر بيان الطريق الذي يوصل العبد إلى محبة الله، ففي الصحيحين أن الله سبحانه وتعالى قال:" **من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب عبدي إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه،**

---

[1] جامع البيان 132/16.

[2] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة 3/ 1175، ح3037 ، صحيح مسلم –واللفظ له–، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده 4/ 2030، ح2637 .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "[1].

والحديث يوضح أن الطريق الموصل إلى محبة الله وولايته هو الالتزام أولا بالفرائض والواجبات فهو أحب شيء يتقرب به العبد إلى الله، ثم بعد المفروض يأتي العبد بالنوافل ولا يزال يواقعها ويتقرب بها حتى يبلغ درجة المحبة والولاية؛ وإذا بلغ هذه المرتبة صار ربانيا ينظر بنور الله ويتحرك بهدى من الله، وإذا رفع يديه إلى السماء داعيا استجيب له، أو مستعيذا استمع له، ثم من أرقى درجات الكرامة أن يتردد الحق عز وجل عن قبض روحه الذي لا مناص لأحد منه كراهة مساءته بنزول شيء يكرهه. وتلك المحبة المحبة والقبول فرع عن محبة العلي القدير لهذا العبد العابد المقترب.

هذا من الآثار الطيبة للإيمان، ومنها أيضا أن تستغفر الملائكة للعبد المؤمن.

5- استغفار الملائكة لهم:

كما أن الملائكة تحب أهل الإيمان، فإنها تستغفر لهم، قال تعالى: [illegible]

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع 2384/5 ح6137،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⑥◆❑⏲☝⬀☞♦❍⬅⏀ 🗐 ❑◆❶⬧⏲◙♑⚬①⬰ ♎➔❑◆
✂⬧♑◙⬂▤⌧❑⬀⸙⇖ ✂⬧♑◙⬂➔⌺➔⚬⑩⚐◗ ⬀✌⬀ ⚙.[1]

فقد ذكرت الآية " ... أحوال حملة العرش ومن حوله [الذين]... يسبحون بحمد ربهم، ... هذا الجنس من الملائكة الذين هم أعلى طبقاتهم يضمون إلى تسبيحهم لله والإيمان به الاستغفار للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا، والمراد بمن حول العرش .. الملائكة الذين يطوفون به مهللين مكبرين ... وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش يترهون الله ملتبسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به ".[2]

فحملة العرش من الملائكة والذين يطوفون به جميعهم يستغفرون للذين آمنوا، وقد بين " ..سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال حاكيا عنهم ⚙⑥◆🖃✸☪◆⬧
❑◆⬧⇧⬀✱❀ 🗎➔🙰❑ ★⌧⊘⬄⇗🕮 ⑥▪❍⇧☺⍓❑☪
❑◆⇖⬂☺⬰✞⬧ ⚙ وهو بتقدير القول: أي يقولون ربنا أو قائلين ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما: ... وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ⚙▫♦⬧⬧⬂⬀▤⬂❷⬀
◙♑⬂✂⅄🔔⬂⇦✖♦ ✍♦⬧🖃⬅❑✂☎
❑◆✂⬧✍❑🖮♦➔⇖❑✂☎ ⚼⍓⌛⬂⓿🖬■🖮⍓ ⚙: أي أوقعوا التوبة عن الذنوب واتبعوا سبيل الله وهو دين الإسلام، ⚙❑◆🔔⬂♑⬂☠⬀
⇖◆⓿⌧✂☸⌘ ✂⬧💻⬂♑❑▪⬀➚☹⌘⚙ أي: احفظهم منه "[3].

ومن زيادة الكرامة الحاصلة من الإيمان؛ فإن الملائكة تسأل لهم بعد الاستغفار الجنة والوقاية من السوء؛ لا لهم وحدهم فقط، بل وللصالحين من أهلهم حتى يتم تنعمهم، قائلة:"...
⚙⑥◆🖃✸☪◆⬧ ❑◆⬧⇧⬀✱❀ 🗎➔🙰❑ ★⌧⊘⬄⇗🕮
⑥▪❍⇧☺⍓❑☪ ❑◆⇖⬂☺⬰✞⬧⚙: أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، ⚙▫♦⬧⬧⬂⬀▤⬂❷⬀
◙♑⬂✂⅄🔔⬂⇦✖♦ ✍♦⬧🖃⬅❑✂☎
❑◆✂⬧✍❑🖮♦➔⇖❑✂☎ ⚼⍓⌛⬂⓿🖬■🖮⍓ ⚙: أي فاصفح عن

---

[1] غافر : 7-9.
[2] الشوكاني، فتح القدير 482/4.
[3] الشوكاني، فتح القدير 482/4

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا كما كانوا فيه وأتبعوا ما أمرهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات، ⌘☹✁⊠⓿♦⇱ ⬀☠⚷♑⚲⍾♦❐ۛ

✁✍✉♑❑⬂☸☹➚⬀♦◘♑⬁💻✍✁ۛ: أي وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجع الأليم، ۛ❻♦✍✱☪♦✍⬄⚐←♑▫🖬⬀⌘⬃⑩❐📖♦❐

⬀☠←♑☐✍⑨♦⇱♦❐⚲☝☹⅄✍✍✁ ✌♌⇳⑨♦⇱⚲●⏲☐☪⍓♉
⬀☠⚷♑⚲★✎✍♦✍✁♦➚ ⇳♊⚲✍ ⍓⊠■🖬✿⏲ ♊♦✍♦❐
⬀☠⚷♑⬀♉⏲♦❐⬂♓❐📖♦❐

❐♦❶➔❻♒⚲③✱⏲☝⚲♑⚷⚐⬄ۛ: أي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى: ۛ❐♦✁✍✎⅄⍾⚲⬄✕♦ ➚♦✁✍♦☪⇱❐✁☎

❶➔❻♒⚲③✱☺⬃←⚲⬃☠ ❐♦✁✍✍☐🖮♦➔⍓☺⬃⚲⬃☠⬀
✍☸⚷⚷⚷⍓⏲♊✍ ✍✍♦☪⬂◑■♦⬂💻❐📖 ⚷⬀☠⚲⚲☠
❶➔❻♒⚲③✱☺♦⚲⬃☠⬀ ✎✍♦✍♦❐ ☠←♑⏲☐✡⬃☝♦✍❐📖
❻✍➚✍ 🗐 📖➚⬄⚲⊠★ ♊⚲♓✍ ⚐⚷♑⚷🖬♦✍⊠⬃ ⇳♊⚲♓✍
⋖✕✓⚲♎♦❻ ✿🖬✿○⊠✍ ✍☐▦⚲▤ ⊙✍⚲❺⬀✍✍✁ ۛ[1]: أي ساوينا بين الكل في المنزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني، بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلا منا ومنة"[2].

وعليه فإن من آثار الإيمان القدرية أن تستغفر الملائكة لصاحبه؛ يستغفر له حملة العرش ويستغفر له الذين يطوفون بالعرش، ويسألون له الجنة وتحقق وعد الله له بتخليده فيها، ويسألون له الوقاية من السوء، ويسألون للصالحين من أهله مثل ذلك. ولهم فوق ذلك البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

6- البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة:

قال تعالى: ۛ📖❐♦✋ ◑⚷♍· 📖❐❐⬃✍⚲⑩♦✍✍✁➚♦ ✁✍✍✎★
♦♦ ⌘⍓☐⬀❼➘ ⬂♦🖬■⑩⬂♑⚷⚐⬄ ❐♦♦• ♎➔☠⬀
⑥♦♦⬂❽♦☼←☐♍✍ ⬀⚷⚷⚲⬀ ✁✍✍✎⅄⍾⚲⬄▫✍
❐♦▤•⍾☼←☐✁☎ ❐♦☪⇱☐✁☎ ③♦☝✱◑➔☐♍✍
⬀✍⚷⚲⬀ ✍♦♑←⚐◗ ✁✍✍⌛←⌖⇳❷♦❽▤ ✕⚷❼
✁✍✍♦⬂⊠⓿♦❐🗐☐⚷ ✁✍✍⑨❻☼⬃⓿♦✍ ❐♦✕⚷⑥

---

[1] الذاريات : 21.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 73/4.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✁〰〰⌧☞⌘⇖❷♦❑✗ 🗐 ♦• ✍♦🖮⬀⑨♎③✍•
〰♎⌛⌧☺✗♐♦⌚☼💣♎ ✁〰✍★ 🗐 ❶•⌚☺〰♎①☞ ♎➔❑♦
✁〰〰☺⬂⊞⌧❑⬀☜⇖ ✁〰〰☺⬂➔⌧➔♎⑩⚐❶ ⬀✗♎⬅ ﴾.[1]

وقد وعدت الآية قوما سمتهم " أولياء الله " بالبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. قال ابن جرير:"والأولياء جمع ولي: وهو النصير ... واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم، فقال بعضهم: هم قوم يذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والإخبات ... وقال آخرون: في ذلك بما [روي] ... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم يا رسول الله؟ فلعلنا نحبهم. قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب، وجوههم من نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ:﴿🕮❑•✋
☽♎♍• 🕮❑❑⬃☺♎⑩♦〰✍➚♦ ✁〰✍★ •• ⌘⌧❑⬀❼⬇
↘♦⬛■⑩⬂♑♎⚐⬄ ❑♦••♎➔☠⬀ ⑥•♦⬂❽♦☼⬅❑♍☞ ﴾."[2]

فابن جرير يذكر في مفهوم أولياء الله قولين: أما الثاني فقد ذكر له سندا من حديث مرفوع وينص على أنهم المتحابون في الله، وأما الأول فيفيد أنهم قوم عليهم سيما الخير والإخبات فإذا رآهم الناس ذكروهم بالله، ثم يختار قولا ثالثا يستند فيه إلى بيان الآية نفسها لما أجمل في أولها، فيقول:"والصواب من القول في ذلك أن يقال الولي -أعني ولي الله-؛ هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى كما قال الله:﴿
✁〰✍⅄🕭♎⬄▫☞ ➚♦✁✌♦☪⬉❑✁☎ ❑♦🗎•🕭☼⬅❑✁☎
③♦✌✸☽➔❑♍☞ ﴾."[3]

وهذا الاستدلال الذي ذكره ابن جرير قوي حسن، ولئن صح الخبر فهو أيضا بيان صريح غير أنه جاء على طريق الاستدلال بالآية وليس التصريح بأنه المراد فقط منها. وإذا دققنا النظر وجدنا أنه لا مانع من اجتماع هذه الأقوال جميعها؛ فإن الذين آمنوا وكانوا يتقون لا بد أن يكونوا متحابين في الله، وهم أحق من تظهر عليه سيما الخير والإخبات.

---

[1] يونس : 62-64.

[2] جامع البيان 11/131-132.

[3] نفسه 11/132.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن استجمع هذا الوصف جعل الله له البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة:

- فأما البشرى في الحياة الدنيا فقد ساق المفسرون في معناها أقوالا ثلاثة:[1]

1- أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له رواه عبادة ابن الصامت وأبو الدرداء وجابر بن عبد الله وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.[2]

2- أنها بشارة الملائكة لهم عند الموت قاله الضحاك وقتادة والزهري.

3- أنها ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه كقوله:﴿ ✂✍✎▲🔔♉⇦▫☙ ◘◆☐□⌑♏☝❸♉ ☎✂☐↖✡◆✌✂◆↗ ﴾[3]، ﴿ ☎✂☐↖❷♉⌖✐☐□📖◆☐ ﴾، ﴿ ✍✍✍♉✍💻⬂♑☐✡☐☐♉ ﴾[4]، ﴿ ③↖⌛◆⌑♏☝❸←♎→☠⬁ ❻◆✉☙♑←⚐ ﴾[5]، وهذا قول الحسن واختاره الفراء والزجاج واستدلا بقوله:﴿ ◆◆ ✍◆⌨⬁⑨♉③✍◆ ♌♉⌛☒☹✎◆⌚☀●♉ ✂✍✍✎★ ﴾، قال ابن عباس لا خلف لمواعيده وذلك أن مواعيده بكلماته فإذا لم تبدل الكلمات لم تبدل المواعيد.

أما البيضاوي فظاهر كلامه أن البشرى واقعة بجميع هذه الأشياء، قال:" .. البشرى في الحياة الدنيا: هو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات، وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة ... "[6]. وأما ابن جرير فقد قطع بأن البشرى واقعة بجميعها، قال:" وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه

---

[1] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 44/4.

[2] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 424/2-425

[3] البقرة : 25.

[4] فصلت: 30.

[5] التوبة: 21.

[6] أنوار التنزيل 206/3.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

برحمة الله كما روي عن النبي أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه تقول لنفسه اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه، ومنها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله من الثواب الجزيل كما قال جل ثناؤه:﴿❒◆❐🗀□¤♏⬂❸⚯
✁✍🔔✌⬄▫✍✑✈◆✁✌✡⇖❐✁☎ ❒◆⇖◆☺⚯🖬➔❐✁☎
♉◑●⬅☠⬀ ⌨☺◆⚯✡□◷●⌨ ⚯⌂⊠✡⚯🕮❒♌□
⇖❷◷⊠♑⬃☼☞❀✍✁ ✍⊠♑⚯☞⬂◆❐✌ ♊⚯✌ ❽⌘❷⬂♑❐✌
☎﴾الآية، وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها و لم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه أن لهم البشرى في الحياة الدنيا وأما في الآخرة فالجنة "[1].

وأما البشرى في الآخرة ففيها أيضا ثلاثة أقوال:[2]

1- أنها الجنة .
2- أنه عند خروج الروح تبشر برضوان الله .
3- أنها عند الخروج من قبورهم.

وما قيل في الأقوال السابقة يقال في هذا؛ أي أنه لا مانع من وقوع البشرى في جميع هذه المواطن —والله أعلم-.

وهذه البشرى ممهدة لنعيم عظيم يأتي بعدها، أوله قبول العمل والتجاوز عن السيئات والإدخال في الصالحين، ويصحبه أمن عند فزع الناس، ويعقبه خلود في الجنة.

7- قبول العمل والتجاوز عن السيئات والإدخال في الصالحين:

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه يتقبل أعمال المؤمنين الصالحة فيجزيهم بأحسنها، ويتجاوز عنهم سيئها برحمته وفضله، قال تعالى:﴿❒◆✁✍✎⅄🔔⚯⇦×◆
⬈◆✁✌◆☪⇖❐✁☎ ❒◆⬋⊠☟⚯🖬➔❐✁☎
✁✍♐◑●◷⊠◆⚯🖬◷●⌨ ♌⚯♏❷◆♌□
⇖◆✡⬀♑⬅⚐⇔ ⚲⊠⓿♒✐★◆✍✍⚯♑⚯☀⇕
❐◆♐☪⬈⇕❽⌘③◆✡□♑⬅☀⇕ 🕮❐◑⇕○✽♊⌘

---

[1] جامع البيان 138/11.

[2] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 44/4-45.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✂♐✍⅄🔔♌❽ 📬☒🔔☼←❑✂☎ ③♦→⬀☺⬚▣→❑♌♦
⬀⬀⚘📥 ﴾.[1]

فالله العلي القدير " ... مع غناه عن الخلائق جميعهم ومع بره وإحسانه بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء؛ وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون؛ فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف، ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح كما قال تعالى: ﴿ ❍♌♏❑ ✂♐✍⅄ •• ③♦→⇧▣♏☠⇖ ♌⌖⬀❍•♐✌♦

❶•❻▪❑▭ ☎ ❑♦❍♏♌ ✍♦⌨→ ❍⬚❍✽☪♦❑☪
③⇖♐•⏲→♌▦⬂♑⬚♐ ❑♦③⇖•⬀✞⬁ ♌♊ ✍⅄♐→☼⬀❍←
📖❑♉⇧❷⏲✂ ⇖♦→♌⑩☺✞♐ ⬀⬀⚘📥 ﴾،[2] وقال ها هنا: ﴿
❑♦✂♐✍⅄🔔♌⬄×♦ ➚♦✂✌♦☪⇖❑✂☎
✂♐🏵♑⏲❍⏲▣♌•⏲⬚💣♌ ☎✂❑→▣♌⁋☒⬃♦❑
♏•⁋⇖▦♏♌❷♦♌❑ ⇖♦✡⬀♑←⚐⬄
♋⬚⓿⯒⛆⬀✍♦♑♌♏💣⇧
📖❑❍⇧❍✽♊⌘ ❑♦🏵•☪♦⇗⇧❽⬢③♦✡❑♑←💣⇧
③♦→⬀☺⬚▣→❑♌♦ ☎✂❑←☼🔔☒📬 ❽♌🔔⅄✍♐✂
⬀⬀⚘📥 ﴾."[3]

ومعنى " ﴿ 🏵♏•⁋⇖▦♏♌❷♦♌❑ ⇖♦✡⬀♑←⚐⬄

♋⬚⓿⯒⛆⬀✍♦♑♌♏💣⇧ ﴾ أي: لنغطينها عنهم بالمغفرة لهم ."[4]

و أما " ﴿ ❑♦🏵•☪♦⇗⇧❽⬢③♦✡❑♑←💣⇧ 📖❑❍⇧❍✽♊⌘

✂♐✍⅄🔔♌❽ 📬☒🔔☼←❑✂☎ ③♦→⬀☺⬚▣→❑♌♦ ﴾: ...

أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام ."[5] وهذا الجزاء "... يحتمل أن تكفر عنهم كل معصية

---

[1] العنكبوت : 6.

[2] النساء : 40.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 405/3.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 328/13.

[5] النسفي، تفسير النسفي 251/3.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عملوها في الشرك ويثابوا على ما عملوا من حسنة في الإسلام، ويحتمل أن تكفر عنهم سيئاتهم في الكفر والإسلام ويثابوا على حسناتهم في الكفر والإسلام "[1].

وإلى جانب هذا الوعد، فقد جاء في نفس السورة وعد آخر هو إدخالهم في الصالحين:﴿ ❒♦✂✍✂▲🔔⊗⇦×♦ ↗♦✂✌♦☪⇖❒✂☎ ❒♦⇖♦☺⊗◘➔❒✂☎ ✂✍✍◙⊘◌⊘◘⊗♦⊠⊘💣⊗ ◙⊘♦☪⇖⑨⇳⌘⇖◘■✡□♑←☠⇗ ×⊗❼ ✂✍✍◙⊘◌⊘◘⊗♦⇖✓×♦ ⇗⊘⇖ ﴾[2].

وقد كررت الآية " ... التمثيل بحالة المؤمنين العاملين لتحرك النفوس إلى نيل مراتبهم "[3]، ثم إنها وعدتهم أن يدخلهم ربهم ﴿×⊗❼ ✂✍✍◙⊘◌⊘◘⊗♦⇖✓×♦ ﴾، وهو يحتمل أن يراد به أحد معنيين:[4]

1- لندخلنهم في زمرة الراسخين في الصلاح.

2- لندخلنهم في مدخل الصالحين وهو الجنة -بتقدير محذوف-.

قال الشوكاني:"والأول أولى "[5]، وقال القرطبي:" وإذا تحصل للمؤمن هذا الحكم تحصل ثمرته

وجزاؤه وهو الجنة "[6].

وفي وصف " ﴿✂✍✍◙⊘◌⊘◘⊗♦⇖✓× ﴾ مبالغة؛ على معنى: فالذين هم في نهاية الصلاح وأبعد غاياته "[7] .

وإلى جانب تكفير السيئات وقبول العمل والإدخال في زمرة الراسخين في الصلاح، الأمن في مواطن الفزع.

8- الأمن يوم الفزع:

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 328/13.

[2] العنكبوت: 9.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 329/13.

[4] الشوكاني، فتح القدير 193/4.

[5] نفسه.

[6] الجامع لأحكام القرآن 329/13.

[7] نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تقدم –عند الحديث عن البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة– قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾.[1]

وتضمنت الآية أن هؤلاء الأولياء الذين آمنوا وكانوا يتقون: "... لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله لأن الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا "[2].

وقد نصت سورة فصلت على أن الملائكة تتنزل عليهم بالبشرى من الله بذلك، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾.[3]

و﴿ [illegible] ﴾ هم الذين " ...

[1] يونس : 62-64.

[2] ابن جرير، جامع البيان 131/11.

[3] فصلت : 30-32.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى، على شرع الله "[1]. وقد ذكر المفسرون في المراد بهم أقوالا ثلاثة:[2]

1- أنهم استقاموا على التوحيد قاله أبو بكر الصديق ومجاهد.

2- استقاموا على طاعة الله وأداء فرائضه قاله ابن عباس والحسن وقتادة.

3- استقاموا على الإخلاص والعمل إلى الموت قاله أبو العالية والسدي.

والإخلاص من كمال التوحيد لأنه سلامة من الشرك الأصغر –أي الرياء-، والتوحيد فريضة من الفرائض لا يخرجه عن ذلك كونه عملا قلبيا، وجميع هذه الأقوال لا يعارض واحد منها الآخر، والثاني أشملها.

وأما قوله تعالى:﴿✍•✌♦ॐ♦➒❑✌ ⬊♦◘■⑩⬂♑♐⚐❶ ✑♓♌⬂☺⬀■◘⌚✲⬦✍⌛⌧❑➔﴾ فذلك " ... عند الموت قائلين:﴿✌📖❑•⬉ ✌❑③•♓♌▫➔❑✑☎﴾ ... مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿❑◆•﴾ ✌❑♦⬂❽♦☼⬅❑✑☎﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه ﴿❑♦📖❑🗀⬃⌖♑❷⬉❑✑☎• ⬄⚐⬅☞☪⬈✍ ♐⬂♑✡❑❑♑ ✑♓♌⬂☺⬀⚐ ♏♓♌🖳⬂♑❑✡❑❑♐ ✍➔❑⬉♦⑨⬅❑♍♒﴾، فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير بشرى الذين استقاموا "[3].

فالملائكة تتزل على أهل الإيمان تبشرهم وتؤمنهم، وقد يكون ذلك إما:[4]

أ- عند الموت: وهو قول ابن عباس ومجاهد، قال ابن كثير:" وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال:" **إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة من الجسد الطيب كنت**

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 99/4.

[2] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 254/7، وابن كثير، نفسه 99/4-100.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 100/4.

[4] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 254/7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان "[1] "[2].

وعلى هذا القول يحتمل ﴿📖❑•·✌❑③•➶☞⌧➔❑✂☎ ❑◆••﴾ ﴿✌❑◆⬂❽◆✡⬅❑✂☎ ﴾ أيضا معنيين: الأول: الخوف من الموت والحزن على الولد، والثاني: الخوف مما هو آت والحزن على ما فات.[3]

ب- والقول الثاني تتزل عليهم إذا قاموا من القبور وهو قول قتادة، فيكون معنى لا تخافوا أنهم يبشروهم بزوال الخوف والحزن يوم القيامة. روي " ... أن العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان لا تخف ولا تحزن

﴿📖❑◆📖❑🗀⬃⌖⚲❷⬉❑✂☎
📦⚲☞☞💻⬂♑❑✡❑❑⚲ ✂☞☞🖎⅄☹☜⚲
📦⬈☪☞⬅🏳⬄ ✍➔❑⬉◆⑨⬅❑♍❧﴾، .. فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه؛ فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل له في الدنيا "[4].

قال ابن كثير:" وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث ... وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدا وهو الواقع "[5].

هذا ومع تتزل الملائكة على المؤمن تؤمنه فإنها تبشره بالجنة.

9- دخول الجنة:

قال تعالى:﴿☽⚲♌❑ ✂☞☞✎⅄🔔⚲⬄×◆ ⬈◆✂✌☪⬉❑✂☎
❑◆⬋☒☝⚲🖫➔❑✂☎ ✂☞⚲🕐○🕐🖫⚲•⍓🕐☼⚲
📦☒🔔☼◆☼⇳ 🖃○●⬅☠⬀ ♉⍓☪❑🕐☼➔﴾

---

[1] أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، كتاب الجنائز، باب الصبر والبكاء والنياحة 566/3 ح6702، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2: 1403، قال الهيثمي:" ورجاله ثقات ". انظر: علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد 328/2، دار الريان للتراث ، القاهرة-دار الكتاب العربي، بيروت: 1407.

[2] تفسير القرآن العظيم 100/4.

[3] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 254/7.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 100/4.

[5] نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⬅⮊⬀🙰⬀ 🕔⬥⬇❽⬅⯐ ⬂❑⬃❒⬜⑩⬁❷⬂▦⬂ᘓ⬁⬂✄
♦♌❑⬈⬄⬁⌨♦③ ⬥⬥ ⬂❑⬃❸⬂▫ ♦✗⬅⬂⬂⬂✄🕔⬜⌘
.[1]﴾ ⬅⮊⬀⬂⬀ ☪⬥♦❑⬂❍ ⬂❑⬃⬁❁♦⬉

فمن كرامة الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم " كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده، والفردوس أعلى درجات الجنة، وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل"[2].

و " ﴿🕔⬥⬇❽⬅⯐﴾: أي ضيافة فإن النزل الضيافة، وقوله:﴿ ♦✗⬅⬂⬂⬂✄🕔⬜⌘ ⬂❑⬃❸⬂▫﴾: أي مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبدا ﴿⬥⬥ ③♦⌨⬁⬄⬈❑♌♦ ⬉♦❁⬁⬃❑⬂ ❍⬂❑♦⬥☪﴾: أي لا يختارون عنها غيرها ولا يحبون سواها "[3].

وذلك لأنهم " لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم، ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود"[4]. وهو " ... تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها؛ مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائما أنه قد يسأمه أو يمله، فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولا ولا ظعنا ولا رحلة ولا بدلا "[5] .

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الإيمان تترتب عليه آثار شرعية وأخرى قدرية؛ فمن هذه الآثار الشرعية انعقاد الموالاة بين المؤمن وسائر أهل الإيمان، وأن يحي المؤمن حياة طيبة، وأن ينال العزة بطاعته لربه وعمله الصالح، وتوضع له المودة والقبول في الأرض، ويحبه أهل السماء، وتستغفر له الملائكة، وتسأل له الوقاية من السوء ودخول الجنة هو ومن صلح من آبائه وأزواجه وذريته، وله البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويؤمن يوم الفزع وتتلقاه الملائكة مبشرة مطمئنة، ثم ينال أعظم الكرامة فيدخل الجنة خالدا فيها مخلدا لا يبغي عنها تحولا ولا يحس سأما أو مللا.

---

[1] الكهف: 107-108.
[2] البيضاوي، أنوار التنزيل 526/3.
[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 109/3.
[4] البيضاوي، السابق.
[5] ابن كثير، السابق.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الثاني:

آثار العقيدة الفاسدة الشرعية والقدرية

تناولنا في المبحث السابق الآثار الشرعية والقدرية للإيمان، وفي هذا المبحث نتناول آثار الكفر وهي شرعية وقدرية أيضا:

أ- **الآثار الشرعية:**

شرع القرآن الكريم جملة من الأحكام المتفرعة عن الكفر منها ما يتعلق بالجانب الديني ومنها ما يتعلق بجانب العادات والمعاملات الاجتماعية والمالية.

- فأما على المستوى الديني، فقد جعل القرآن الكريم الكفر محبطا للعمل. قال تعالى:❁
♊♦✍ ✍⌧🔔♌♦ ③↖❷✖③⑨← ✁✍✍⑩⬂⬥⑩◻❑❑▤◻■
✁✍✍⑩⑨❻☼⬃❶♦✍✍ ❑♦✍③♈♦☞♒♦✍✍
☼←❑♦✍✍♏⬀ ☽♑⑩⬥❸⬀✍&✍⬀☠⬀ ◻⬆◻⬀◻☺⬀▣◻■⬆♑←☠⬀
▫♑❸&◻✍✍ ◻♦♎➔⬀⇔ ▫♑❸&◻✍✍ ♦♦
③↖✍②⬀◻○⬅❑♌♦ ⬀♑✍ ▭♦⑩◻⬆◻⬥♦⬥✧◻✍⬀
✁✍✍✍⬀♙⬥♑✗♦ ⑩⬂⬥⑩▪“ ▭○●←☠⬀ ✗♑❼
✁✍✍⬀☞⌘⬀❷♦◻⬀ ☽♑⬥⬥ ✁✍✍⑩⬥☼◻✍✍❻↓ ☎
◻♦○⬀▤♑⬀◻⌧ ✍♦✍✍ ⏲❁☪♦➔↖◻✁☎ ▫♑❸&◻✍✍
◻♦⬀◻♦⏲⬀♑⬀∢ ✍◻✍✍ ▤•✍✍☼←◻✁☎
③♦➔⬀☺◻▣➔◻♌♦ ⬀♑✍⬀♙ ❁[1].

فقد نصت الآية على أن قوما يريدون الحياة الدنيا وزينتها -أو لا يريدون إلا الحياة الدنيا وزينتها-، فيجازون على ذلك بحبوط عملهم يوم القيامة بعد أن يوفى إليهم أجره في الحياة الدنيا، ثم لا يكون مآلهم بعد ذلك غير نار جهنم.

فأما الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها فهم الكفار، رغم أن " قوله:❁✍♦♊
♌♦✍⌧🔔♌♦ ③↖❷✖③⑨← ✁✍✍⑩⬂⬥⑩◻❑❑▤◻■
✁✍✍⑩⑨❻☼⬃❶♦✍✍❁ يندرج فيه المؤمن والكافر والصديق والزنديق، لأن كل أحد يريد التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها، إلا أن آخر الآية يدل على أن المراد من هذا العام الخاص وهو الكافر، لأن قوله تعالى:❁

[1] هود: 15-16.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] ﴾ لا يليق إلا بالكفار، فصار تقدير الآية: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فقط، أي تكون إرادته مقصورة على حب الدنيا وزينتها و لم يكن طالبا لسعادات الآخرة، كان حكمه كذا وكذا ... "[1].

فقد بين الرازي هنا أن المقصود بالذين يريدون الحياة الدنيا الذين يريدونها فقط ولا يريدون غيرها وهم الكفار، وأن آخر الآية هو الذي يدل على استثناء غيرهم من أهل التوحيد منهم وإن كانوا قد يريدون الحياة الدنيا لأن النصوص دلت على أن الكفر فقط هو الموجب للخلود في النار. وهذا المعنى يشهد له أيضا قوله تعالى في سورة النجم: ﴿[illegible]﴾[2].

وهذه الإرادة شيء يفوق مجرد محبة الحياة الدنيا، قال البرسوي:" والمراد بالإرادة ما يحصل عند مباشرة الأعمال لا مجرد الإرادة القلبية "[3]. فإرادة الحياة الدنيا وزينتها أن يكون العبد طامحا قاصدا بعمله نيل شيء من حظوظها.

وقد دلت الآية على أن هؤلاء يوف إليهم أجر عملهم في الحياة الدنيا "﴿[illegible]﴾: أي نوصل إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة ... ﴿[illegible]﴾: أي في الحياة الدنيا، ﴿[illegible]﴾: لا ينقصون شيئا من أجورهم

---

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ج17/ص159، دار الكتب العلمية بيروت، ط1: 1411-1990.

[2] النجم: 29-30 .

[3] إسماعيل حقي البرسوي، تفسير روح البيان ج4/ص108، دار إحياء التراث العربي بيروت، د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

"[1]، ثم إن هذا العمل يحبط في الآخرة. وذلك يطرح تساؤلا هو: ما العمل الذي يصدر عن الكافر فيحبط في الآخرة فلا ينال أجرا كان من المفترض أن يناله عليه، وقد عُلم أن العبد لا ينال أجرا إلا على العمل الذي هو صالح بميزان الشرع؟

إن الظاهر أن هذا العمل الذي يحبط هو ما يصدر عن الكافر من عمل الخير، قال الرازي:"وعمل الخير قسمان: العبادات، وإيصال المنفعة إلى الحيوان، ويدخل في هذا القسم الثاني البر وصلة الرحم والصدقة وبناء القناطر وتسوية الطرق والسعي في دفع الشرور وإجراء الأنهار. فهذه الأشياء إذا أتى بها الكافر لأجل الثناء في الدنيا، فإن بسببها تصل الخيرات والمنافع إلى المحتاجين، فكلها تكون من أعمال الخير، فلا جرم هذه الأعمال تكون طاعات سواء صدرت من الكافر أو المسلم، وأما العبادات فهي إنما تكون طاعات بنيات مخصوصة، فإذا لم يؤت بتلك النية، وإنما أتى بها فاعلها على طلب زينة الدنيا، وتحصيل الرياء والسمعة فيها، صار وجودها كعدمها فلا تكون من باب الطاعات "[2].

فقد بين الرازي هنا معنى صدور العمل الصالح [عمل الخير] عن الكافر؛ فإن الأعمال التي هي عبادات محضة هي التي لا تصدر قطعا عن غير مؤمن، إذ أنها مفتقرة في كونها أعمالا صالحة إلى نية تتقدمها، وأما الأعمال الأخرى المرتبطة بجانب العادات فهي أعمال صالحة من جهة كون نفعها واصلا إلى الناس وإن لم يقصد بها الكافر وجه الله، ولكن لما كان نفع الناس حاصلا بها فإن الله يجازي فاعلها الكافر عليها جزاء حسنا، وهو جزاء واف إن لم يفق عمل الكافر وإحسانه فلا أقل من أن يساويه: ⚙☼🡸❑◆✍♏⬁ ☽⊗📖☜❸&✍⬀ ❑🕮↖❑⇳☺⍓◷⬛♑🡸☠⬀ ▫⊗❸&❑✍ ❑◆♎➔⚐⬄ ▫⊗❸&❑✍ ••③↖⌨⬀②⍓○⓿❑♌◆ ⬀⊗➬⬅⚙، وهذا كله رحمة وتفضل من الله سبحانه وتعالى، لأن الكافر في الحقيقة لا يستحق من الله جزاء إذ أنه لم يقصد بعمله وجهه .. فأما في الآخرة فإن هذا العمل يحبط وليس لأصحابه جزاء إلا

---

[1] نفسه.

[2] الرازي، التفسير الكبير 159/17.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

نار جهنم، فهم "التعساء الذين باعوا الآخرة واشتروا المتاع الزائل يأتون للحساب بين يدي الله ولا حسنة لهم فليس لهم من جزاء إلا أن يلقوا في الجحيم، وأما القليل من الخير الذي فعلوه في الدنيا فقد استوفوا ثوابهم عليه هناك، وقدموا على الدار الباقية دون زاد، وهكذا أنذرهم الله وحذرهم..."[1].

وإذا كان القرآن الكريم قد نص على أن من آثار الكفر حبوط العمل، فقد نص أيضا على أنه يجعل أصحابه نجسا ورتب على ذلك تحريم الأماكن الطاهرة –أي بيوت الله– عليهم، قال تعالى: [illegible][2].

قال ابن الجوزي:" وفي المراد بكونهم نجسا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أنجاس الأبدان كالكلب والخنزير، حكاه الماوردي عن الحسن وعمر بن عبد العزيز، وروى ابن جرير عن الحسن قال من صافحهم فليتوضأ.

والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة وإن لم تكن أبدانهم أنجاسا قاله قتادة .

والثالث: أنه لما كان علينا اجتناهم كما تجتنب الأنجاس صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس وهذا قول الأكثرين وهو الصحيح "[3].

---

[1] عبد المنعم أحمد تعيلب، فتح الرحمن في تفسير القرآن ج3/ص1484، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط!: 1416-1995.

[2] التوبة: 28.

[3] زاد المسير ج: 3 ص: 417

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فذكر ابن الجوزي في معنى نجاستهم أقوالا ثلاثة: القول الأول والثاني يجعل كلاهما النجاسة نجاسة حسية -أي في أبدانهم-، ويفترقان في أن الأول يرتبها على الكفر نفسه، والثاني يرتبها عن بعض آثار الكفر وهو ترك الاغتسال من الجنابة.

وأما القول الثالث الذي ذكر أنه مذهب الأكثرين واختاره وصححه: فيجعل ذلك من جنس تشبيههم بالنجاسة بجامع الأمر باجتناب كليهما. وقد وجدنا أحد فقهاء المفسرين وهو الجصاص —وكان يفترض أن يدفعه اختصاصه الفقهي إلى تقديم القولين الأولين- لا يذكر إلا هذا القول الثالث مما يدل على أنه لا يرى الصحة في غيره، قال:" إطلاق اسم النجس على المشرك من جهة أن الشرك الذي يعتقده يجب اجتنابه كما يجب اجتناب النجاسات والأقذار لذلك سماهم نجسا، والنجاسة في الشرع تنصرف على وجهين: أحدهما: نجاسة الأعيان، والآخر نجاسة الذنوب، وكذلك الرجس والرجز ينصرف على هذين الوجهين في الشرع، قال الله تعالى:﴿③♦🕛❄🕯❐⑨☙🙰❑✍ ✁✍✍✏⅄🔔⚮⇦×♦ ⬈♦✁✌♦✡⇖❐☑✁☎ ☽⚮✡❄☺⍓✍ ✁✍💻⇘③•☺⇳❷⇖ ❐♦✁✍🙵⇘⑩⍓☺⍓⑩⇘●⬁❸🡐 ❐♦✁✍🏵☞☼🕛✿✍☹➲ ❐♦✁✍🏵☞🙪⇘🙵•🕛☠⇖ ❻⚮ᛰ⇳▪⚮ ✌♓⚮♊⇳ ⇖♦☺⍓✍✍⬀ ✁✍🙵⌖⊙⓪⇘➲•🕛♊⬂ ▫•✍✍⚮⇳✌♈♦⚮🖮🡐❐■🡐 🙵•➔⍓◘✦⬈☠⇗﴾[1]، وقال في وصف المنافقين:﴿✍➔⊞⇘◘⚮•🡐❐♌♦ ⬀⬀⚮⬂☀﴾ ☉⍓⓿♦•⇔◘⚮⊞➔❐♌♦ ✍✍✍⚮✏★ 🙵•⌛➔☠⬁ ☽⚮❶•✁ ✁✍☼☽•◘■⌛⬁☞🡐⚐⇔ ☽⚮🙵•❸⬁☙⚮☠⬁ ☎ ⇖♦☸⬂☙⬃☠⬁ 🙵☞⚮☞🡐➔⬂❷⚮⬂➔❐✁☎ ☎ ☽⚮✠❐☙⬃☠⬁ ☎ ☽⚮✠❐☙⬃☠⬁ ☎ ▫•🕯❐⇖⇳❷⚮⬂➔❐✁☎ ♉⍓♑❐✡❐⚐⚐ ❐♦✌♦🕯▫❐♦🗁♑🡐⚐⇔ ❻⚮ᛰ⇳▪⚮ ☎ 🗎•✍☼🡐❐✁☎ ✍⚮☺⍓✍ ♉⍓❽♦✁✏⬈☹ ③♦▤⬁○⬁🖮🡐❐♍☙ ⬀⚮⚮⬂☀﴾[2]، فسماهم رجسا كما سمى المشركين نجسا".[3]

---

[1] المائدة: 90.

[2] التوبة: 95.

[3] أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ج4/ص278 دار إحياء التراث العربي بيروت، دط: 1412-1992.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فوافق اختيار ابن الجوزي في أن المقصود من النجاسة هنا شيء غير حسي، وهو مشابهتهم النجاسة في كون المؤمنين مأمورين باجتناب كليهما، ثم بين أن هذا الوصف يشترك فيه المنافقون مع المشركين.

وقد رتبت الآية على ذلك منعهم من قربان المسجد الحرام:﴿ ▫♦⊠• ☎✁❑🡐✉♦❷⬂☽♦③ ⍓⑨✐✗⬄○⍓☺⬂♒✍✁ ♦⚐✁♦❷⍓•⬂♒✍✁ ⍓⑨⬃➔♦✉ ⬁☠♋♑♉✌✍♦⬉ ♎⍓🕔⓿⊠✁ 🗐 ﴾.

قال الجصاص: "وقوله تعالى:﴿ ▫♦⊠• ☎✁❑🡐✉♦❷⬂☽♦③ ⍓⑨⬃➔♦✉ ♦⚐✁♦❷⍓•⬂♒✍✁ ⍓⑨✐✗⬄○⍓☺⬂♒✍✁ ⬉♦✍✌♉♑♋☠⬁ ♎⍓🕔⓿⊠✁ 🗐 ﴾ قد تنازع معناه أهل العلم، فقال مالك والشافعي: لا يدخل المشرك المسجد الحرام، قال مالك: ولا غيره من المساجد إلا لحاجة من نحو الذمي يدخل إلى الحاكم في المسجد للخصومة، وقال الشافعي: يدخل كل مسجد إلا المسجد الحرام خاصة، وقال أصحابنا [أي الحنفية]: يجوز للذمي دخول سائر المساجد وإنما معنى الآية على أحد وجهين: إما أن يكون النهي خاصا في المشركين الذين كانوا ممنوعين من دخول مكة للحج لأنهم لم تكن لهم ذمة وكان لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف وهم مشركو العرب، أو أن يكون المراد منعهم من دخول مكة للحج "[1].

فذكر الجصاص في معناها أقوالا ثلاثة:

القول الأول: وهو منعهم من دخول المسجد الحرام، ولفظ المشركين على هذا القول عام في جميعهم جار على ظاهر دلالته واتفق عليه الإمامان مالك والشافعي.

القول الثاني: كالقول الأول إلا أنه تضمن زيادة وهي جعل سائر المساجد في حكم المسجد الحرام على سبيل القياس لاشتراك سائر المساجد مع المسجد الحرام في كونها بقاعا طاهرة يجب أن تجنب النجاسة، وهي زيادة انفرد بها الإمام مالك.

---

[1] أحكام القرآن 278/4-279، وانظر أبو بكر ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي ج2/ص913-914، دار المعرفة بيروت، د ت ط،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

القول الثالث: وهو مذهب الحنفية، وينص على جواز دخولهم المسجد الحرام ومن باب أولى سائر المساجد، وجعلوا النهي في الآية إما محمولا على طائفة خاصة وهم مشركو العرب الذين نبذت إليهم عهودهم، أو على حكم خاص وهو منعهم من الحج.

وإذا كان القرآن الكريم قد أمر بمنع المشركين من قربان المسجد الحرام، فقد أمر المؤمنين أيضا بالبراءة منهم وترك موالاتهم فقال عز وجل: ﴿•• ③♦✱②♉⓿☞
✁☜♒♍⌂☺←♦⇙♉☪⇖❑♌♦ ✁☜♒♍⌂▤♦⏰▦♉❷⌀⇦×♦
⎕⎕♍⇙♒♉⑩♦☜♒✏⬀♦ ♉♊ ⑩←❑♌☝
✁☜♒♍⌂☺←♦⇙♉☪♉✓×♦ ☎ ❑♦♉♦♊ ③♦▦♍→⊠✍⇗
✌♉⇗☞ ✁☜♒✏★ ×♎❼ ★⊠⌀⇔⇗☹ ♦⏰♒♉①☞ ▫♦▤■⑩⇘▪❝
✍♦✌✱☽→❑✁☎ ♉☪⇙♑←⚐⇔ ✍→☽♦♒⎕❑☪ ▤
❑♦③⇖⊂⊡⓿☄☞❻↓▤→☠⇖ ✁☜♒✏✦ ☼♦▦⇘○✿○←⏀ ▤
❑♦☽♎▢❼ ✁☜♒✏★ ✁☜♒♍⌂☺⊡⏀⬁❷❸← ⬀♉♋⇦ ⇗⚙﴾[1].

" وهذا نهي من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا ... ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهورا وأنصارا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فإنه من يفعل ذلك ﴿▫♦▤■⑩⇘▪❝ ☟♉⇗☞ ✁☜♒✏★ ×♎❼ ★⊠⌀⇔⇗☹﴾ يعني بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، ﴿☽♎♦☞ ⎕❑♌﴾ ✍♦✌✱☽→❑✁☎ ♉☪⇙♑←⚐⇔ ✍→☽♦♒⎕☪﴾: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل..."[2].

وهذا النهي عن الاستظهار بالكفار والاستعانة بهم وقع تعليله في آيات أخرى بجملة من الأشياء مرتبطة في جملتها بالاعتقاد، فمن ذلك:

- أنهم أعداء لله وللمؤمنين.
- وأنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق.

---

[1] آل عمران: 28.

[2] ابن جرير، جامع البيان 3/ 228.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- وأنهم أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من ديارهم بسبب إيمانهم بالله ربهم، وذلك خاص بكفار مكة وإن كان قد يصدق مثله على كل من يخرج المؤمنين من ديارهم بسبب إيمانهم في كل عصر من العصور.
- وأنهم إن يظهروا على المؤمنين ويستمكنوا منهم لا يتورعون عن إيذائهم بالقول والفعل.
- وأنهم يتمنون ويحبون أن يروا المؤمنين كفارا مثلهم.

ويجمع ذلك كله قوله تعالى: [illegible].[1]

ومن ذلك أن العادة تقتضي موالاة ومظاهرة العبد لمن هو مثله أو على مثل اعتقاده، كما قال تعالى: [illegible]

---

[1] الممتحنة: 2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible][1]

ومن ذلك أيضا أنهم يستهزئون بدين المؤمنين وبشعائرهم وعباداتهم كالصلاة مثلا:﴿ [illegible] ﴾[2].

قال ابن عاشور:" والآية[3] نهي عن موالاة الكافرين دون المؤمنين باعتبار القيد أو مطلقا، والموالاة تكون بالظاهر والباطن وبالظاهر فقط، وتعتورها أحوال تتبعها أحكام ... "[4].

فابن عاشور ينص على أن الموالاة إما أن تكون بالظاهر والباطن معا، وإما أن تكون بالظاهر وحده، وقد استخلص تبعا لذلك ثمانية صور، لكل واحدة منها حكم خاص[5]:

---

[1] المائدة: 51.

[2] المائدة: 57-58.

[3] أي آية سورة آل عمران المتقدمة:{ [illegible] }.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 217/3.

[5] نفسه 217/3-220.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- الحالة الأولى: موالاتهم في الظاهر والباطن وهي —كما قال-:" أن يتخذ المسلم جماعة الكفر، أو طائفته، أولياءه في باطن أمره، ميلا إلى كفرهم، ونواء لأهل الإسلام "، قال:" وهذه الحالة كفر، وهي حال المنافقين ... ".
- الحالة الثانية: موالاة أهل القرابة من الكفار الذين يعادون المؤمنين ويحاربوهم، وقال فيها:" الركون إلى طوائف الكفر ومظاهرتهم لأجل قرابة ومحبة دون الميل إلى دينهم، في وقت يكون فيه الكفار متجاهرين بعداوة المسلمين، والاستهزاء بهم، وإذاهم* كما كان معظم أحوال الكفار عند ظهور الإسلام، مع عدم الانقطاع عن مودة المسلمين "، وهو ينص على أنها لا توجب كفر صاحبها ولكنها كبيرة من الكبائر وإثم عظيم، قال:" وهذه الحالة لا توجب كفر صاحبها، إلا أن ارتكابها إثم عظيم، لأن صاحبها يوشك أن يواليهم على مضرة الإسلام، لى أنه من الواجب إظهار الحمية للإسلام، والغيرة عليه ... ".
- الحالة الثالثة: الركون إلى طوائف الكفر ومظاهرتهم لأجل قرابة ومحبة دون الميل إلى دينهم، ولم يكونوا مجاهرين ببغض المسلمين ومعاداتهم وإيذائهم، " كما كان نصارى العرب عند ظهور الإسلام ... قال الفخر: هذه واسطة، وهي لا توجب الكفر، إلا أنه منهي عنه، إذ يجر إلى استحسان ما هم عليه وانطلاء مكائدهم على المسلمين.
- الحالة الرابعة: الاستنصار بالكفار على جماعة من المسلمين أو كما قال:" موالاة طائفة من الكفار لأجل الإضرار بطائفة معينة من المسلمين مثل الانتصار بالكفار على جماعة من المسلمين "، وهذه الحالة مندرجة في باب التعزيرات الموكولة إلى اجتهاد الحاكم، قال:" وهذه الحالة أحكامها متفاوتة، فقد قال مالك في الجاسوس يتجسس للكفار على المسلمين: إنه يوكل إلى اجتهاد الإمام، وهو الصواب لأن التجسس يختلف المقصد منه إذ

---

* كذا في الأصل وأصله " إذائهم " أسقط منه الهمز تخفيفا، ولعله من تأثرات المغاربة بقراءة ورش.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قد يفعله المسلم غرورا، ويفعله طمعا، وقد يكون على سبيل الفلتة، وقد يكون له دأبا وعادة، قال ابن القاسم: ذلك زندقة لا توبة فيه، أي لا يستتاب ويقتل كالزنديق، هو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفار، إذا اطلع عليه، قال ابن وهب: ردة ويستتاب، وهما قولان ضعيفان من جهة النظر..."

- الحالة الخامسة: أن يستنصر المسلمون بالكفار على أعدائهم، وهؤلاء الكفار يظهرون المحبة للمسلمين ويعرضون عليهم النصرة، قال:" وهذه قد اختلف العلماء في حكمها: ففي المدونة[1] قال ابن القاسم: لا يستعان بالمشركين في القتال لقوله عليه السلام لكافر تبعه يوم خروجه إلى بدر "**ارجع فلن أستعين بمشرك**"، وروى أبو الفرج وعبد الملك بن حبيب: أن مالكا قال: لا بأس بالاستعانة بهم عند الحاجة، قال ابن عبد البر[2]: وحديث " **لن أستعين بمشرك** " مختلف في سنده، وقال جماعة: هو منسوخ، قال عياض: حمله بعض علمائنا على أنه كان في وقت خاص واحتج هؤلاء بغزو صفوان بن أمية مع النبيء –صلى الله عليه وسلم- في حنين، وفي غزوة الطائف، وهو يومئذ غير مسلم، واحتجوا أيضا بأن النبيء –صلى الله عليه وسلم- لما بلغه أن أبا سفيان يجمع الجموع ليوم أحد قال لبني النضير من اليهود " إنا وأنتم أهل كتاب وإن لأهل الكتاب على أهل الكتاب النصر فإما قاتلتم معنا وإلا أعرتمونا السلاح "، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة ، والشافعي، والليث، والأوزاعي، ومن أصحابنا من قال: لا نطلب منهم العون، إذا استأذنونا لا نأذن لهم: لأن الإذن كالطلب، ولكن إذا

---

[1] انظر: مالك بن أنس، المدونة الكبرى 40/3، دار صادر، بيروت، د ت ط، والحديث من بلاغته رحمه الله.

[2] في التمهيد: عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل أتاه فقال جئت لأتبعك وأصيب معك في حين خروجه إلى بدر إنا لا نستعين بمشرك وهذا حديث قد اختلف عن مالك في إسناده وهكذا رواه أكثر أصحابه ". انظر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد 36/12، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي–محمد عبد الكريم البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب: 1387.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

خرجوا معنا من تلقاء أنفسهم لم نمنعهم، رام بهذا القول التوفيق بين قول ابن القاسم ورواية أبي الفرج... ونقل ابن رشد عن الطحاوي عن أبي حنيفة: أنه أجاز الاستعانة بأهل الكتاب دون المشركين، قال ابن رشد: وهذا لا وجه له، وعن أصبغ المنع مطلقا بلا تأويل ".

- الحالة السادسة: موالاتهم كأفراد، وصورتها كما قال:" أن يتخذ واحد من المسلمين واحدا من الكافرين بعينه وليا له، في حسن المعاشرة أو لقرابة، لكمال فيه أو نحو ذلك، من غير أن يكون في ذلك إضرار بالسلمين "، وهو يرى جوازه فيقول:"وذلك غير ممنوع، فقد قال تعالى في الأبوين: [illegible] واستأذنت أسماء النبيء –صلى الله عليه وسلم– في بر والدها، وهي كافرة، فقال لها:" صلي أمك "[1]، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: [illegible][2]، قيل: نزلت في والدة أسماء، وقيل في طوائف من مشركي مكة: وهم كنانة، وخزاعة، ومزينة، وبنو الحرث بن كعب، كانوا يودون انتصار المسلمين على أهل مكة. وعن مالك تجوز تعزية الكافر بمن يموت له، وكان النبيء –صلى الله

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج 2230/5، ح5634، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة والنفقة على الزوج والوالدين والأقربين ولو كانوا مشركين 696/2 ح1003.

[2] الممتحنة: 8.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عليه وسلم- يرتاح للأخنس بن شريق الثقفي، لما يبديه من محبة النبيء، والتردد عليه، وقد نفعهم يوم الطائف إذ صرف بني زهرة، وكانوا ثلاثمائة فارس، عن قتال المسلمين وخنس بهم... ".

- الحالة السابعة: حالة المعاملات، قال:" حالة المعاملات الدنيوية: كالتجارات، والعهود، والمصالحات، أحكامها مختلفة باختلاف الأحوال وتفاصيلها في الفقه ".
- الحالة الثامنة: هي حالة التقية؛ أي إظهار الولاء لهم اتقاء لشرهم وهي التي نصت عليها آية سورة آل عمران، وهي تصرح باستثنائها من النهي، قال:"... حالة إظهار الموالاة لهم لاتقاء الضر وهذه هي المشار إليها بقوله تعالى:﴿☞♦☜☽ ✍♦✌✹☽➔❑✃☎ ♌❑📖 ✌☆♑⬅⬄ ✍➔☽♦☜❑☆﴾".[1]

وقد كشف الشيخ في هذا النص عن إحاطة بنصوص الكتاب وتبحر في الفقه، إلى جانب ما هو مسلم له أصلا من سبق في بيان المعاني ورسوخ في اللغة والتفسير، وهو يذكر للموالاة صورا ثمانية؛ الأربعة الأولى منها مجمع على عدم جوازها، ثم ذكر الخلاف في الصورة الخامسة. وأما الصورة الأخيرة فهي رخصة دل ظاهر الآية على جوازها. وأما تسمية الحالة السابعة موالاة –أي المعاملات الدنيوية: كالتجارات، والعهود، والمصالحات ...- ففيه كثير من التوسعة والتجوز، وأما الحالة السادسة: فإن المعنى الذي ذكره فيها صحيح ظاهر، غير أنه من الأمانة أن نذكر أن القرآن الكريم لم يسمها موالاة بل برا وإقساطا ومصاحبة معروف، قال تعالى:﴿❑◆❑◆🕒❍⑩⬂☪◆✍ ✃✍“✵♦♦❍✿🕔♊⌘ ...﴾

---
[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 3/217-220.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

والآية تقول للولد كن بارا بوالديك فإن " ... حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك من أن تصاحبهما [illegible]: أي محسنا إليهما، [illegible]: يعني المؤمنين "[2]، دون السبيل التي يدعوانك إليها.

والآية الثانية تتحدث عن أمر متعلق بصورة أساسية بشيء عملي وهو الإحسان والمصاحبة بالمعروف، وهو أكثر جلاء فيما يتعلق بغير الوالدين، وإن كان سبب النزول يجعل له علاقة بالوالدين أيضا[3]، كما قال تعالى: [illegible] .[4]

---

[1] لقمان: 14-15.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 446/3.

[3] نزلت في أسماء بنت أبي بكر حين قدمت عليها أمها المدينة وهي يومئذ مشركة فسألت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل أمها؟ قال:" نعم ". انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج 2230/5، ح5634، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة والنفقة على الزوج والوالدين والأقربين ولو كانوا مشركين 696/2 ح1003.

[4] الممتحنة: 8-9.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قال القرطبي:" هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين و لم يقاتلوهم، قال ابن زيد: كان هذا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال ثم نسخ، قال قتادة: نسختها ﴿⬥▫🙰🙰🔔⬂✌←◙➔❑✂☎ ✂🙰⬂☺←⌑⇧❸🙰⬧🙰✓×⬥ ❍⬜⓿⬂☸← ❒⬥♊⬜⑨🙰⬧☺←❑⚖➔🏳⬄﴾[1]، وقيل: كان هذا الحكم لعلة وهو الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلا، وقيل: هي مخصوصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه، قاله الحسن والكلبي، وهم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف ... وقال مجاهد: هي مخصوصة في الذين آمنوا و لم يهاجروا، وقيل: يعني به النساء والصبيان لأنهم ممن لا يقاتل فأذن الله ببرهم، حكاه بعض المفسرين ".[2]

ففي كلام القرطبي هذا أنها رخصة، والرخصة شيء مستثنى من أصل وليس قاعدة، ثم ذكر خمسة أقوال بعضها ينص على أن الحكم منسوخ، وبعضها يقصرها على بعض الطوائف فقط: حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كخزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف، أو بمن بينهم وبين المؤمنين صلح، أو النساء والصبيان، بل إن بعضهم جعلها في طوائف من المؤمنين أي الذين آمنوا و لم يهاجروا. وفي الأخير يرجح أنها محكمة وليست منسوخة فيقول:" وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة واحتجوا ... [بما روى عبد الله بن الزبير] **أن أبا بكر الصديق طلق امرأته قتيلة في الجاهلية وهي أم أسماء بنت أبي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطا وأشياء فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله تعالى:﴿⬥▫ ③⬥✡⬃♑⬜🖰▤➚🖃↓ ✂🙰✎✦ ⇱⬥♊⬂ ✂🙰✎⅄🔔⬂⇦×⬥**

---

[1] التوبة : 5.

[2] الجامع لأحكام القرآن 59/18.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] ﴾

ذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده[1] "[2].

والمقصود أن الفرق بعيد بين إباحة التولي، وبين وبر وإقساط مختلف فيه: هل هو محكم أو منسوخ؟ ذلك أن الولاء يتضمن معنى أعمق من مجرد معاملة ظاهرة بالبر والإقساط، وهو يعني:"أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد "[3]. ولا ريب أن مثل هذا يتضمن شيئا أعمق من مجرد مصاحبة ظاهرة ومعاملة على وفق الخلق الطيب هي من شيم المؤمنين وصفاهم الراسخة.

والخلاصة أن الكفر يسقط الموالاة بين صاحبه وبين أهل الإيمان على التفصيل المذكور آنفا.

وأما فيما يتعلق بالعادات فقد حرم الله أكل ذبائحهم، قال عز وجل:﴿ [illegible] ﴾[4].

والآية تنهى عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه والكافر قطعا لا يذكر اسم الله على ما ذبح، والعلماء وإن اختلفوا في متروك التسمية: هل يجوز أكله أم لا؟ فإن خلافهم وارد

---

[1] هو خبر أسماء السابق المخرج عند البخاري ومسلم، وهو في مسند أبي داود الطيالسي وفيه زيادة ذكر اسم أم أسماء " قتيلة " وأنها قدمت عليها بقرظ وأشياء فكرهت أن تقبل منها ...، انظر: أبو داود سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي، مسند الطيالسي 228/1 ح1639، دار المعرفة، بيروت د ت ط.

[2] القرطبي، السابق

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ص885.

[4] الأنعام: 121.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

على ما ذبحه مسلم[1]، أما ما ذبح المشرك فهو كالميتة يحرم أكله، فإن ذبح لغير الله وفاقا لمعتقده كان مما أهل لغير الله به.

وقد ورد في نصوص القرآن الكريم ما يدل ظاهره على استثناء ذبائح أهل الكتاب من ذلك، قال تعالى: [illegible].[2]

فنصت الآية على حل طعام أهل الكتاب للمسلمين، قال ابن العربي:" في ذكر الطعام قولان:

- أحدهما: أنه كل مطعوم على ما يقتضيه مطلق اللفظ وظاهر الاشتقاق. وكان حالهم يقتضي ألا يؤكل طعامهم لقلة احتراسهم عن النجاسات، لكن الشرع سمح في ذلك؛ لأنهم أيضا يتقون القاذورات، ولهم في دينهم مروءة يوصلونها؛ ألا ترى أن المجوس الذين لا تؤكل ذبائحهم لا يؤكل طعامهم ويستقذرون ويستنجسون في أوانيهم ...
- الثاني: أن المراد به ذبائحهم، وقد أذن الله سبحانه في طعامهم: قال لي شيخنا الإمام الزاهد أبو الفتح نصر بن إبراهيم النابلسي في ذلك كلاما كثيرا، لبابه أن الله سبحانه قد أذن في طعامهم، وقد علم أنهم يسمون غيره

[1] انظر على سبيل المثال: تفسير القرطبي 7/75-76.
[2] المائدة: 5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

على ذبائحهم، ولكنهم لما تمسكوا بكتاب الله وتعلقوا بذيل نبي علت لهم حرمة على أهل الأنصاب.

وقد قال مالك: تؤكل ذبائحهم المطلقة إلا ما ذبحوا يوم عيدهم أو لأنصابهم ".[1]

قال:" ... وقد سئل أبو الدرداء عما يذبح لكنيسة اسمها سرجس، فأمر بأكله، ولذلك قال عبادة بن الصامت وقال الشافعي وعطاء: تؤكل ذبائحهم، وإن ذكر غير الله عليها".[2]

فالمراد بطعام الذين أوتوا الكتاب الذي هو حل للمؤمنين إما ما أصله الحل ويتقى لأجل النجاسة كطعام المجوس؛ وعلى هذا القول ليست الذبائح منه، أو المراد ما ذبحوا هم وإن ذكروا عليه اسم المسيح مثلا، وربما غير اسمه. وقد علل ابن العربي ذلك فقال:" وقال جماعة العلماء: تؤكل ذبائحهم وإن ذكروا عليها اسم غير المسيح؛ وهي مسألة حسنة نذكر لكم منها قولا بديعا:

ذلك أن الله سبحانه حرم ما لم يسمى الله عليه من الذبائح، وأذن في طعام أهل الكتاب وهم يقولون: إن الله هو المسيح بن مريم، وإنه ثالث ثلاثة. تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. فإن لم يذكروا اسم الله سبحانه أكل طعامهم، وإن ذكروا فقد علم ربك ما ذكروا، وأنه غير الإله، وقد سمح فيه فلا ينبغي أن يخالف أمر الله، ولا يقبل عليه، و نضرب الأمثال له. وقد قلت لشيخنا أبي الفتح المقدسي: إنهم يذكرون غير الله. قال لي: هم من أبائهم، وقد جعلهم الله تبعا لمن كان قبلهم مع علمه بحالهم ".[3]

وأما فيما يتعلق بالعلاقات الأسرية فقد حرم الزواج منهم، قال تعالى:﴿❒◆⬧⬧ ☎✂❑⇦⬧⬀▤☪⬧✍ ⬀✇☼⏲☒✍✆⍁➌⇧⌑⇦☺⍃♐☜✂ ❍♊⬀☝⬃⬧⬉➂ ▤⍁✹☹⬕❍ ⬅❒◆☝✞☼◆❒ ▤ ◅❒◆⬥⬉➓☝ ⬂❑❑✡⬀☝⬃⬧➓☝ ⬄➌⬃➋⬕⌘ ♊⬀✆⍁ ◆⬅❑⬧☞⌧▣✆⍁➌⇧⌑➓☝ ☎✂❑⇦⬧⬀▤☪➔✍ ⬧⬧◆❒ ▤ ⬃☠➚▤⬂☝◆⌛⬕⬀⇧⬉❑🕮 ▤⍁✹☹⬕❍ ◆✖✓⬀✆⍁➌⇧⌑⇦☺⍃♐☜✂

[1]ابن العربي أحكام القرآن 2/553-554.

[2] نفسه 2/555.

[3] نفسه 2/553-554.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] [1].

فـــ " هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان "[2].

قال ابن جرير:" اختلف أهل التأويل في هذه الآية هل نزلت مرادا بها كل مشركة أم مراد بحكمها بعض المشركات دون بعض؟ وهل نسخ منها بعد وجوب الحكم بها شيء أم لا؟ فقال بعضهم: نزلت مرادا بها تحريم نكاح كل مشركة على كل مسلم من أي أجناس الشرك؛ كانت عابدة وثن أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو من غيرهم من أصناف الشرك، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب بقوله: [illegible] إلى [illegible] [3] ...

---

[1] البقرة: 221.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 258/1.

[3] المائدة : 3-5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقال آخرون بل أنزلت هذه الآية مرادا بحكمها مشركات العرب لم ينسخ منها شيء و لم يستثن؛ إنما هي آية عامة ظاهرها خاص "[1].

فقد ذكر ابن جرير قولين ينتجان حكما شرعيا واحدا وهو تحريم الزواج بالمشركة دون الكتابية؛ ولكن الخلاف في هل دلت الآية أولا على تحريم الزواج بالكتابيات ثم نسخ " وروي هذا القول عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس وسفيان بن سعيد الثوري وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي"[2]، أو أن دلالتها من الأول مقصورة على الوثنيات كما قال تعالى: ❋⬄ ♦×⇦ ③♦▤↗♊⬅ ♦×⇦❑♎ ☎✂❒⇱❷☒▦☒ ⇳♊ ⇗✍⇙♎❑📖 ✂☐♦ ♦×✓ ✂▤⬁♦ ♦×✓ ❍☒☹✹ ⇱☠⬋◆❸ ◆×✓✂▤☒▦☾⇱ ✂☐◆☾⬄⬘◆ ⬀⬅⬄❋[3]، ففرقت بين المشركين وأهل الكتاب وإن كانوا جميعا في الأصل مشركين، وبه قال قتادة وسعيد بن جبير وهو أحد قولي الشافعي[4].

ثم ذكر ابن جرير قولا ثالثا خالفه عامة العلماء فقال:" وقال: آخرون بل أنزلت هذه الآية مرادا بها كل مشركة من أي أصناف الشرك كانت غير مخصوص منها مشركة دون مشركة، وثنية كانت أو مجوسية أو كتابية، ولا نسخ منها شيء، ... [عن] شهر بن حوشب قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول:" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات، وحرم كل ذات دين غير الإسلام، وقال الله تعالى ذكره: ❋❑◆♊ ③♦▤⬉▦→❷⬀ ⬅♊⬤☺③● ⇳⑨♦◗♦▫ ☒⬆☠⌛◰❍ ⇱◆☺◰✂⬆📖⇱①❋[5]، وقد نكح طلحة بن عبيد الله يهودية ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية فغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه غضبا شديدا حتى هم بأن يسطو

[1] جامع البيان 2/375-376

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن3/67.

[3] البينة: 1.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن3/67.

[5] المائدة: 5.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عليهما، فقالا: نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب، فقال: لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ولكن انتزعهن منكم صغرة قماء"[1].

قال ابن كثير: " .. هو حديث غريب جدا و.. الأثر غريب عن عمر أيضا "[2].

و" عن ابن عمر أنه كره نكاح أهل الكتاب وتأول:﴿❒◆⧫⧫ ✍⧫☾▤⬀⧫←❑✂☎ ✂✍✍♐⬂☺←⌑⇳❸⇳🖎⌧⏲☼●⚮ ❍⌧☹✸⊘▤ ③⇖⧫⬃✌⚮♊● ﴾، وقال البخاري[3]: وقال ابن عمر لا أعلم شركا أعظم من أن تقول ربها عيسى "[4].

والتأول[5] هو ما ذكر القرطبي: " .. قال إسحاق بن إبراهيم الحربي: ذهب قوم فجعلوا الآية التي في البقرة هي الناسخة والتي في المائدة هي المنسوخة فحرموا نكاح كل مشركة وكتابية "[6].

وهذا القول معترض بظاهر قوله تعالى:﴿✂✍✍♐⬂⓿◆❑⬀⚐◆ 🕮⬆❍⚮✍❑ ♐⧫⬈▤☠⬉ ✂✍✍♐⬂➲⚫⌛⫛❸⌛⧫⏲☼●➔ ☎ ❑◆⬂⬥◘⬆⧫✍✍⚐⬉ ✂✍✍♐⬂▤⬁✌❑⧫⏲▮✿ 🕮⬆❑✍❑➔✂☎ ✂✍✍⬈⬆🔔⚮⬄×◆ ❍⚮✍✍ ⬂✍⬈▤⬉☠⬈⬀ ❑◆⬂⬥◘⬆⧫⬉✍✍⬀▤⬈☠⬀ ❍⚮✍✍ ✌⚮⌖⌘ ❑◆⬈☠● ⊞ ⇾◻✂✍✍⇾☼◆⇔⏲✿✡❑⏲☼●➔ ✌⚮⌖ ✂✍✍♐⬂☺←◆⬀✌⚮✡❑⏲☼●⚮ ❑◆⇾☼◆⇔⏲✿✡❑⏲☼●➔ ✌⚮⌖⌘ ✂✍✍⬈⬆🔔⚮⬄×◆ 🕮⬆❑✍❑➔✂☎ ✂✍✍♐⬂▤⬁✌❑⧫⏲▮✿ ✌⚮⌖ 🔔◆⌛⬀▮⚮⬈▤⬈☠⬀ ⬈✍✍❹⬀☺←❑⚐♎❍ ❍⚮✍◆❶◆✂✎ 🕮⬆♉⬉❑❻◆⚐❍ ✋⬂⬆◆⬂✡⬈◆✓×◆ ❖⬂⌧❷⬀❸◆ ⬉⌖⬈✋✹②⚮❍❽✓ ⬉⌖❍✿⏲▦⚮◆⬈✓×◆ ⧫⧫❑◆ 🕮❑✿◆⑨✂♌❑ ▤ ❑◆⌖◆♊❑ ③◆▤⬉⬈→❷⬀ ⬉✍✍❝⬛③☺◆⏲♊⬈ ❍⌧⌛⬉➊⌧ ▫◆⏾◆⑨⇳

⌧❑♦❷⬁⌘☞⍓☞✄ ❼⍧× ◆❑➔⍓◆❒ ⌚⬉🕮⬆✄⍓☺♦⬉
﴿ ⬰⍧⬀ ⌘⌶⓷⍧❸⬁⭘⌚⬩⓷⬂💻☞✄ ⌘⌶⍧✌

والآية تنص على أنه قد " أحل لكم أيها المؤمنون ⌘⌶⍧✌ ➔💣⌚❑✡✽⌚⬄⬩⬅☼▫➝☞✄﴾

وهن الحرائر منهن أن تنكحوهن ﴿ ⍧💣⌚❑✡⍧✌⬃⬩⬅☺⬂☟☞✄

♦×⇦⍧🔔⅄✎☞✄ ⌘⌶⍧✌ ➔💣⌚❑✡✽⌚⬄⬩⬅☼▫➝☞✄◆❑﴾

⬁☠➚▤⍧⬛⬁⌛⬩🔔 ⌶⍧✌ ✽⬛⌚♦✌⬁▤⬂☟☞✄ ☎✄❑➔✍❒⬆🕮

﴿ يعني والحرائر من الذين أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى الذين دانوا بما في التوراة والإنجيل ﴿⌶⍧✌﴾ ⬁☠➚▤⍧⬛⬁⌛⬩🔔 ﴿ أيها المؤمنون بمحمد من العرب وسائر الناس أن تنكحوهن أيضا "[1]، وقد حكي الإجماع على ذلك.[2]

وأما ما روي من كراهة عمر لزواج الكتابيات فـــ " .. إنما كره عمر ذلك لئلا يزهد الناس في المسلمات أو لغير ذلك من المعاني كما [روي] ... عن شقيق قال:" تزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر: خل سبيلها، فكتب إليه أتزعم: أنها حرام فأخلى سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن" وهذا إسناد صحيح، و ... عن زيد بن وهب قال: قال عمر بن الخطاب: المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصراني المسلمة " .. وهذا أصح إسنادا من الأول، [و] ... عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا " ... وهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه فالقول به لإجماع الجميع من الأمة عليه "[3].

وأما تأول من قال إن آية البقرة هي التي نسخت آية المائدة فـــ:" قال النحاس: وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة لأنه قد قال بتحليل نكاح نساء أهل الكتاب من الصحابة والتابعين جماعة منهم عثمان وطلحة وابن عباس وجابر وحذيفة، ومن التابعين سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وطاوس وعكرمة والشعبي

---

[1] ابن جرير، جامع البيان 6 / 103-104.
[2] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 258/1.
[3] نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والضحاك، وفقهاء الأمصار عليه، وأيضا فيمتنع أن تكون هذه الآية من سورة البقرة ناسخة للآية التي في سورة المائدة لأن البقرة من أول ما نزل بالمدينة و المائدة من آخر ما نزل وإنما الآخر ينسخ الأول، وأما حديث ابن عمر فلا حجة فيه لأن ابن عمر رحمه الله كان رجلا متوقفا، فلما سمع الآيتين في واحدة التحليل وفى أخرى التحريم و لم يبلغه النسخ توقف، و لم يؤخذ عنه ذكر النسخ وإنما تؤول عليه وليس يؤخذ الناسخ والمنسوخ بالتأويل"[1].

ولذلك قال ابن جرير بعد أن ذكر الأقوال الثلاثة:" وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أن الله تعالى ذكره عنى بقوله:﴿❒◆•• ✍•☪▤⮰♦←❑✃☎ ✃〰☜⬂☺←⌑⇧❸⚇⛠☒⌚💣♑ ❍⌂☹✸☡▤ ③↖•⬃✍♑♊❍ ▤﴾ من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات، وأن الآية عام ظاهرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها، وذلك أن الله تعالى ذكره أحل بقوله:﴿❒◆✃〰→▫☼←•⬄⌚✿✡❑⌚💣→ ✍♑♊⌘ ✃〰✎⅄🔔♑⬄×♦ 📖↑❑✍→❑✃☎ ✃〰☜⬂▤⮰✌♦⌚▣✿ ✍♑♊ 🔔•⌛⬀▣☡▤↗☠⬁﴾ للمؤمنين من نكاح محصناتهن مثل الذي أباح لهم من نساء المؤمنات"[2].

2- الآثار القدرية:

هذا عن الآثار الشرعية، وأما الآثار القدرية فمنها المعيشة الضنك، كما قال تعالى:﴿❒♦✍♦♊⇧ 📖❒↖⇧❷♦⋎♦ ♊♦↖ ➊♑▤⇩❷⨳❽ ▫•✉☡♌❒ ❸♦➔⬀→ ✃〰☜⬂☽⮰❿⌖♦⌚☺⌂❒♑ ✍♦➔❿♑⌖♦❒☪ ⬃✿✡▤☪🔔 ❒♦✝•♦⬂⌖→❷↖■←⌚ 📖❒↖⇧☺⌂❻▤ ⬀✎⬂⬅ ﴾[3].

ومعنى معيشة ضنكا:" عيشا ضيقا، يقال: منزل ضنك وعيش ضنك، مصدر يستوي فيه الواحد وما فوقه والمذكر والمؤنث "[4].

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 68/3.

[2] جامع البيان 377/2

[3] طه : 124.

[4] فتح القدير ج: 3 ص: 391

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قال ابن الجوزي:" وللمفسرين في المراد بهذه المعيشة خمسة أقوال:

- أحدها أنها عذاب القبر روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة** "[1]، وممن ذهب إلى أنه عذاب القبر ابن مسعود وأبو سعيد الخدري والسدي.
- والثاني: أنه ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه فيه رواه عطاء عن ابن عباس.
- والثالث: شدة عيشه في النار رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة وابن زيد، قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقوم.
- والرابع: أن المعيشة الضنك كسب الحرام، روى الضحاك عن ابن عباس قال: المعيشة الضنك أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها وله معيشة حرام يركض فيها، قال الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخبيث، وبه قال عكرمة.
- والخامس: أن المعيشة الضنك المال الذي لا يتقي الله صاحبه فيه، رواه العوفي عن ابن عباس "[2].

قال الثعالبي بعد أن ذكر الحديث المذكور في القول الأول:" فإن صح هذا الحديث فلا نظر لأحد معه، وإن لم يصح فالصواب حمل الآية على عمومها والله أعلم "[3]. أي أنه إن ثبتت صحة الحديث فالقول الأول هو الثابت، وإن لم يصح الحديث فلا معنى لتخصيص هذه المعيشة الضنك بشيء محدد؛ بل هي في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة.

---

[1] أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، مسند أبي يعلى 11/521-522، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1: 1404-1984، قال الهيثمي:" وفيه من لم أعرفه ".انظر مجمع الزوائد 7/67.

[2] زاد المسير 5/331-332.

[3] الجواهر الحسان 3/42.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن العجيب أن القولين الأخيرين يجعلان المعيشة الضنك شيئا هو في اعتقاد كثير من الناس سبب للنعيم؛ ذلك أن كثيرا من الناس يعتقد أن الكسب من أي طريق كان سبب لرغد العيش لا لضنكه، فكان هذا من اعتقاد الذين يؤمنون بالغيب خلافا لغيرهم بسبب اختلاف موازين الفريقين.

ولئن كان ضنك العيش مصيبا للكافرين في الحياة الدنيا فإن القرآن الكريم قد أخبر أن الله معذبهم في الحياة الدنيا ولهم بعد ذلك عذاب في الآخرة أشق، قال تعالى:﴿
℘☐▯❑◆⑩◘♦⬂💻✍✃ ❼⍉× ℘⚇✃☒⓿♦⬉ ⬀☠←●⌖▭
➲⚇✃☒⓿⍓➔⬩⍟◆❑ ☎ ✍◆⓿⬃☼❻⑨⍟✍✃
💣←●❍▭ ✍◆✌◆❑ ☎ ❻📪☒⅄❑📖 ℘☐◆❷⬁⌘☞⍓✍✃
﴾ ⬅▩℘⬀ ▯✠✃◆❑ ♊⍝✌ ★✏✍✃ ⌘♊⍝♓✌.[1]

فنصت الآية على أن لـــ " ... الذين كفروا ﴿⬉♦⓿☒✃⚇℘﴾: وهو الألم المستمر ... ﴿×⍉❼ ✃✍💻⬂♦◘⑩◆❑▯☐℘ ✃✍⍟⑨❻☼⬃⓿◆✍ ﴾:

شاق، ﴿❑◆⍟⬩➔⍓⓿☒✃⚇➲ ✃✍⍓☞⌘⬁❷◆☐℘

﴾: أي أشد في المشقة: وهي غلظ الأمر على النفس بما يكاد يصدع القلب، ﴿❑◆✌◆✍ ▭❍●←💣 ✌♓⍝♊⌘ ✃✍✏★﴾: أي الملك الأعظم ﴿✌⍝♊ ❑◆✃✠▯﴾: أي مانع يمنعهم إذا أراد بهم في الدنيا ولا في الآخرة ، والواقي فاعل الوقاية، وهي الحجر بما يدفع الأذية..."[2].

وعليه فقد وعد الذين كفروا العذاب في الآخرة وهو من مبادئ الاعتقاد التي يعلمها عموم الناس، ولكن الذي يغفل عنه الكثير –وأولهم الكفار-، هو أن الله عز وجل معذبهم في الحياة الدنيا عذابا شاقا، وهو " ... عذاب شاق في هذه الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر الآفات التي يصيبهم بها"[3].

ولعل من هذا العذاب ما ذكر الحق عز وجل في نفس السورة أنه مترل بهم من القوارع حتى يأتي أمره سبحانه بإهلاكهم وعدا صادقا منجزا غير مخلف، كما قال تعالى:﴿

---

[1] الرعد: 34.

[2] نظم الدرر 157/4.

[3] أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي 109/5، دار الفكر، د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

فنصت الآية على أن الذين كفروا لا زالت " ... تصيبهم بما فعلوا من كفرهم وسوء أعمالهم .. داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم، أو تحل القارعة قريبا منهم، فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شرارها* ويتعدى إليهم شرورها، حتى يأتي أمر الله وهو موتهم أو القيامة "[2].

فالقوارع التي تقرعهم هي ما يصيبهم من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم، وأصلها

".. من القرع، هو ضرب الشيء بشيء آخر بقوة، وجمعها: قوارع. والمراد بها: الرزية والمصيبة والكارثة ...

وأبهم سبحانه ما يصيب الكافرين من قوارع، لتهويله وبيان شدته.

والتعبير بقوله ﴿[illegible]﴾: يشير إلى أن ما أصابهم من قوارع كان موجودا قبل نزول هذه الآية، واستمرت إصابته لهم بعد نزولها، لأن الفعل ﴿[illegible]﴾ يدل على الإخبار باستمرار شيء واقع"[3].

فترول القوارع كان وظل مستمرا، وقد أبهمت القوارع تهويلا لها وإطلاقا لمدلولها الذي يصدق على صنوف كثيرة، ثم إنها تقرعهم هم أو تترل بقربهم فتفجعهم.

ولعل من ضنك العيش وعذاب الدنيا أيضا لزوم الذلة لهم، ويستفاد ذلك عموم بمفهوم المخالفة من قوله عز وجل:﴿[illegible]

---

[1] الرعد: 31.

* أي شررها تشبيها بالنار.

[2] الرازي، التفسير الكبير 43/19.

[3] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط 73/7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

➲◘✍♒⓿⅄➲♑♓✍✁ ◑⚐♋◘⬧▤⬂♑♓✍✁
←⊠♋◘◷⊙◷♑♓✍✁ ↖✍⊡☺⊡➔⬂♑♓✍✁◆❐
⌘♊③♎🔔⅄✎✍✁◆❐ 🗐 ◷←○↖➔⬩▫⬀❷◆③
⬀☠←●○▭ ♎☠✍◆★✍♒⑩○○♑♓✍✁ ◆♌❐↖❷↗▤⇳☺◆③
↖❷⬁▤◆✌◆❐ ☎ ✍⑨③♎⑨⊠⅄ ✍☸✁⊠⓿◆↖
[1]❀⬘⬂⬀⬁↓❻❐←🖮◆③ ◆❐➔♎ ⊡🖮✍⬦✵◷⬩♑♓🕯❐⬆🕮

فقد " بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من كان يريد العزة فإنها جميعها لله وحده، فليطلبها منه وليتسبب لنيلها بطاعته جل وعلا، فإن من أطاعه أعطاه العزة في الدنيا والآخرة، أما الذين يعبدون الأصنام لينالوا العزة بعبادتها، والذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يبتغون عندهم العزة، فإنهم في ضلال وعمي عن الحق، لأنهم يطلبون العزة من محل الذل "[2].

وعلى التفصيل فإن ذلك صريح قوله تعالى في اليهود:❀▤ ⇳💣◆✉♋❸➔♎◆❐
↗🕯⅄✎⬁✍⓿♑♓✍✁ ◑⚐♋♑⬂⑩■◘◆↘
❐↓↗✎✍◆✉◆❐ ➔❐◆☪⊠⌛⬄○⊡☺⬂♑♓✍✁◆❐
⊡🖮♎♑♓◷⬩❶ ▤ ★✎✍✁ ♋⬀♎♓✌ 🕯◘⬩✍◆⬄♋✉
♋♍❐↖❷➔▦⬁▤◆③ ☎✁❐←☼🔔⊠✉ ⬄⚐←♑✵☼❐🕯♋✉
♋♍❐➔◘←✌⬂☽◆③◆❐ ★✎✍✁ ♎💣◷◆③✍◆★♋✉
♋❸⬀❷◆⬄♋✉ ⌘♊◷✍♒⑩♋▭❐✡♑♓✍✁
☎✁❐✿◷◆↖ ✍❐▦♎▤ ⊡🖮♎♑♓◷⬩❶ ▤ ⬁♎✉⊡❍⬂♑♓✍✁
.[3]❀ ⬘♎⬂⬁ ♋♍❐←⑨◆☞⬀➔◆③ ☎✁❐←☼✍•🗎❐❐

" ومعنى ضرب الذلة والمسكنة إلزامهم بذلك والقضاء به عليهم قضاء مستمرا لا يفارقهم ولا ينفصل عنهم، مع دلالته على أن ذلك مشتمل عليهم اشتمال القباب على من فيها "[4].

" وأما الذلة فهي الفعلة من قول القائل: ذل فلان يذل ذلا وذلة، كالصغرة: من صغر الأمر، والقعدة: من قعد؛ والذلة: هي الصغار الذي أمر الله جل ثناؤه عباده المؤمنين أن لا

---

[1] فاطر: 10

[2] محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج6/ص415، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1417-1996.

[3] البقرة: 61.

[4] الشوكاني، فتح القدير 92/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يعطوهم أمانا على القرار على ما هم عليه من كفرهم به وبرسوله إلا أن يبذلوا الجزية عليه لهم، فقال جل وعز: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1] "[2].

وعلى هذا المعنى الذي ذكره ابن جرير فإن هذه الذلة أثر شرعي أمر الله سبحانه وتعالى بمعاملة اليهود به، وبه قال قتادة والحسن.[3]

" وأما المسكنة فإنها مصدر المسكين، يقال: ما فيهم أسكن من فلان، وما كان مسكينا، ولقد تمسكن مسكنة ... والمسكنة في هذا الموضع مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها ... فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه يبدلهم بالعز ذلا وبالنعمة بؤسا وبالرضا عنهم غضبا، جزاء منه لهم على كفرهم بآياته وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداء وظلما منهم بغير حق وعصيانهم له "[4].

فالمسكنة على هذا القول: الفقر والفاقة، ونسبه ابن الجوزي إلى أبي العالية والسدي وأبي عبيدة، وذكر عن السدي أنه جعله فقر النفس؛ بمعنى أن الواحد منهم قد يكون مالكا للمال الكثير ولكن فقره في نفسه، ثم ذكر قولا ثانيا عن الزجاج؛ وهو أن المسكنة الخضوع.[5]

قال الشوكاني:" وهذا الخبر الذي أخبرنا الله به هو معلوم في جميع الأزمنة؛ فإن اليهود -أقماهم الله-، أزل الفرق وأشدهم مسكنة وأكثرهم تصاغرا، لم ينتظم لهم جمع ولا

---

[1] التوبة: 29.

[2] ابن جرير، جامع البيان 315/1.

[3] انظر: ابن جرير، نفسه، وابن الجوزي، زاد المسير 90/1.

[4] ابن جرير، جامع البيان 315/1.

[5] انظر: زاد المسير 90/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

خفقت على رءوسهم راية ولا ثبتت لهم ولاية، بل ما زالوا عبيد العصا في كل زمن وطروقة كل فحل في كل عصر، ومن تمسك منهم بنصيب من المال وإن بلغ في الكثرة أي مبلغ فهو متظاهر بالفقر، مترد بأثواب المسكنة ليدفع عن نفسه أطماع الطامعين في ماله؛ إما بحق كتوفير ما عليه من الجزية، أو بباطل كما يفعله كثير من الظلمة من التجرئ على الله بظلم من لا يستطيع الدفع عن نفسه "[1].

هذا عن الآثار القدرية للكفر في الدنيا، وأما في الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى لا يغفر ذنوبهم، قال تعالى:﴿ ◑♋⚐□ ✂◌◌⚘ •• ③♦⇔⬂▦♑❷⬉ 🕮□♌ ◌◌♦✌ ❒♦③⇔⬂▦♑❷⬉ ◌☜◯♑🕗 ④←⌑⇧❸♦🖰☒ ⑩←❒♌♦ ❶•🕓◙♑🖮⬓ ◙♑☺⬓♊ ④⊕♦◌◌✎↗↓ 🗐 ▫•◑•⑨♑ ◌◌◌◌✎★ ④←⌑⇧❸♑🖰⬁ ❒♦✌♦♊ ⬀♑⊘⬇ ⬉♦→♑⑩☺🕒◌ ◑♑⚐⬂☺🕒◌ ✂◌⬂▫✋♦❸♦❽✂ ﴾[2].

فــ " .. أخبر تعالى أنه لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك: أي من الذنوب لمن يشاء: أي من عباده عاقبة الشرك بالله "[3].

وهذا مما وقع الإجماع عليه، قال القرطبي:" روي أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا: ﴿◑♋⚐□ ✂◌◌⚘ ③♦⇔⬂▦♑❷⬉ ✂◌◌✎⍝☼←❒⍟⌘ ♎•☝♑⓿→🕒◌ 🗐﴾[4]، فقال له رجل: يا رسول الله والشرك؟ فنزل:﴿ ◑♋⚐□ ✂◌◌⚘ •• ③♦⇔⬂▦♑❷⬉ 🕮□♌ ◌◌♦✌ ❒♦③⇔⬂▦♑❷⬉ ◌☜◯♑🕗 ④←⌑⇧❸♦🖰☒ ⑩←❒♌♦ ❶•🕓◙♑🖮⬓ ◙♑☺⬓♊ ④⊕♦◌◌✎↗↓ 🗐 ﴾[5]، وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة ... وفي الترمذي[6] عن علي بن أبي طالب قال: ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية:﴿ ◑♋⚐□ ✂◌◌⚘ •• ③♦⇔⬂▦♑❷⬉ 🕮□♌

---

[1] فتح القدير 92/1.

[2] النساء : 48.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 509/1

[4] الزمر: 53.

[5] أحمد، المسند 275/5 ح22416، قال الهيثمي:" وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف وحديثه حسن " مجمع الزوائد 100/7.

[6] سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء 247/5 ح3037.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✍♦✌ ⇖❷♑▦⬂⬄♦③♦❒ ⌚♑❍♐✉ ☒✎♦❸⇧⌑⬅④
⑩⬅❒♌♦ ❶•⌚♏♎♑⌨⬜ ♏♑☺⬜♊ ④◻⌖♦✍✍✐➚↓ ✎ ﴾ ، قال

هذا حديث حسن غريب "[1].

ومعنى كلامه –رضي الله عنه– أن هذه الآية من أرجى آيات الكتاب؛ لأنها تعد بالمغفرة على كل ذنب مات العبد غير تائب منه سوى الشرك. ويقوى ذلك ما روى الإمام أحمد عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا** "[2] .

وكما أن الله عز وجل لا يغفر لهم، فإن أعمالهم تحبط، قال تعالى:﴿

☎✂❒➔◘♑☺♦⇖ ✍♦✌ ✎❼■🖫♐☽ ✐✍♦☪⬂✌♑⑨•🔔♦❒
☯➚✐✍♦⌛⬜♎ ⬅❍⌚❒✡▫◘⬜➔⬜☓•▫ ♏✍⬜☺♦⇖ ⇧♊♑✌
✌⬜✡⌖➔❒❻⌚✂ ⇫⬥✖✖⇨✎﴾[3].

فأخبر عز وجل أنه ".. يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر ... لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي: إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل؛ فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذ "[4].

وأما الأعمال التي تجعل هباء منثورا فهي " أعمال الخير "[5]، و ﴿▫•☓⬜➔◘▫✡❒⌚❍⬅ ♎⬜⌛♦✍✐➚☯ ✌⬜✡⌖➔❒❻⌚✂ ﴾:

"فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان "[6].

قال ابن الجوزي:" وفي الهباء خمسة أقوال:

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 5 /245-246

[2] أحمد، المسند 99/4، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره جملة من الأحاديث تشهد لذلك، انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 509/1-513.

[3] الفرقان: 23.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 315/3.

[5] ابن الجوزي، زاد المسير 83/6.

[6] ابن جرير، جامع البيان 4/19.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- أحدها: أنه ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل من الكوة مثل الغبار، قاله علي عليه السلام والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة واللغويون، والمعنى: إن الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمترلة الهباء.
- والثاني: أنه الماء المهراق، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- والثالث: أنه ما تنسفه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس.
- والرابع: أنه الشرر الذي يطير من النار إذا أضرمت، فإذا وقع لم يكن شيئا رواه عطية عن ابن عباس.
- والخامس: أنه ما يسطع من حوافر الدواب قاله مقاتل.

والمنثور المتفرق "[1]. قال ابن كثير:" وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية؛ وذلك أهم عملوا أعمالا اعتقدوا أها على شيء، فلما عرضت على الملك الحكم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدا، إذا إها لا شيء بالكلية، وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية "[2].

وكما أن العلي القدير لا يغفر ذنوبهم، ويجعل أعمالهم هباء منثورا، فإن أرواحهم لا تدخل ملكوت السماوات، كما قال تعالى: [illegible] [3].

[1] زاد المسير 83/6.

[2] تفسير القرآن العظيم 315/3.

[3] الأعراف: 40.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومعنى:" ﴿ [illegible] ﴾: أي لأرواحهم... وقيل: لا تفتح لهم أبواب السماء إذا دعوا قاله مجاهد والنخعي، وقيل: المعنى لا تفتح لهم أبواب الجنة لأن الجنة في السماء ودل على ذلك قوله: ﴿ [illegible] والجمل لا يلج فلا يدخلونها البتة"[1].

فعدم تفتيح أبواب السماء لهم يحتمل عدم تفتيحها لأرواحهم، أو لدعائهم، أو عدم تفتيح أبواب الجنة لهم لأنها في السماء، ويبدو أن المفسرين يميلون إلى ترجيح أنها لا تفتح لأرواحهم لأنه قد أسنده خبر صحيح؛ قال القرطبي بعد أن ذكر القول الأول:" جاءت بذلك أخبار صحاح ... منها حديث البراء بن عازب وفيه قبض روح الكافر، قال:" **ويخرج منها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم:** ﴿ [illegible] ﴾ الآية[2] "[3].

وجزم بذلك الشوكاني أيضا قال:"والمعنى أنها لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، وقد دل على هذا المعنى وأنه المراد من الآية ما جاء في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة إذا انتهوا بروح الكافر إلى السماء الدنيا يستفتحون فلا تفتح لهم أبواب السماء "[4].

ثم يختار أنه إن كان ذلك هو المراد فإنه لا ينفي المعاني الأخرى، قال:" ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح والدعاء والأعمال، ولا ينافيه ورود ما ورد من أنها لا تفتح

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 206/7.

[2] أخرجه بهذا اللفظ: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان 94/1 ح107.

[3] القرطبي، السابق.

[4] فتح القدير 205/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أبواب السماء لواحد من هذه؛ فإن ذلك لا يدل على فتحها لغيره مما يدخل تحت عموم الآية "[1].

وقد دلت الآية أيضا على أنهم لا يدخلون الجنة:﴿[illegible]﴾.

فـــ" ... هؤلاء الكفار المكذبين المستكبرين لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال، ولهذا علقه بالمستحيل فقال:﴿[illegible]﴾ وهو لا يلج أبدا، وخص الجمل بالذكر لكونه يضرب به المثل في كبر الذات، وخص سم الخياط وهو ثقب الإبرة بالذكر لكونه غاية في الضيق ... مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين "[2].

وكونهم لا يدخلون الجنة يجعلهم من المخلدين في النار، قال تعالى:﴿[illegible]﴾[3].

فنصت الآية على أن لأهل الشقاوة نار جهنم لهم فيها زفير وشهيق؛ و في الزفير والشهيق " ثلاثة أقوال:

- أحدها: أن الزفير كزفير الحمار في الصدر وهو أول ما ينهق، والشهيق كشهيق الحمار في الحلق وهو آخر ما يفرغ من نهيقه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك ومقاتل والفراء، وقال الزجاج: الزفير شديد

---

[1] نفسه.

[2] الشوكاني، فتح القدير 205/2.

[3] هود: 106-109.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الأنين وقبيحه والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا وهما من أصوات المكروبين، وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمترلة ابتداء صوت الحمار في النهيق والشهيق بمترلة آخر صوته في النهيق.

- والثاني: أن الزفير في الحلق والشهيق في الصدور، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية والربيع بن أنس، وفي رواية أخرى عن ابن عباس الزفير: الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف، وقال ابن فارس: الشهيق ضد الزفير لأن الشهيق رد النفس والزفير إخراج النفس، وقال غيره الزفير الشديد مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته والشهيق النفس الطويل الممتد مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل.
- والثالث أن الزفير زفير الحمار والشهيق شهيق البغال قاله ابن السائب "[1].

وقد جاء في الآية أنهم إذا دخلوا النار خلدوا فيها ﴿✌⬥⑩⊠✂✌⬥✲♣ ✂♒◯◯☺⬥◔◻⬥◷✞⮉ ◻⬥✂♏✌⚘☞❻⬀⮛⓿﴾، قال القرطبي:"واختلف في تأويل هذا فقالت طائفة منهم الضحاك: المعنى مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما، والسماء كل ما علاك فأظلك والأرض ما استقر عليه قدمك، وفي التنزيل: ﴿◻⬥🕮◻◻⬀❻⬥⚐◻☪⬥♐ ✂♐✌⚘☞❻⬀⮛⬥ ✡⬥☺◻⌨⬧◻▪🕮⬆ ✌♑⬀♒ ✂♐♒⬀⬀☪◻◻♑ ◯⊠⑩⬂☸⬅ ⬥■⌖⬥♐✎⬈⬇ ☎﴾[2]، وقيل: أراد به السماء والأرض المعهودتين في الدنيا وأجرى ذلك على عادة العرب في الإخبار عن دوام الشيء وتأبيده كقولهم: لا آتيك ماجن ليل أو سال سيل وما اختلف الليل والنهار وما ناح الحمام وما دامت السموات والأرض ونحو هذا مما يريدون به طولا من غير نهاية، فأفهمهم الله تخليد الكفرة بذلك وإن كان قد أخبر بزوال السموات والأرض، وعن ابن عباس أن جميع الأشياء المخلوقة أصلها

---

[1] ابن الجوزي، زاد المسير 4/158-159.

[2] الزمر: 74.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

من نور العرش، وأن السموات والأرض في الآخرة تردان إلى النور الذي أخذتا منه فهما دائمتان أبدا في نور العرش "[1].

فذكر القرطبي في معنى تعليق دوام عذابهم على دوام السماوات والأرض أقوالا ثلاثة: القول الأول والأخير يجعله معلقا على الدوام الحقيقي للسماوات والأرض بأن تكونا سماوات وأرض الجنة أو سماوات وأرض الدنيا وقد عادتا لنور العرش، وأما القول الثاني فيخرج المسألة تخريجا لغويا على وفق ما ألفته العرب من تعليق الشيء المستحيل على غاية لا مفهوم لها. وأما المعنى المتبادر وهو زوال عذابهم بزوال السماوات والأرض -أي سماوات الدنيا وأرضها- فلم يقل به أحد.

ثم إن الآية استثنت:﴿◑☜⧫•• ✌⧫🙰 ⅄☒🙰🖉↗⧫ ❻⧫☞⑩🖮⏄ 🗐 ◑☜♌□ ❻⧫☞✸🖮⏄﴾. قال ابن الجوزي:" في الاستثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال:

- أحدها: أن الاستثناء في حق الموحدين الذين يخرجون بالشفاعة قاله ابن عباس والضحاك.
- والثاني أنه استثناء لا يفعله، تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك على ضربه ذكره الفراء وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس: ... فقد شاء أن يخلدوا فيها، قال الزجاج: وفائدة هذا أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم ولكنه أعلمنا أنهم خالدون أبدا.
- والثالث: أن المعنى خالدين فيها أبدا غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم ثم يجدد خلقهم فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال قاله ابن مسعود.
- والرابع: أن إلا بمعنى سوى تقول لو كان معنا رجل إلا زيد أي سوى زيد فالمعنى خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة وهذا اختيار الفراء، قال ابن قتيبة: ومثله في الكلام أن

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 99/9.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تقول لأسكننك في هذه الدار حولا إلا ما شئت تريدك سوى ما شئت أن أزيدك.

- والخامس أنهم إذا حشروا وبعثوا فهم في شروط القيامة فالاستثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب؛ فالمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة، ذكره الزجاج. وقال ابن كيسان الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب. قال ابن قتيبة: فالمعنى خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل وإن كانتا قد تتغيران واستثنى المشيئة من دوامهما لأن أهل الجنة والنار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا لا في الجنة ولا في النار.
- والسادس: أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيرا وشهيقا إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تذكر وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر ولهم مما يذكر ما شاء ربك ذكره الزجاج أيضا.
- والسابع: أن إلا بمعنى كما ومنه قوله:﴿ ❒◆⧫ ✍⬧☪▤⬀⬧⬅❑✂☎ ✋♦✍ ⧫⬀↗✎⧫❒⬀⧫☼⧫⬧◆♦✌ ☠→⬀✋✌⬀⬥ ⬀⧫✌✍⧫→⬀✌♂✋ ⬀✌⧫♦✌ ⬧⬀⬧☽ ⬀✌↗✎⬀✿⬀⬀✡⬀⬀✂ ⬀⑨⬧⬀ ⬀❒⬛⬀⬀✂⬀ ▤ ﴾[1]، [2].

والحاصل أن للكافرين نار جهنم خالدين فيها أبدا كما وقع في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

وخلاصة القول في هذا المبحث أن للكفر آثارا شرعية منها حبوط العمل، ومنها الحكم بنجاسة الكافر ومنعه من قربان المسجد الحرام أو سائر المساجد على التفصيل المذكور آنفا، ومنها ترك توليهم ونصرتهم والاستنصار بهم، ومنها تحريم طعامهم وذبائحهم

---

[1] النساء: 22.

[2] ابن الجوزي، زاد المسير 4/160-161.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويستثنى من ذلك طعام أهل الكتاب، ومنها تحريم الزواج منهم ويستثنى أيضا الزواج من نساء أهل الكتاب، وأما الآثار القدرية فمنها أن لهم في الحياة الدنيا معيشة ضنكا، ولهم فيها عذاب شاق، وتضرب عليهم فيها الذلة، وأما في الآخرة فإن الله عز وجل لا يغفر لهم، ولا تفتح أبواب السماء لأرواحهم، ولا يدخلون الجنة، ويخلدون في النار.

الباب الثاني:

أثر العقيدة على المجتمع من خلال القرآن الكريم

تناولنا في الباب الأول أثر العقيدة على الفرد، أي باعتبارها شيئا فرديا، ونتناول في هذا الباب أثر العقيدة لا باعتبارها مسألة فردية، ولكن باعتبارها رابطا يربط عموم أفراد المجتمع ويصبغهم جميعا بصبغة واحدة، ويسمهم بوسام واحد. وعليه فإننا لا ننظر إلى العقيدة في هذا الباب على أنها سلوك فردي، ولكن ننظر إليها على أنها شعار لأمة من الأمم يغلب على القدر الأكبر من أفرادها، ولا يضر تخلف الجزء الأصغر من الأفراد عنه، إذ الحكم في ذلك للغالب لا للشاذ.

وكل أمة من الأمم تحكم أفرادها علاقات وروابط، وتنطبع حياة عموم أفرادها من جهة رغد العيش أو عدمه بانطباع واحد، وتتبوأ مكانة عالية أو نازلة بين الأمم.

وعليه نتناول تفاصيل هذا الباب في فصول ثلاثة:

- **الفصل الأول**: أثر العقيدة على مستوى الروابط داخل المجتمع

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- **الفصل الثاني**: أثر العقيدة على أمن الأمة وعيشها

- **الفصل الثالث**: أثر العقيدة في تحقق النصرة والتمكين

الفصل الأول:

أثر العقيدة على مستوى الروابط داخل المجتمع

لا بد لكل أمة من الأمم من مجموعة من الروابط التي تربط بين أفرادها وتحفظ تجانس مكوناتها، وقوة كل أمة تحصل من قوة هذه الروابط وتماسكها؛ فكلما كانت تلك الروابط شديدة كانت الأمة قوية متماسكة، وكلما ضعفت تلك الروابط وأصابها الوهن انعكس ذلك على الأمة ضعفا ووهنا.

ونحاول في هذا الفصل أن ننظر في تأثر الروابط داخل المجتمع بكون العقيدة صحيحة أو فاسدة، وفقا لما نص عليه القرآن الكريم، فيتفرع هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على مستوى الروابط داخل المجتمع.

المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على مستوى الروابط داخل المجتمع.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الأول:

أثر العقيدة الصحيحة على مستوى الروابط

داخل المجتمع

إن الجماعات والتجمعات البشرية تنبني على ائتلاف معين، يجتمع فيه الأفراد حول قدر مشترك من الأفكار والمبادئ والأهداف. وقد كانت التجمعات البشرية قبل الرسالة الخاتمة قائمة على مبدأ القومية والعرق، فكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ليصلح انحرافات هذا التجمع القومي بالعقيدة الربانية والوحي الإلهي، كما قال تعالى:﴿❒◆

✍✌❑←♌▪❻ ♊♎♘ ✍◆☪▫⬛⍓♌⬀❻❒🕮 ✍◆♘
🕗♎❍♎♘⬀❑⬧🔔 ⇗♌✍✿❍♐⬛♐✉ ⬩⬥♐✆
❻✍⇖♏⇖⑩⬧▫ ☎ ⬀☠←●❍▭ ⚘▫♐♓✓◆⌨⇖⑩♎☏
↓↗✎✍◆⌖❑④ ♊◆♘ ✦✎✍✂
🗐 ↓↗✎✍◆⌖❑④ ♊◆♘ ❽♎⑨⇳♑◆③◆❒
↓❽③♐❽⍓➔⬂☏✍✂ ◆❑➔♎◆❒

[illegible]﴾[1]. حتى إذا ختمت الرسالة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعل نبيا للناس أجمعين:﴿[illegible]﴾[2]. وقد نشأت مع الرسالة الخاتمة الأمة القائمة على العقيدة بدلا من القومية والعرق... وفي الحديث:" وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس عامة"([3]).

وعليه، فما هو أثر العقيدة الصحيحة على الروابط داخل المجتمع؟

إذا تأملنا نصوص القرآن الكريم، وجدنا أنها جعلت المؤمنين جميعا على اختلاف أوطانهم وعصورهم وأجناسهم وألوانهم أمة واحدة. قال تعالى:﴿[illegible]﴾[4].

---

[1] إبراهيم: 4.

[2] الأعراف: 158

[3] البخاري، كتاب التيمم، باب قول الله تعالى:﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ 128/1، ح328، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة 370/1، ح521.

[4] الأنبياء : 92.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فنصت الآية على أن جميع المؤمنين هم أمة واحدة، ومعنى الأمة " القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدي بعضهم ببعض، وهو مأخوذ من الائتمام "([1]).

ومفهوم الآية –كما قال البيضاوي-:" .. إن ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها، فكونوا عليها أمة واحدة غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع"([2]).

فهو ينص في قوله هذا على أمرين:

1- أن الأمة الواحدة هي الأمة المجتمعة على الملة الواحدة وهي ملة الإسلام.

2- أن الآية تأمر المؤمنين بأن يجتمعوا على هذه الملة.

وعلى قول البيضاوي هذا فإن كون المخاطبين بالآية أمة واحدة يعني اجتماعهم على ملة واحدة، وذلك أمر مفترض مطلوب التحصيل على مستوى الأسباب، أو كما قال:" إن ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها أمة واحدة ...".

وأما القرطبي فقد نظر إلى المسألة من زاوية أخرى، وهي زاوية النتيجة والأثر؛ بمعنى أن المخاطبين إذا كانوا على ملة التوحيد صاروا أمة واحدة. قال:"أي هذه أمتكم ما دامت أمة واحدة واجتمعتم على التوحيد، فإذا تفرقتم وخالفتم فليس من خالف الحق من جملة أهل الدين الحق، وهو كما تقول: فلان صديقي عفيفا فإذا خالف العفة لم يكن صديقي ..."([3]).

فقد نص على أن علامة كون فئة ما من المنتسبين إلى الإيمان على ملة التوحيد حقا كونهم أمة واحدة، والقرطبي هنا يصرح بأن ملة التوحيد تجعل أهلها على اختلاف أوطانهم وألسنتهم وألوانهم أمة واحدة بصورة شبه آلية، وأن الأمة هي أمة التوحيد ما دامت أمة واحدة، فإذا تفرقت فإن خللا ما قد أصابها.

---

[1] الرازي، التفسير الكبير 11/6.

[2] تفسير البيضاوي ج: 4 ص: 106

[3] تفسير القرطبي ج: 11 ص: 339

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هذا وقد قلنا إن الآية تجعل المؤمنين جميعا على اختلاف عصورهم وأوطانهم أمة واحدة، مع أن الآية لا تنص على ذلك نصا صريحا لما يأتي بيانه. ولكن قبل ذلك يجب أن نلاحظ أن الآية قد تكررت بحرفها تقريبا في موضع غير بعيد من هذا الموضع، وهو قوله تعالى في سورة "المؤمنون": [illegible].[1]

فإننا نرى تطابقا شبه كامل بين الآيتين في السورتين، وأكثر من ذلك، فإن الآية في السورتين تأتي بعد حديث السورة عن طائفة كبيرة من الأنبياء([2])، ثم يعقب ذلك تصريحها بجعل جميع المتبعين لملتهم أمة واحدة، قال القرطبي:"لما ذكر الأنبياء قال: هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد، فالأمة هنا بمعنى الدين الذي هو الإسلام، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما، فأما المشركون فقد خالفوا الكل ..."[3]. ومنه فإن الأمة الواحدة يندرج ضمنها جميع الأنبياء وأتباعهم، ويفترق عنها المشركون.

ولذلك قلنا إن أمة الإيمان أمة ترتبط برباط الدين لا برباط العرق والرقعة، ويترتب على ذلك أن تاريخ المؤمن هو تاريخ المؤمنين ولو كانوا من غير قومه، وأن جنسيته من عقيدته لا من الرقعة التي ولد فيها، ولعل ذلك ما يشير إليه قوله تعالى: [illegible]

---

[1] المؤمنون: 52.

[2] في سورة الأنبياء: موسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوط ونوح وداود وسليمان وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ويونس وزكرياء ويحيى وعيسى وأمه مريم، وفي سورة المؤمنون: نوح وصالح ومن بعدهما بسورة مجملة ثم موسى وعيسى وأمه مريم.

[3] الجامع لأحكام القرآن 339/11.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible][1]، بمعنى أن الذين يرتبطون بإبراهيم عليه السلام برابطة الدين أقرب إليه وأولى به من الذين يرتبطون به برابطة النسب، ومثل ذلك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود لما أخبروه أنهم يصومون يوم عاشوراء لأنه اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من فرعون، فقال:" أنا أولى بموسى وأحق بصيامه منكم "([2])، وهو صريح في أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر أنه أولى بموسى من الذين يرتبطون به برابطة النسب، لارتباطه معه برابطة الملة الواحدة من دونهم.

إذا أخبر القرآن الكريم أن العقيدة الصحيحة تنتج أمة واحدة، ونجد في آية أخرى الإشارة إلى ما هو أكبر من ذلك، وهو ائتلاف وارتباط قلوب أهل عقيدة الإيمان، قال تعالى: [illegible]

---

[1] آل عمران : 68.

[2] أخرجه بهذا اللفظ: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي في صحيحه 389/8، ح3625، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1413-1993، باب ذكر الأمر بصيام يوم عاشوراء إذ الله جل وعلا نجى فيه كليمه صلى الله عليه وسلم واهلك من ضاده وعاداه عن ابن عباس قال:" قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد زمر يصومون يوم عاشوراء فقال لهم: ما هذا؟ قالوا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون فصامه موسى شكرا لله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أولى بموسى وأحق بصيامه منكم، فصامه وأمر بصيامه ". وهو في صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى " وكلم الله موسى تكليما " 1244/3، عن ابن عباس رضي الله عنهما:" أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوما يعني عاشوراء فقالوا هذا يوم عظيم وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون فصام موسى شكرا لله فقال أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه ".

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✂☜✍⅄ 📖❒◙ꝺ⅄✂⊠ 🖃⬫❹✐☪⬥♒⬊☠⬀ 🗐
❩⌘✪☼✻❍🡐⓵ ⬉⬥❿♐③❽➘ ❍⊠▤⬂❿⚐♒
⬀⊠♒⬂ ❁.[1]

فقد نصت الآية في سياق تذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنة الله عليه وتأييده له بنصره وبالمؤمنين على أن الله سبحانه قد ألف بين قلوب هؤلاء المؤمنين، وأن هذا التأليف لن يستطيعه بشر ولو أنفق ما في الأرض جميعا. قال سيد قطب تعليقا على الآية:" ثم أمنه من خداعهم ، إن هم أرادوا خيانته ، وبيتوا الغدر من وراء الجنوح إلى السلم . وقال له: إن الله حسبه وكافيه وحافظه ؛ وهو الذي أيده بنصره – في بدر – وأيده بالمؤمنين وجمع قلوبهم على الود والإخاء في الإسلام؛ وكانت عصية على التآلف، لا يملك تأليفها إلا الله القدير الحكيم "([2]).

أي أن التأييد بالمؤمنين والتأليف بين قلوبهم ذكر في الآية شاهدا لعناية الله بنبيه صلى الله عليه وسلم وحفظه له مما قد يمكر المشركون، فالمعنى إن حسبك الله وهو كافيك –إن بيتوا خداعا ومكرا– كما أيدك بنصره من قبل وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم...

وهؤلاء الذين أيد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهم وألف بين قلوبهم كانوا أعداء متباغضين في الجاهلية([3])، فأخرجت منهم عقيدة التوحيد قوما يحب بعضهم بعضا في الله بمعجزة إلهية، "ولقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا الله ، والتي لا تصنعها إلا هذه العقيدة ؛ فاستحالت هذه القلوب النافرة، وهذه الطباع الشموس، إلى هذه الكتلة المتراصة المتآخية الذلول بعضها لبعض، المحب بعضها لبعض، المتآلف بعضها مع بعض، بهذا المستوى الذي لم يعرفه التاريخ؛ والذي تتمثل فيه حياة الجنة وسمتها البارزة – أو يمهد لحياة الجنة وسمتها البارزة -: ❁❒⬥☼⬥❽⬥⬉⇳✡❒♐ ♐⬥✋

[1] الأنفال: 62-63.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن 1548/10، دار الشروق، القاهرة، ط16: 1410-1990.

[3] " قال النعمان بن بشير: نزلت في الأنصار [يعني آية سورة الأنفال السالفة]، ﴿وألف بين قلوبهم﴾: أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج، وكان تألف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حين يستقيدها، وكانوا أشد خلق الله حمية، فألف الله بالإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين " تفسير القرطبي 42/8.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] "[1] ([2]).

إن صاحب الظلال هنا يتحدث عن معجزة حدثت؛ هذه المعجزة لو تمثلت في ارتباط وتآلف قلوب قوم لا يجمعهم شيء بمثل الارتباط الذي جمع قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لشكل في حد ذاته شيئا عجيبا، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد فقط، بل تمثل هذا الترابط وهذه الألفة في قوم كان بعضهم لبعض عدوا، وكان قلب أحدهم يمتلئ حقدا على الآخر، فإذا هم قوم متحابون متآلفون مجتمعة قلوبهم ثم سيوفهم حول رسول الله صلى الله عليه وسلم تنصره وتشد أزره وتدفع عنه، ولو أن أموال الأرض وكنوزها اجتمعت له –عليه الصلاة والسلام– جميعا فأنفقها ليصل إلى تأليف هذه القلوب على هذا النحو ما بلغ ذلك ولا اسطاع أن يدركه [illegible]...

ولكن هل يقتصر هذا التأليف على قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط أم يتعداهم لغيرهم من المؤمنين؟

إننا حين نتأمل الآية السابقة نلحظ معنيين: أحدهما: يشير إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المذكور في قوله تعالى: [illegible]، فإن المؤمنين الذين أيد بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أصحابه، والثاني: تعبير الآية عن هؤلاء

---

[1] الحجر: 47.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن 1548/10

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الصحابة –رضوان الله عليهم– بلفظ مبهم وهو لفظ ﴿المؤمنين﴾ الذي يشعر بدخول غيرهم فيه كما تقرر في كتب علوم القرآن([1])، وهذا المعنى الثاني يوسع دائرة الداخلين تحت هذا الوصف، ويلقي في نفس السامع أن هذا الأمر ليس حكرا على فئة واحدة من الناس ولكنه يعم كل من خالطت تلك العقيدة قلبه، وذلك ما نقله ابن كثير صريحا عن ابن عباس وابن مسعود وسلمان ومجاهد وغيرهم، قال:" ... عن ابن عباس قال: قرابة الرحم تقطع ومنة النعمة تكفر و لم ير مثل تقارب القلوب، يقول الله تعالى:﴿ ⌂◉♦❑⇗ 🕮❑☼▥☒☽⇘☀❁ ⸙✂ ... ❍⇘⇐ ﴾، وذلك موجود في الشعر:

إذا بت ذو قربى إليك بزلـــة   فغشك واستغنى فليس بذي رحـم

ولكن ذا القربى الذي إن دعوتـه   أجاب ومن يرمي العدو الذي ترمي

قال: ومن ذلك قول القائل:

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهـم   وبلوت ما وصلوا من الأسبـــاب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعـــا   وإذا الموت أقرب لأسبـــــاب"([2]).

وعن ابن عباس أيضا:" إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ:﴿ ⌂◉♦❑⇗ 🕮❑☼▥☒☽⇘☀❁ ... ❍⇘⇐ ﴾"([3]).

([1]) انظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن 201/1-210، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1408-1988، وجلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 184/2-189، دار المعرفة، بيروت، د ت ط.

([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 324/2، وانظر: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان 495/6، ح9034 ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1: 1410.

([3]) تفسير ابن كثير 325/2، وانظر: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف 171/11 ح20233 . وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء 330/2، ح2328، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411-1990.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فابن عباس –رضي الله عنهما- يستشهد بالآية على أن تأليف الله جل وعلا بين القلوب أعظم من رابطة الرحم، ومن محبة المحسن، وليس في كلامه إشارة إلى اقتصارها على أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وحدهم، بل إن تأييده لمعناها بأبيات من الشعر حوت هذا المعنى مشعر بعمومها.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مبينا لمعنى:﴿ ◎♑♦❑⬀
📖❑☼▦☒☽⬂💣✿ ✋♦ ✗♑❼ ✂ ❀☞❻⬀⮛⮎
✿💣⬂▦⅄♑❑📖 ✎ ❑✋ ✡➔⑩♑♦♎
📪♦✓⬀▫🙞 🔔➔💾➔❑📪♑♑♑⚐⬄ ﴾ الآية، قال:" هم المتحابون في الله، وفي رواية: نزلت في المتحابين في الله "[1].

وظاهر كلام ابن مسعود –رضي الله عنه- عمومها لجميع المتحابين في الله، من غير تخصيص لها بأصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام-.

ثم ساق ابن كثير في سياق تفسيره للآية أقوالا لا يظهر ارتباطها بالآية إلا بعد تأمل، قال:" عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما ... [و] عن عمير بن إسحاق قال: كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس الألفة ... [و] عن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:" إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحار"[2]"[3].

والمتأمل في هذه النصوص يلاحظ أن جميعها روايات في فضل الألفة وما يؤدي إليها، وسوق المفسر لها تحت الآية التي تمن على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بتأييده بالمؤمنين من أصحابه والتأليف بين قلوبهم من باب الترغيب في طلب هذا الفضل والسعي

---

[1] ابن كثير، السابق، انظر: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة الأنفال 352/6 ح11210، د. عبد الغفار سليمان البنداري-سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411-1991. والحاكم في مستدركه كتاب التفسير، 359/2، ح3268 وقال صحيح .

[2] انظر: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، 256/6، ح6150 ـــ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2: 1404-1983.

[3] تفسير ابن كثير 2/-325.324

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لتحصيله، ولا يكون ذلك إلا والآية عامة لجميع أهل الإيمان غير مقصورة على الصحابة فقط، أو لم يكن للترغيب في تحصيل هذا الفضل معنى، فتكون هذه النصوص المنقولة عن أكابر أهل التفسير وأهل الدراية بمعاني القرآن الكريم قد نصت صراحة على أن الآية عامة في كل من ألفت هذه العقيدة بين قلوبهم من أهل الإيمان في كل زمان ومكان، وذلك ما يتجلى صريحا في كلام صاحب الظلال الذي يقول:" إن هذه العقيدة عجيبة فعلاً . إنها حين تخالط القلوب ، تستحيل إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب ، التي تلين جاسيها ، وترقق حواشيها ، وتندي جفافها ، وتربط بينها برباط وثيق عميق رفيق . فإذا نظرة العين ، ولمسة اليد ، ونطق الجارحة ، وخفقة القلب ، ترانيم من التعارف والتعاطف ، والولاء والتناصر ، والسماحة والهوادة ، لا يعرف سرها إلا من ألف بين هذه القلوب؛ ولا تعرف مذاقها إلا هذه القلوب !

وهذه العقيدة تهتف للبشرية بنداء الحب في الله ؛ وتوقع على أوتارها ألحان الخلوص له والالتقاء عليه "([1]) .

إذا فالحكم للعقيدة نفسها بغض النظر عن الأشخاص؛ فهي التي " حين تخالط القلوب ، تستحيل إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب ، التي تلين جاسيها ، وترقق حواشيها ، وتندي جفافها ، وتربط بينها برباط وثيق عميق رفيق ".

وعليه، فإن العقيدة الصحيحة تصنع أمة واحدة ممتدة زمانا لتربط صاحبها بالأنبياء والمؤمنين في كل زمان، وممتدة مكانا لتربط حاملها بالمؤمنين من كل جنس ولون وعلى أي رقعة من الأرض ومكان، كما أنها تنشئ رابطة من المودة والمحبة والألفة بين أهلها لا يستطيع أن ينشئها من أنفق ما في الأرض جميعا. وإننا نجد في آية أخرى اعتبار هذه الألفة نعمة من النعم التي يجب ذكرها وشكرها إلى جانب نعمة الإيمان والإنجاء من النار، قال تعالى: [illegible]

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن 1548/10.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

.[1]

فنصت الآية على ما يأتي:

1- وجوب تقوى الله حق تقاته، وحق تقاته: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.([2])

2- الإقامة على الإسلام واستدامته إلى أن يدرك الموت صاحبه عليه.([3])

---

[1] آل عمران: 102-103.

([2]) قاله ابن مسعود –رضي الله عنه–، انظر: - أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي شيبة الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة 106/7، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الرشد، الرياض، ط1: 1409، والطبراني، المعجم الكبير 92/9، والحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران 323/2، ح3159، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

وقد وقع التخفيف في قوله تعالى:"فاتقوا الله ما استطعتم" التغابن، " عن ابن عباس قال: حق تقاته أن يطاع فلا يعصى فلن تستطيعوا فأنزل الله بعد ذلك ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ " فتح القدير ج: 1 ص: 368

[3] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 325/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

3- وجوب الاعتصام بحبل الله –وحبل الله هو القرآن([1])-، وقد أمرت الآية بأن يقع هذا الاعتصام على هيئة الاجتماع وليس بصورة منفردة
❁❐◆✂︎♐︎♏︎⬉⇳☝︎◆🕐︎♻︎☺︎🡐❑✂︎☎︎
🗎︎🕐︎◆◘🖮︎⬀🖎︎⬂︎ ✂︎♐︎✏︎★
♉︎⬚☺︎⚠︎⓿➔✡︎♐︎•❁.

4- ترك التفرق ومجانبته والابتعاد عنه ❁❐◆⬥
🖎︎⬥▦⊠❷▪︎🔔︎➔❑✂︎☎︎❁.

5- وجوب ذكر نعمة الله على المؤمنين بتأليفه بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء، وإنجائهم من النار بعد أن كانوا على شفا حفرة منها، " .. أخرج ابن إسحاق قال كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة حتى قام الإسلام فأطفأ الله ذلك وألف بينهم و ... عن السدي في قوله
❁❐◆📬︎⬈☪︎🡓⬈☹︎⬃ ⬉◆🖎︎■❼🗐︎
⅄⊠▦⊠♐︎ ○⬉▦⬂︎❷◆❑▭ ✌︎♓︎♉︎♊︎⌘
✂︎♐︎◉♑︎☪︎❑♐︎❻♑︎❁ يقول: كنتم على طرف النار من مات منكم وقع في النار فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واستنقذكم به من تلك الحفرة "([2]).

والآية تعد هذا التأليف نعمة يجب ذكرها وشكر الله عليها، قال البيضاوي في بيان معناها:"❁❐◆✂︎♐︎❶⬂︎📬︎⬈❷⬉❐✂︎☎︎
☼♉︎➔⬃☺︎⚠︎💣︎✿ ✂︎♐︎✏︎★ ⬊◆💾︎■⓿⬂︎🗏︎⬈☠︎⬀ ❁

التي من جملتها الهداية والتوفيق للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال الغل ❁♋︎♑︎❶⬂︎ 📬︎⬈☪︎🡓⬈☹︎⬃ 🕮︎❐⬉⇳⑨⚠︎✂︎✏︎⬈☯︎❁

---

[1] انظر: الشوكاني، فتح القدير 368/1.

[2] نفسه.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

في الجاهلية متقاتلين ﴿▫♦🕯❐◙♌⅄✂⊠ 📪♦✓⬁✖♦ 🔔➔🖬➔❑📪♐▤➚☠⬀﴾ بالإسلام"[1].

وأما سورة الحجرات فقد عبرت عن هذه الرابطة التي تنشئها عقيدة الإيمان بوصف الأخوة، قال تعالى: ﴿♋♐☼✵☺⊠♏ ✂♏◙♌⬂☺⇦♦⬃✌♐☪♏☈❑♌♦ ♋♐⌘⬃❑♦❑⋖ ▫♦🕯❐◷⇳🖬♐♦⇦❑✂☎ 📪♦✓⬁✖♦ 🕮❐⌘⊠❑♦③⬃▤➚📪⬀ 🗐 ❐♦✂♏♏✍☐♋➔❑✂☎ ✂♏✎⅄ ♍➔♦♌✦▤➚📪⬃ ✍➔❷⬀❑☒☟➔❑♌♦ ⬄⬂⬃⬁﴾[2]

فكأن الآية اختصرت ما ذكر من قبل من وصف الأمة الواحدة الممتدة زمانا ومكانا المترابطة قلوب أفرادها برابطة المودة والألفة في ما يشبه الأسرة الواحدة، قال البقاعي:" ﴿♋♐☼✵☺⊠♏ ✂♏◙♌⬂☺⇦♦⬃✌♐☪♏☈❑♌♦﴾ كلهم وإن تباعدت أنسابهم وأغراضهم وبلادهم، ﴿♋♐⌘⬃❑♦❑﴾ لانتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان، لا بعد بينهم ولا يفضل أحد منهم على أحد بجهة غير جهة الإيمان "([3]).

فالبقاعي هنا يشير إلى أن رابطة الإيمان قد اصطبغت بما يشبه رابطة النسب، فصار المؤمنون ينتسبون " إلى أصل واحد وهو الإيمان " كما ينتسب الإخوة إلى أصل نسبي واحد.

على أن سورة الحجرات أضافت أمرا آخر إذ اعتبرت هذه الرابطة الأخوية المتفرعة من الإيمان غرسا تجب رعايته وسقايته حتى لا يذبل ويأفل، ولذلك فرعت على هذه الأخوة وجوب الإصلاح بين من وقع بينهم نزاع وخصام من أهل الإيمان ﴿♋♐☼✵☺⊠♏ ✂♏◙♌⬂☺⇦♦⬃✌♐☪♏☈❑♌♦

[1] أنوار التنزيل 74/2.
[2] الحجرات : 10.
[3] البقاعي، نظم الدرر 230/7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

☎✂❑←⬧⧅⬛⇳🕒❒🕯⬧▫ ⮜❑◆❑⬃⌘⧅☽
🗐 ⬀📭⬈🗏⬃③◆❑⬔⌘❒🕮 ⬧✗⬃✓⬧📭
⅄✏☙✂ ☎✂❑→☽❑✍☙✂◆❒
⬧♌❑🡸☟☒❑⬀❷🡺✍ ⬃📭⬈🗏✦⬛⬔🡺⬧♐
.❀⮰⮱⮲⮳

قال البقاعي:" ولما كانت الأخوة داعية ولا بد إلى الإصلاح، سبب عنها قوله ❀✂❑←⬧⧅⬛⇳🕒❒🕯⬧▫❀ ... ❀⬧✗⬃✓⬧📭 ⬀📭⬈🗏⬃③◆❑⬔⌘❒🕮 :❀ أي المختلفين بقتال أو غيره كما تصلحون بين أخويكم من النسب ..."([1]). وهو هنا ينص على أن هذا الإصلاح مسبب عن الأخوة التي هي داعية إليه.

ولئن كان الإصلاح الذي أمرت به السورة مسببا عن الأخوة بصورة جلية، فلقد جاءت سورة الحجرات بجملة من الأحكام التي يتبين بعد التأمل أنها كلها خادمة لهذه الأخوة وراعية لها، وهي:

1- التبين في الأخبار ❀③◆🕓✵🕯❒⑨☙&❑☙ ⬧✗⇦⧅🔔⅄✏☙✂ ♌⧅☽ ☎✂☑❑⇖☪◆✌✂◆⬈ 🖮📭⬂☙☙⬧▫ ⇔🏳⬈📬◆⬈✏🔔⬔♊ 💻✉◆⌛◆♈⧅📭 ♌❒🕮 ☎✂☑❑⇖✡❑❹◆⌛◆☝⬧▫ ☙☺✌⬀❑⬧🔔 ☎✂❑🡸🖮⑩⬂🕐🡺✍ 🖮🕯⬧✂🕐⬔♑■♑🕒🗎 🗐❼■✍◆⇖ ☎✂❑←⬧⧅⌛⇔🕐🡸☝⬧▫ ⇔🏳🡸☞▫⬛⬔🡺⬧▫ ☙◆✌ ☼◆🕐⑨⧅✌⧅✓✗◆ ⬀⧅⮰❀.[2] وقد أمرت الآية المؤمنين بتمحيص نبأ الفاسق والتثبت من صدقه، " وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والأنباء، كأنه قال: أي فاسق جاءكم بأي نبأ

---

[1] نفسه.

[2] الحجرات : 6.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

﴿□♦☝♦⌛♦❹□✡⇖❑☑✂☎﴾: فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا بقول الفاسق لأن من لا يتحاشى جنس الفسوق لا يتحاشى الكذب الذي هو نوع منه، ... والفسوق: الخروج من الشيء، ويقال: فسقت الرطبة عن قشرها، ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها، ومن مقلوبه أيضا قفست الشيء إذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه، ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر ... والتثبت والتبين متقاربان، وهما: طلب الثبات والبيان والتعرف "[1].

فأمرت الآية المؤمنين بالتبين في أخبار الفساق وإعمال العقل والنظر لئلا يصيب المؤمن قوما بأذى بغير وجه حق فيندم على ما فعل، ولذلك لما أمرت الآية بالتبين ذكرت "علته فقال ﴿🕮❑♌﴾: أي لأجل كراهة أن ﴿✍➔🕐⇦⑩🖮⇦❑✂☎﴾: أي بأذى ﴿🔔♦❑⬀✌☺✍﴾: أي هم مع قوتهم النافعة لأهل الإسلام براء مما نسب إليهم ﴿🖹🕐♑❑♑⍓🕐✂♦🕯🖮﴾ أي مع الجهل بحال استحقاقهم ذلك ﴿□♦☝⇦🕐⇔⌛☠♦⇦❑✂☎﴾ ... ﴿⇖♦✍■❼🗐 ✌♦✍ □♦➔⍓◘□☞⇦⚐⇔﴾... ﴿☼♦🕐⑨☠✌☠✓✗♦﴾: أي عريقين في الأسف على ما فات مما يوقع الله في نفوسكم من أمور ترجف القلوب وتخور الطباع "([2])، و "الندم: ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام "[3].

وهذا الأمر بالتبين في الأخبار –رغم أنه قد وقع في السورة متقدما على تقرير أخوة المؤمنين والأمر بالإصلاح بينهم– إلا أنه من جملة الأشياء الخادمة لهذه

---

[1] تفسير النسفي 163/4.
[2] البقاعي، نظم الدرر 230/7.
[3] تفسير النسفي 163/4.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الأخوة والمحافظة لها، لأن الإخلال به يؤدي إلى وقوع الاختلاف والتنازع، وهو ما أشار إليه الزحيلي بقوله:" ... حيث رتب الله تعالى وقوع النزاع بين الطوائف والأفراد على أنباء الفاسقين "([1]).

2- الإصلاح بين المتخاصمين ﴿☎✁❑←⬧⧄◼⇳🕒❒🕯⬧◻ ⧫✗⬀✓⧫🕮 ...⬀🕮◪➚▤⬃③◆❑◰⌘❒🕮﴾، وقد وقع في الآية مسببا عن الأخوة بصورة جلية صريحة، وارتباطه بها ظاهر.

3- اجتناب السخرية([2]) واللمز([3]) والتنابز بالألقاب([4]): ﴿③◆🕔✵🕯❒⑨☙&❑✍ ✁✍✍✎⅄🔔⧄⇦✗⧫ ➚◆✁✌◆☾⇖❑✁☎ ⬧⬧ ④❑○⬄②◰❷⬀ 🔔⬧❑⬀⏵◀ ✌♓⧄♊ 🔔⬧❑⬀✈✌ ↖◆⊙✿⧄✁ 🕮❒♌ ③◆▤➚❑☼←❑✁☎ ⌘◰❷⬀❸☾✁ ✌♓⧄☸⬀&↙☠⬀ ❑◆⬧⬧ ⧫⧄○✿✍✎➚⊠ ✌♓⧄♊﴾

---

[1] وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 250/26.

[2] " ..السخرية الاستهزاء، سخرت منه أسخر سخرا بالتحريك ومسخرا وسخرا بالضم " تفسير القرطبي ج: 16 ص324.

[3] " اللمز كالغمز في الوجه تلمزه بفيك بكلام خفي قال وقوله تعالى ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ أي يحرك شفتيه ورجل لمزة يعيبك في وجهك ورجل همزة يعيبك بالغيب وقال الزجاج الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم وكذلك قال ابن السكيت و لم يفرق بينهما قال أبو منصور والأصل في الهمز و اللمز الدفع قال الكسائي يقال همزته و لمزته ولهزته إذا دفعته وقال الفراء الهمز و اللمز والمرز واللقس والنقس: العيب، وقال اللحياني: الهماز و اللماز النمام ويقال: لمزه يلمزه لمزا إذا دفعه وضربه و اللمز العيب في الوجه وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي وقيل هو الاغتياب... " ابن منظور، لسان العرب ج: 5 ص: 406.

[4] " النبز بالتحريك اللقب والجمع الأنباز و النبز بالتسكين المصدر تقول : نبزه ينبزه نبزا أي لقبه والاسم النبز كالنزب وفلان ينبز بالصبيان أي يلقبهم شدد للكثرة و تنابزوا بالألقاب أي لقب بعضهم بعضا و التنابز التداعي بالألقاب وهو يكثر فيما كان ذما ومنه الحديث أن رجلا كان ينبز قرقورا أي يلقب بقرقور وفي التزيل العزيز ولا تنابزوا بالألقاب قال ثعلب كانوا يقولون لليهودي والنصراني يا يهودي ويا نصراني فنهاهم الله عز وجل عن ذلك ... قال الزجاج معناه لا يقول المسلم لمن كان نصرانيا أو يهوديا فأسلم لقبا يعيره فيه بأنه كان نصرانيا أو يهوديا ثم وكده فقال بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الاسم أن يقول له يا يهودي وقد آمن قال وقد يحتمل أن يكون في كل لقب يكرهه الإنسان لأنه إنما يجب أن يخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء ... " ابن منظور، لسان العرب ج: 5 ص: 413

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

وهذا النهي عن جملة هذه الأشياء مرتبط أيضا برعاية رابطة الأخوة كما بين ذلك البقاعي في قوله:" ولما نهى عن الإيقاع بمجرد السماع ما يوجب التزاع، وختم بما ترجى به الرحمة، وكان ربما كان الخبر الذي أمر سبحانه بتبينه صريحا، نهى عن موجبات الشر التي يخبر بها فتكون سببا للضغائن التي يتسبب عنها الشر الذي هو سبب للنقمة رحمة لعباد الله وتوقعا للرحمة منه، فقال على سبيل النتيجة من ذلك ذاكرا ما في القسم الرابع من الآداب والمنافع من وجوب ترك أذى المؤمنين في حضورهم والإزراء بحالهم المذهب لسرورهم الجالب لشرورهم [illegible] ... [illegible] ...".([2])

إن صاحب النظم يربط هنا بين الأمر بالتثبت من أخبار الفساق وبين ترك السخرية واللمز والتنابز بالألقاب؛ فإن وقوع الشر بين المؤمنين سببه إما

---

[1] الحجرات : 11.

[2] نظم الدرر 232/7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الأخبار الكاذبة وإما الأخبار الصحيحة التي تتضمن أذى لمن نقلت إليه؛ ولئن كان الخطأ في الأولى ممن نقل إليه الخبر فلم يتثبت، فإن الخطأ في الثانية ممن أتى شيئا مؤذيا لأخيه من جنس السخرية ونحوها فنقل إليه الخبر صحيحا، فكان الحفاظ على الأخوة يقتضي الأمرين: التثبت في الأخبار، وترك السخرية وما في معناها.

4- اجتناب سوء الظن والغيبة والنميمة[1]

[illegible].[2]

فـــ " أمر تعالى المؤمنين باجتناب كثير من الظن وأن لا يعملوا ولا يتكلموا بحسبه لما في ذلك وفي التجسس من التقاطع والتدابر وحكم على بعضه أنه

---

[1] صحيح مسلم ج: 4 ص: 1985، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ".

[2] الحجرات: 12.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إثم... وقوله تعالى:﴿❒◆⧫•• ✌❒♑❑○○○⬆❑✂☎﴾
أي لا تبحثوا عن مخبئات أمور الناس وادفعوا بالتي هي أحسن اجتزئوا بالظواهر الحسنة وقرأ الحسن وغيره ولا تحسسوا بالحاء المهملة قال بعض الناس والتجسس بالجيم في الشر وبالحاء في الخير ...
﴿❒◆⧫••③◆⬄⬂☝◆⬛﴾ معناه لا يذكر أحدكم من أخيه شيئا هو فيه ويكره سماعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكرت ما في أخيك فقد اغتبته وإذا ذكرت ما ليس فيه فقد بهته([1]) ... والغيبة مشتقة من غاب يغيب وهي القول في الغائب واستعملت في المكروه"([2]).

5- الحذر من الكبر واعتقاد الكرامة على غير أساس التقوى:﴿
③◆🕔✵🕯❒⑨🙰&❑🙵
✂🙵🙶☪❑🙵❑⬇ ⬀✇☼✵🙵
⌘⏶⬛▪⬇✡❑🕔▤⬈📭 ✌♓🙴♊
❶♦📬☒❷🙶 ❒◆🕮⬆☼ॐ♦⬀▤
❒◆♉⏶➔⏶⬛▫✡❑🕔▤⬈☠⬁
⅄⬈➔⬉❑📭ॐ🙵
❒◆🔔♦⌨◆🙵✎★⬀🖎•
🙶⬀☝♦➔⏶🙵❻◆▫➔❑☑✂☎ ▤
⬀✇♌❑ 🕮❑🗎⇩❷◆✌◆▤⬈📭⬁
⬉⬀✡⑨⏶ ★✎🙵✂
🕮❑✍⬂✇♦🙶▤⬈☠⬁ ▤ ⬀✇♌❑
✂🙵✎⅄ ⬉◆⬛⬀➚☹⬊ ⌘⏶⌨⬀❷❸⮜
⬀⬃⬂⬁﴾.[3]

والمعنى " ﴿③◆🕔✵🕯❒⑨🙰&❑🙵
✂🙵🙶☪❑🙵❑⬇ ⬀✇☼✵🙵

[1] في صحيح ابن حبان، باب ذكر الأخبار عما يجب على المرء من صيانة أخيه المسلم بتحفظ لسانه عن الوقيعة فيه ج: 13 ص: 72، ح5759 عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته".

[2] الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسيرالقرآن ج: 4 ص: 190-191

[3] الحجرات: 13.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

: من آدم وحواء عليهما السلام، أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في ذلك، فلا وجه للتفاخر بالنسب، ويجوز أن يكون تقريرا للأخوة المانعة عن الاغتياب،

: الشعب: الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل؛ فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، وعباس فصيلة، وقيل: الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب، ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل، وقرئ ﴿لتعارفوا﴾ بالإدغام ولتتعارفوا ولتعرفوا،

فإن التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الأشخاص فمن أراد شرفا فليلتمسه منها ... "([1]).

وهذه الأمور التي أمرت بها سورة الحجرات يرتبط جميعها برباط واحد ويدور جميعها حول محور واحد، وهو ما بينه الزحيلي حين قال:" بعد أن بين الله تعالى وأرشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع الله تعالى، ومع النبي صلى الله عليه وسلم، ومع من يخالفهما ويعصيهما وهو الفاسق، بين ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع المؤمن ومع الناس كافة، من الامتناع عن السخرية، والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، وإساءة الظن وتتبع

([1])تفسير البيضاوي ج: 5 ص: 219

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عورات الناس ومعايبهم، والغيبة والنميمة، ووجوب المساواة بين الناس، واعتقاد أن معيار التفاضل والتمييز هو التقوى والصلاح وكمال الأخلاق"([1]).

ثم يبين الغاية من تشريع هذه الأحكام فيقول:" ويلاحظ سمو الترتيب الإلهي في سرد الآداب العامة في الموضوعات المذكورة، حيث رتب الله تعالى وقوع النزاع بين الطوائف والأفراد على أنباء الفاسقين، ثم نهى عن الأخلاق المرذولة التي ينشأ عنها النزاع، ثم أعلن وحدة الإنسانية في الأصل والمنشأ، كل ذلك من أجل الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية، وجعلها مثالا يحتذى في التعامل مع الأمم والشعوب الأخرى، لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله في كل مكان "([2]).

إذا فالغاية من هذه الأحكام هي " الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية " أو بمعنى آخر تحقيق المفهوم الحقيقي لـ ﴿◑♑☼✵☺⌧✍
✂✍◉♐⬂☺←⬥⬃✌♋☾⬉❑♌⬧ ◑♑⌘⬃❑◆❑⋞ ﴾ و
﴿◑♑♌❑ ⚖⌧◷⓿⬋■☡⊞⌚ 🕮⬆✌❑☞←▤➚☠⬁
🕮⬆✌❑❑☾ ❑◆◷❍♌⑨⌧❑☾ ❑◆🕮❑☼◆✍⚐
❻◆✉✍⧗→☠⬁ ▫⬥✍✍⬉⇳⌨←⑨←❑♍⏀ ﴾، على أن جميع ذلك ينبني على شيء مستقر في عمق النفس، وهو عدم إعجاب المرء بنفسه وشعوره بالفضل على الناس، بل حتى اعتقاد الكرامة على الله والمنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإسلام، وهو الذي أكدت عليه السورة حين ذكرت الناس بأن أصلهم واحد وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، ولذلك وجدنا الفيروزآبادي وهو يتحدث عن مقصود السورة يرد عموم ذلك إلى أشياء نفسية فيقول:" معظم مقصود السورة محافظة أمر الحق تعالى، ومراعاة حرمة الأكابر، والتودة في الأمر، والاجتناب عن التهور، والكون في إغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخلق، والحذر عن التجسس والغيبة، وترك

([1]) وهبة الزحيلي، التفسير المنير 26/250-251.

([2]) نفسه 26/250-251.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفخر بالأحساب والأنساب، والتحاشي عن المنة على الله بالطاعة، وإحالة الغيب إلى الله تعالى ... "([1]).

فمراعاة حرمة الأكابر والتودة في الأمر والاجتناب عن التهور وترك الفخر بالأحساب والأنساب والتحاشي عن المنة على الله بالطاعة وإحالة الغيب إلى الله تعالى أمور نفسية، وحتى السخرية والتجسس والغيبة وإن كانت من أعمال الجوارح فإنها مترجمة عن هذه الأمور النفسية.

وخلاصة القول: إن العقيدة الصحيحة تربط بين أهلها فتنشئ منهم أمة واحدة تتجاوز الروابط بين أفرادها حدود الزمان والمكان والجنس واللون، وتؤلف بين قلوبهم تأليفا عجيبا لا يستطيعه من أنفق ما في الأرض جميعا وتجعلهم إخوة، ورابطة الأخوة هذه نعمة يجب ذكرها وشكرها، ولئن كانت تنشأ عن العقيدة الصحيحة بصورة آلية فإنه يجب رعايتها على مستوى الأسباب بتبين أخبار الفساق، واجتناب السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والغيبة والنميمة والكبر والفخر ما في معناها.

هذا عن آثار العقيدة الصحيحة على مستوى الروابط بين أفراد المجتمع، فما هي آثار العقيدة الفاسدة على المستوى نفسه؟ ذلك ما يسعى للإجابة عنه في المبحث الموالي

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 434/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الثاني:

أثر العقيدة الفاسدة على مستوى الروابط داخل المجتمع

تقدم في المبحث السابق أن العقيدة الصحيحة تربط بين قلوب أفرادها وتنشئ منهم أمة واحدة متحدة متآلفة القلوب، فما هي آثار العقيدة الفاسدة على الأمم والمجتمعات التي تحمل عنوانها؟

لقد كنت أعتقد للوهلة الأولى أنني سأجد نوعا من التقابل بين صفتي الفريقين؛ بمعنى أنه إذا كانت العقيدة الصحيحة تربط بين قلوب أهلها وتنشئ منهم أمة واحدة مؤتلفة القلوب، فإن العقيدة الفاسدة ستنشئ أمة مختلفة متباغض أهلها متفرقون متعادون، ثم تبين لي أن القرآن الكريم نص على وحدة موقف المعادين للحق، لا في المجتمع الواحد فقط، ولا في العصر الواحد فقط، ولكن على مر الدهور واختلاف العصور، قال تعالى في سورة الذاريات: ✉ ⊠ ⓿ ⊠ 🕒 ✇ ♑ ⌨ ⍓ ✌ ♦ ✍ ✏

📖 ❒ ✌ ♦ ❼ ✂ ✍ ✏ ⍓ ✎ ⊠ ⌨ ⍓ ✌ ♊

🔔 ♦ ⌨ ⬀ ⍓ ♑ ⍓ ☠ ✌ ♓ ⍓ ♊ ❻ ▪ ⇐ ❒ ✌ ✍ ◑ ⍓ ♦

🔔 ♦ ✍ ✎ ↗ ❒ ✂ ☎ ⍓ ⊠ ✍ ○ ⍓ ❷ ⬋ 📖 ❒ ❒ ⬃

☝ ⊠ ♑ ⬂ ☾ ⬉ ❒ ♌ ➘ ⬀ ⌘ ⍓ ⬁

📖 ❒ ✍ ♦ ❒ ◆ ✂ 🕒 ✿ ❒ ⬀ ✂ ☎ ✉ ⍓ ○ ⍓ 🕒 📄

✉ ♦ ✍ ⬀ ⚖ ➔ ☠ ⬀ 🔔 ♦ ❒ ⬀ ⚐ ◅ ◐ ♦ ✍ ➘ ↗ ❒ ♌ ♦

⬀ ⌘ ⍓ ⬁ ✵ .[1]

وقد جاءت الآية تعليقا على إهلاك الحق –سبحانه وتعالى– لقوم لوط وقوم فرعون وعاد وثمود وقوم نوح بسبب معاداتهم للحق ومناوأتهم ورفضهم له، وهي تنص على أن مشركي مكة كما المشركون الذين كانوا من قبلهم قالوا جميعا قولا واحدا، لا لأنهم

---

[1] الذاريات: 52-53.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

اجتمعوا وأوصى بعضهم بعضا بذلك، بل لأنهم جميعا طاغون فأنتج الطغيان قولا واحدا وإجابة واحدة، قال البغوي:"﴿✍⊠⓿⊠🕓♎⚲⌨⍓﴾: أي كما كذبك قومك يا محمد وقالوا ساحر أو مجنون، كذلك:﴿✌♦✍✏ 📖❒✌♦❼﴾ ✂✍✏⅄🔔♎⇦×♦ ✌♎♊ 🔔♦⌨⬀♎♍♑☠﴾:من قبل كفار مكة:﴿✌♓♎♊ ❻▪♎⇦❑✌✍ ☽♑♦•﴾ 🔔♦♎✍◉♎↗❑✂☎ ♎⍓✍❍♎❷⬋ 📖❒❒⬃ ، ﴿👍⊠♑⬂☪⬉❑♌⬊﴾ قال الله تعالى:﴿ 📖❒✍♦❑♦✂🕓❁❑⬀✂☎ 📪♑❍♎🕓﴾: أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤوا عليه، والألف فيه للتوبيخ، ﴿📪♦✍⬀ ♎➔☠⬀ 🔔♦❑⬀⚐⊲ ⋐♦✍⬊↗❑♌♦﴾: قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك "[1].

فقد أشار البغوي إلى ما يأتي:

1- أن تكذيب قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم له كتكذيب المشركين الذين من قبلهم لرسلهم، ووصفهم إياه بأنه ساحر أو مجنون كوصف الذين من قبلهم أنبياءهم بذلك.

2- أن القرآن الكريم استشنع هذا الموقف ووبخ أصحابه بصيغة الاستفهام الإنكاري المقررة لذلك.

3- قررت الآية أن هذا الموقف الواحد مرده إلى الطبيعة الواحدة وهي الطغيان بسبب ما أنعم الله عليهم والذي حملهم على هذا التكذيب –كما نقل عن ابن عباس-.

وذلك يشير إلى أن العقيدة الفاسدة تجعل أهلها على موقف واحد من الحق، بل وتجعل بعضهم يماثل بعضا كأنهم جميعا على طبيعة واحدة، بل على خلقة واحدة، قال سيد

---

[1] أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل 4 /235 ، تحقيق: خالد العك-مروان سوار، دار المعرفة، بيروت ط2: 1408-1987.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قطب:" فهي جبلة واحدة وطبيعة واحدة للمكذبين ؛ وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون:

. . كما يقول هؤلاء المشركون ! كأنما تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون ! وما تواصوا بشيء إنما هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق والقصد تجمع بين الغابرين واللاحقين ! "([1]).

فكأن أهل الكفر جميعا على خلقة واحدة، ولهم جميعا طبيعة واحدة، ويستقبل جميعهم الرسل بطريقة واحدة، كأن بعضهم أوصى بعضا بذلك، وما كان ذلك رغم اختلاف زمانهم ورغم عدم التقائهم إلا لأن الكفر قد جمعهم على صفة واحدة، فأنتج ردا واحدا وإجابة واحدة.

كما نص القرآن الكريم على وجوب اعتبار الذين كفروا بعضهم أولياء بعض، فقال تعالى:

.[2]

وقد جاءت هذه الآية في مقابل الآيات التي تنص على ولاية المؤمنين بعضهم لبعض وهي قوله تعالى:

---

[1] في ظلال القرآن 3386/27

[2] الأنفال: 73.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[1]، ثم

فنصت الآية على أن المؤمنين من المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض، والذين آمنوا ولم يهاجروا لهم النصر ولا ولاية لهم حتى يهاجروا، وأما الذين كفروا فبعضهم أولياء بعض. قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره

بالله ورسوله

يقول بعضهم أعوان بعض وأنصاره وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله "[2].

---

[1] الأنفال : 72.

[2] تفسير الطبري ج: 10 ص: 54

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بمعنى أن الكافرين أحق بأن ينصر بعضهم بعضا، لا أن ينصرهم المؤمنون، كما أن المؤمنين أحق بنصر إخوانهم المؤمنين، فإن لم تفعلوا فستكون فتنة في الأرض وفساد كبير

﴿❁◗♑♦· ✍♦▦⬂➔⍓▣➔❑■⬅ ✍♦▤➚♊

▫♑☝⬃☪◆❑◀ ×♑⑥ ✂☙❀☞❻⬀⮟⬅

❒◆▫♦○❀☙⑩◀ 🗎•⌨♑❷❸◀ ﴾.

" والضمير في قوله ﴿❁◗♑♦· ✍♦▦⬂➔⍓▣➔❑■⬅﴾ قيل: هو عائد على المؤازرة والمعاونة، ويحتمل على الميثاق المذكور، ويحتمل على النصر للمسلمين المستنصرين، ويحتمل على الموارثة والتزامها، ويجوز أن يعود محملا على جميع ما ذكر، والفتنة: المحنة بالحرب وما أنجر معها من الغارات والجلاء والأسر، والفساد الكبير: ظهور الشرك "[1].

إذا فقد نص القرآن الكريم على وحدة موقف المعادين للحق، وأنهم على طبيعة واحدة، وأنهم أحق بأن يوالي بعضهم بعضا وأن ينصر بعضهم بعضا، فهل يعني ذلك أن العقيدة الفاسدة تنشئ من أهلها أيضا أمة متحدة مؤتلفة كما العقيدة الصحيحة؟

مع أن القرآن الكريم قرر وحدة موقف الكفار وولاية بعضهم لبعض، إلا أننا نجد أنه قد نص على اختلاف وتفرق بين قلوبهم فقال تعالى: ﴿❁♦•

③⬉◗♦🕐✌♑▣➔❑☼◆⌛➔☠⬀ ♎♦☟♑⑩➔🕐☙

◗♑♦· ×♑❼ 🔔➔❷ॐ❽ ☝❼◆❑🕐○✡❑❑☢

📖❑❑⬃ ✌♑♊ ❒◆❻◆✂✏➚♑ ♊⬉⑨⬅❻⊙ 🗐

📪◆🕯▫♒⬅♑🏳 📪◆❹⬃✡❑♑⬅🏳⬄

⅄⊠⑨♑③⑨♑ 🗐 ✌❒◆⬂○❀⌛⬅♑⬅🏳⬄

♎♦☟♑⓿➔✡☙ ❒◆🔔➔▣➔❑📪⬅♑⬅🏳⬄

⅄⊠☹✸♑🗐 🗐 ❶♦🕐✆♑⌨⍓

📪♑🕯❒☼✵♑⬅🏳⬄ 🔔♦❑⬀🏱◀ ♦•

③◆➔⬃◗⬏▣➔❑♍⚘ ⇫♑⮷⮰ ﴾[2].

---

[1] الثعالبي، الجواهر الحسان 113/2.

[2] الحشر: 14.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهذه الآيات من سورة الحشر التي نزلت في غزوة بني النضير([1])، وقد كان المنافقون بزعامة عبد الله بن أبي بن سلول طرفا فاعلا ومؤثرا فيها إلى جانب يهود بني النضير، ولذلك اختلف المفسرون في المقصودين بهذه الآية فذهب مقاتل إلى أنهم اليهود والمنافقون، وقال الفراء: هم بنو النضير.([2]) ولعل مما يقوي القول الأول –أي كونهم اليهود والمنافقون– أن السياق القريب للآيات ينص عليهم –بل لا يكاد ينص إلا عليهم–، قال تعالى: [illegible]

---

[1] انظر خبر غزوة بني النضير في: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك 2/83-87، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1422-2001، وابن كثير، البداية والنهاية 4/76-82، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1405-1985.

[2] زاد المسير ج: 8 ص: 218

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

… ﴾[1]. ثم قال سبحانه: ﴿ …

… ﴾.

وقد وصفتهم الآية بأن ﴿ … ﴾

أي أن " عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضا شديدة ﴿ … ﴾: يعني المنافقين

وأهل الكتاب، يقول تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم ﴿ … ﴾: يقول:

وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضا، وقوله: ﴿ …

… ﴾، يقول: جل ثناؤه هذا الذي وصفت لكم من

أمر هؤلاء اليهود والمنافقين وذلك تشتيت أهوائهم ومعاداة بعضهم بعضا من أجل أنهم قوم

لا يعقلون ما فيه الحظ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص"([2]).

إذا فاليهود والمنافقون –وهم مشتركون في أصل الانحراف الاعتقادي وإن كانت عقيدتهم مختلفة– عداوة بعضهم لبعض شديدة، وهم رغم ما يظهر من توحدهم واجتماعهم قلوبهم مختلفة يعادي بعضهم بعضا، وهو ما عبرت عنه الآية بعبارة ﴿ … ﴾: " قال

---

[1] الحشر : 11-13.

[2] تفسير الطبري ج: 28 ص: 47

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الزجاج: أي هم مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا يتعاونون بنيات مجتمعة لأن الله تعالى ناصر حزبه وخاذل أعدائه "([1]).

وتشتت قلوبهم الذي ذكرته الآية أن لا تجتمع على نية واحدة، والزجاج يرد ذلك لخذلان الحق سبحانه وتعالى لهم؛ أي لمعنى غيبي خارج عن دائرة الأسباب. أما ابن جرير فقد رد ذلك إلى معنى ظاهر وهو تشتت أهوائهم واختلاف مقاصدهم فقال:" يقول جل ثناؤه: هذا الذي وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين وذلك تشتيت أهوائهم ومعاداة بعضهم بعضا، من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص"([2]).

فقد أشار إلى أمرين:

- أحدهما: أن تشتت قلوب هؤلاء المنافقين بسبب تشتت أهوائهم، وأن لكل منهم مقصد تميل إليه نفسه.
- والثاني: أنهم قوم لا يعقلون، ولو عقلوا لعلموا أن في التشتت ضرهم وأن " فيه عليهم البخس والنقص "، وأن في ترك هذا التشتت إدراك حظهم ونيل مطلبهم ومأربهم.

ولئن نصت الآية السابقة على الاختلاف بين أهل العقيدة الفاسدة من طوائف مختلفة، فلقد نصت آيات أخرى على اختلاف أهل الطائفة الواحدة، كما قال سبحانه وتعالى في أهل الكتاب: ❁❒◆👌◆ᏎᏎ ✍♦▦☒❷▪📭♦

✂ᏎᏎ✏⅄🔔♉⇦×♦ 📖↑❒✍➔❒✂☎

✂ᏎᏎ🖭♐⬂▤⬁☝♦🕔💾✽ ☽♏♦· 👌♉♊📬

📪➔♦➔⬀⑨♉ 👌♦ᏎᏎ ♊⍓🔔✏↗♦☜⬂&↙☠↖

✂ᏎᏎ🖭♐⬂⌨♦❹♓☾♦❒➔ ⬀♐⬀ ❒◆👌♦ᏎᏎ✏

📖↑☟☜❺↓❒▥✂☎ ☽♏♦·

🖭♐♉⓿◆➔⬃⌛←⑨←❒✂☎ ✂ᏎᏎ✏⅄

👍➔③⬂💾♏🕔⇪✓×♦ ✏♦📖↖ ✂ᏎᏎ✏ᏎᏎ♍♉⇦×♦

---

[1] زاد المسير ج: 8 ص: 218

[2] تفسير الطبري ج: 28 ص: 47

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

☎✂❑←☺⓿☞☽⇖③◆❐ ◆⇗✐✍☒▦◆☪⇖❍
☎✂❑➔✍⬀⬩⇖③◆❐ ■❑▤❑■▣❍⏲♑︎☸✍✂
⍓⌨⌺♑︎☸⏲⬩❶◆❐ ▤ ■❑▤❑☒✉❑❽♑︎☸✍✂
.[1]✡︎⬗⧅⬀⌺■⍓☺✗♒︎⑩⬩☽⬂♑︎☸✍✂ ←♊︎③⌺⑩

فقررت الآية أن أهل الكتاب قد تفرقوا، و لم يقع تفرقهم هذا إلا من بعد ما جاءهم البينة([2])، وما كان تفرقهم بسبب ما أمروا به ✡︎❐◆✌︎◆✍✐
☎✂▦❑↓❺☞☟↑📖 ⬩⬩⌺☽
☎✂❑←⑨⬅⌛⬀➔◆⓿⌺♑︎ ⅄✐✍✂
◆×⇦⌺♏︎✍✐✍✂ ⇖📖⬩✐ ◆×✓⬁⏲⌺▣⬂③➔👍
☎✂❑←☺⓿☞☽⇖③◆❐ ◆⇗✐✍☒▦◆☪⇖❍
☎✂❑➔✍⬀⬩⇖③◆❐ ■❑▤❑■▣❍⏲♑︎☸✍✂
⍓⌨⌺♑︎☸⏲⬩❶◆❐ ▤ ■❑▤❑☒✉❑❽♑︎☸✍✂
.✡︎([3]) ⌺■⍓☺✗♒︎⑩⬩☽⬂♑︎☸✍✂ ←♊︎③⌺⑩

قال ابن كثير تعليقا على الآية:" يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم واختلافا كثيرا، كما جاء في الحديث المروي من طرق "إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابـــي"([4])،

---

[1] البينة: 3-4.

[2] البينة قد فسرت من قبل ✡︎❻◆❦←❑✌︎⬩ ✌︎♓︎⌺♊︎⌘ ✂✍✐★ ③◆✌︎⬀▣➔❑✂☎
⏲→◆⬅▦☪✍ ✌︎⑩⬭⬩♑︎❷◆❑☪ ⬀✗⬗ ▫⌺❸&❑✍ ✉⇗✌︎⬅▣⌺
.البينة: 2-3 ✡︎⬗⧅⬀ ⬩❑⍓☺✗♒︎⓿⬩🔔

[3] في هذا شاهد على أن الناس إذا التزموا ما أمرهم به الله واتبعوه لم يتفرقوا و لم يختلفوا.

[4] الحديث أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي، سنن الترمذي ج: 5 ص: 26 ح2641 عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"، ثم قال:" هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه " قال القرطبي:"أخرجه من حديث عبد الله بن زياد الأفريقي عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمرو وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قال أبو عمر [أي ابن عبد البر]: وعبد الله الأفريقي ثقة، وثقه قوم وأثنوا عليه وضعفه آخرون " الجامع لأحكام القرآن

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقوله تعالى:﴿❒◆✌◆♦︎✍︎✍︎ 🕮↑☟✐❺↓❒▥✂︎☎︎ ☽✈︎◆• 🙰🙰✈︎⓿◆→✍︎⌛︎←⑨←❒✂︎☎︎ ✂︎✍︎✍︎✍︎▲

160/4، ووقعت زيادة " ما أنا عليه وأصحابي " في حديث طويل أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج: 8 ص: 152 عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك، قال الهيثمي:" وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جدا " مجمع الزوائد ج: 1 ص: 156.
وفي سنن أبي داود أنها الجماعة بدلا من " ما أنا عليه وأصحابي "، قال: عن معاوية بن أبي سفيان قال:" ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة، ... وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ... لا يبقي منه عرق ولا مفصل إلا دخله "، انظر: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة ج: 4 ص: 198، ح4597، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د ت ط. ووقع تفسيرها بالجماعة أيضا عند ابن ماجه من طريق عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" افترقت اليهود على إحدى وسبعين؛ فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة؛ فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار "، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الجماعة ". انظر: ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ج: 2 ص: 1322ح3992، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د ت ط. وانظر: الطبراني، الكبير 70/18 ح129.
وعند أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة "، قالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال:" الجماعة الجماعة ". مسند أحمد ج: 3 ص: 145 ح12501. قال الشاطبي:" وهي بمعنى الرواية التي قبلها " –أي "ما أنا عليه وأصحابي"–. انظر: الاعتصام بالسنة، ص131، مراجعة وتدقيق: خالد عبد الفتاح شبل أبو سلمان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1: 1416-1996.
ورواه البيهقي عن أبي أمامة[السنن الكبرى، كتاب القسامة، باب من أريد ماله أو أهله أو دمه أو دينه فقاتل فقتل ج: 8 ص: 188]، والطبراني [المعجم الأوسط 176/7، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد–عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين القاهرة: 1415]، ورواه البزار عن عائشة ابنة سعد بن أبي وقاص عن أبيها، قال:" وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن سعد إلا من هذا الوجه، ولا نعلم روى عبد الله بن عبيدة عن عائشة عن أبيها إلا هذا الحديث " انظر: البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مسند البزار ج: 4 ص: 38، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1: 1409.
وأصح ما في الباب حديث أبي هريرة عند الترمذي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ". سنن الترمذي ، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ج: 5 ص: 25، ثم قال الترمذي:" وفي الباب عن سعد وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك ... وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح "، ورواه الحاكم: في المستدرك 217/1، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، وانظر: صحيح ابن حبان، باب ذكر الإخبار عن فرق البدع وأهلها في هذه الأمة ج: 15 ص: 125، ح6731.
قال القرطبي:" وهذا بين أن الافتراق المحذر منه في الآية والحديث إنما هو في أصول الدين وقواعده لأنه قد أطلق عليها مللا، وأخبر أن التمسك بشيء من تلك الملل موجب لدخول النار، ومثل هذا لا يقال في الفروع فإنه لا يوجب تعديل الملل ولا عذاب النار " تفسير القرطبي ج: 12 ص: 130، وهو قول الشاطبي أيضا. انظر: الاعتصام بالسنة ص138.
وانظر تفصيل الحديث عن الروايات السابقة والفرق والاختلاف عند الشاطبي، نفسه ص131 إلى 187 وقد ذكر فيه ستا وعشرين مسألة.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كقوله: ... ، ... ﴾، [1] وهذا قال: ﴿ ... ﴾: أي متحنفين عن الشرك إلى التوحيد ... ﴿ ... ﴾: وهي أشرف عبادات البدن، ... ﴿ ... ﴾: وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج، ... ﴿ ... ﴾: أي الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة "([2]).

فالتفرق في رأي ابن كثير هو اختلافهم في الذي أراده الله من كتبهم، بمعنى أن الاختلاف مرده إلى تبديل وتحريف لآيات هي في الأصل بينات، وحتى هذا التحريف مرده في الأصل إلى انحراف وزيغ في النفس، كما قال تعالى: ﴿ ... ﴾.

---

[1] الأنبياء : 25.

[2] تفسير ابن كثير ج: 4 ص: 538

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] [1].

على أنه قد وقع النص بصورة صريحة في سورة المائدة على وقوع العداوة والبغضاء بين اليهود أنفسهم، وبين النصارى أنفسهم:

- قال تعالى في اليهود: [illegible] [2].

والمعنى " [illegible]: أي بين اليهود،

---

[1] المائدة: 13.

[2] المائدة: 64.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

﴿✂️🙵⍝⌕⬂➔⍓⑨⍓🕔❒⬧❑■

❒⬧✂️🙵⍝⌕⬂🖮⬧⬄⬂🙰•🙵✏⬈⬧﴾...

﴿❓✍⬈⬛✵☺⍓🙵✏ 📖❑❑⬃🔔⬧⑨⇦❒✂️☎

☼⬧🙵❻✡✂️ ⍝🕭🙵⬛▫⬧⍓❷⬀⚇⬰

📖❑⬅⇳🏙☒⚱❒⚖⍓🙵 ✂️🙵✏✦﴾: أي كلما جمعوا للحرب جمعا وأعدوا له عدة شتت الله جمعهم وذهب بريحهم فلم يظفروا بطائل ولا عادوا بفائدة، بل لا يحصلون من ذلك إلا على الغلب لهم، وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها ثم يبطل الله ذلك... ﴿❒⬧③⬧○⬄➔⍓❑⬀♌⬧ ✗⚐❼

✂️🙵❀☞❻⬀⮛⮚ ▫⬧○✿🙵⑩✡✂️🗐﴾: أي يجتهدون في فعل ما فيه فساد ومن أعظمه ما يريدونه من إبطال الإسلام وكيد أهله، وقيل: المراد بالنار هنا الغضب، أي كلما أثاروا فى أنفسهم غضبا أطفأه الله بما جعله من الرعب فى صدورهم والذلة والمسكنة المضروبتين عليهم، قوله:﴿❒⬧✂️🙵✏✦ ⬧⬧

⑥⬈⬧⚐⬛❹ ✂️🙵⍝⬂☺⇦🏙⬂○⬁⑨⚐⇦✗⬧﴾: إن كانت اللام للجنس فهم داخلون فى ذلك دخولا أوليا، وإن كانت للعهد فوضع الظاهر موضع المضمر لبيان شدة فسادهم وكونهم لا يتفكرون عنه قوله "([1]).

فوصفت الآية اليهود بجملة من الصفات:

1- أن الله ألقى بينهم العداوة والبغضاء.

2- وأنهم لأجل هذه العداوة والبغضاء " كلما جمعوا للحرب جمعا وأعدوا له عدة شتت الله جمعهم وذهب بريحهم فلم يظفروا بطائل ولا عادوا بفائدة".

3- وأنهم يجتهدون في نشر الفساد وفعله والله لا يحب المفسدين.

- وأما العداوة بين النصارى فقد ذكرت في آية سالفة للتي تنص على العداوة بين اليهود في السورة نفسها، وهي قوله تعالى:﴿❒⬧✌⚐⬀⬲

✂️🙵✏⮝🔔⚐⇦▫⬲ 🔔⬧🙵⍝⬈❑☑✂️☎ ⚐⚐✵🙵

☼⬧🕔❀🕔❷⬧❽✂️ 📖❑⌘⍓⓿⬁☼⬧🙵

[1] الشوكاني، فتح القدير ج: 2 ص: 58

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

☎✂❑⓿○❑✡♦▫ ⇔⚐←♑♦◗🕔♦⌖⑩⚓✌
☎✂❑⇖❷⬁♏🗎➔❶ ✍●☺⚓♓✌ ✍⍓➔⍓○
✍❑✡⬃③♦❷⬂➘❑🕯♦▫ 🕔⚓○⚓📪
■❑♦❑✂⍓⑨⍓➔⬂♒◉✍✂ ⇖☠←♑❑✡⬃❹♦📪
🗐❼■💾⚓◗ ♦➚✏✍•⚓⬂⇔♦⌨⬂♒◉✍✂♦❑
🗐 ⚓❑⍓☺🕔♦⑩✍◗⬂♒◉✍✂ ⚓✈⬀❑♦③
⓫⚐←♑⇖⊙⚓○⌛♦♈⇖③ ✿❼⇳❑⍓♌♦❑
☎✂❑⬅☼✍•🗎 ✍⍓☺⚓📪 ✦✏✍✂
.[1]❀⬙⬘⚓⬀♎♍❑⇖➔❑✡⇔🕔♦③

قال ابن جرير:" يقول عز ذكره: وأخذنا من النصارى الميثاق على طاعتي وأداء فرائضي واتباع رسلي والتصديق بهم، فسلكوا في ميثاقي الذي أخذته عليهم منهاج الأمة الضالة من اليهود، فبدلوا كذلك دينهم ونقضوا نقضهم وتركوا حظهم من ميثاقي الذي أخذته عليهم بالوفاء بعهدي، وضيعوا أمري ... ❀✍❑✡⬃③♦❷⬂➘❑🕯♦▫
■❑♦❑✂⍓⑨⍓➔⬂♒◉✍✂ ⇖☠←♑❑✡⬃❹♦📪
🗐❼■💾⚓◗ ♦➚✏✍•⚓⬂⇔♦⌨⬂♒◉✍✂♦❑
يعني تعالى: ❀⚓❑⍓☺🕔♦⑩✍◗⬂♒◉✍✂ ⚓✈⬀❑♦③
ذكره بقوله:❀✍❑✡⬃③♦❷⬂➘❑🕯♦▫
❀⇖☠←♑❑✡⬃❹♦📪: حرشنا بينهم وألقينا كما نغري الشيء بالشيء؛ يقول جل ثناؤه: لما ترك هؤلاء النصارى الذين أخذت ميثاقهم بالوفاء بعهدي حظهم مما عهدت إليهم من أمري ونهيي، أغريت بينهم العداوة والبغضاء "([2]).

فقد ألقى الله العداوة والبغضاء بين النصارى كما ألقاها بين اليهود إلى حد التحريش بينهم بحيث يثب بعضهم على بعض، وقد وقع ذلك بعد تضييعهم حظا مما ذكروا به وإخلافهم الميثاق الذي أخذ عليهم، أما صفة الإغراء بينهم فقد اختلف فيها -كما ذكر ابن جرير-:"... فقال بعضهم كان إغراؤه بينهم بالأهواء التي حدثت بينهم ... عن قتادة: ... إن القوم لما تركوا كتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ألقى بينهم

[1] المائدة: 14.
[2] تفسير الطبري ج: 6 ص: 158

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بأعمالهم أعمال السوء ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره ما افترقوا ولا تباغضوا "([1]) .

فوقوع العداوة والبغضاء بينهم يحتمل أن يكون تنازعهم بسبب تعارض أهوائهم لما ضيعوا الحق وحكموا الهوى، ويحتمل أن يكون معنى غيبيا يتجاوز حد الظاهر بأن يكون الحق سبحانه ألقى في قلوبهم هذه العداوة عقابا لهم على تضييع الميثاق بنفس الصورة التي ألف بها بين قلوب أهل الإيمان، وقد اختار ابن جرير القول الأول فقال:" وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالحق تأويل من قال أغرى بينهم بالأهواء التي حدثت بينهم كما قال إبراهيم النخعي، لأن عداوة النصارى بينهم إنما هي باختلافهم في قولهم في المسيح، وذلك أهواء لا وحي من الله"([2]). ومع ذلك فلا تعارض بين هذا وهذا، ولا مانع من اجتماع الأمرين؛ فيلقي الله عز وجل في قلوبهم العداوة والبغضاء بسبب تضييعهم فرائضه وتعطيلهم حدوده، وتزيدهم الأهواء تباغضا وفرقة.

وعليه فقد ألقى الله العداوة بين اليهود، كما ألقاها بين النصارى بسبب تضييعهم لحدوده وميثاقه، قال الربيع بن أنس:" إن الله عز ذكره تقدم إلى بني إسرائيل أن لا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وعلموا الحكمة ولا تأخذوا عليها أجرا فلم يفعل ذلك إلا قليل منهم فأخذوا الرشوة في الحكم وجاوزوا الحدود، فقال في اليهود حيث حكموا بغير ما أمر الله [illegible]، وقال في النصارى [illegible]

---

[1] نفسه ج: 6 ص: 159

[2] تفسير الطبري ج: 6 ص: 159

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

🗐❼■🖫⌧☽ ◆➚✎✍•⌀⬂⬄♦⌨⬂✍✂◆❐
.(1)" ❁🗐⌧❐⍓☺◷◆⑩⬃☽⬂✍✂⌧✈⬀❐◆③

وأما العداوة التي بين النصارى فقال فيها ابن جرير:" عداوة النسطورية* واليعقوبية** والملكية*** النسطورية واليعقوبية "(2).

هذا قد جمع القرآن الكريم المشركين مع أهل الكتاب في كونهم غير منفكين عن الضلال حتى جاءهم البينة، فقال تعالى:❁ ⬄⚐♦✍ ⮸♊➚▤♦③

⇳♊⌧✌ ☎✂❐⬉❷☒▦☒✍ ♦✖⇦⌧🔔⮝✎✍✂
⬃▪◷♦☝⬁▤⬂✍✂ ⇯✍⇙♎❐📖
♦✖✓⌧✍⌧❸⇳⌑←☺⬂✍✂◆❐
🗐⌀✸☹⍓❍ ♦✖✓⬁ℯ▤☒▦☪⬉✌
➔❑◆☪⬃♓❹♦⌨⬂✍✂ ⬉☠⬋&◆❸⌧✍▫♦✍
.(3)❁⮸⬂⇯

فــ" أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى، والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب ومن العجم "(4).

ثم إن القرآن الكريم لما تحدث عن التفرق خص به أهل الكتاب من دون المشركين:❁
♦✖⇦⌧🔔⮝✎✍✂ ♦✍▪❷☒▦♦✍ ✍♦✌◆❐

---

1 نفسه ج: 6 ص: 160

* النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، قالوا: إن الله واحدوله أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة وليست زائدة على الذات ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج ولا على طريق الظهور ولكن كظهور النقش في الشمع إذا طبع، وكإشراق الشمس في كوة على بلورة. وهم وسط بن اليعقوبية والملكانية. انظر أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل 169/1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1: 1415-1995.

** اليعقوبية: قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح، وقالوا: المسيح له طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان تركبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا، وهو إنسان كله وإله كله. انظر: المصدر نفسه 170/1-171.

*** الملكية أو الملكانية: أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليهايقولون إن الجوهر غير الأقانيم كالموصوف والصفة، ولذلك صرحوا بإثبات التثليث، وهم يؤمنون بالأب مالك كل شيء، وبالابن الواحد يسوع المسيح، وبالروح القدس الواحد الذي يخرج من أبيه. انظر المصدر نفسه 168/1-169.

2 تفسير الطبري 160/6.

3 البينة : 1.

4 تفسير ابن كثير ج: 4 ص: 538

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible].[1]

فهل يعني ذلك أن التفرق والتباغض مخصوص بأهل الكتاب وحدهم من دون المشركين؟

لعل العداوة بين المشركين كانت من الجلاء بحيث لم تحتج إلى تقرير، ولقد أشار إليها القرآن الكريم في معرض الامتنان على المؤمنين بالتأليف بين قلوبهم بعد عداوة في قوله تعالى: [illegible].[2]

" أخرج ابن إسحاق قال: كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة، حتى قام الإسلام فأطفأ الله ذلك وألف بينهم "[3].

فهؤلاء من صاروا درع الإسلام وحصنه، قامت الحرب بينهم قبل أن يهديهم الله بنور الإسلام ما يزيد عن مائة سنة، وكذلك كان شأن العرب وهم مشركون تقوم الحرب بينهم أعوام طويلة بسبب التافه من الأسباب وأتفهها.

ولكن كيف يمكن الجمع بين ما قرر القرآن الكريم من وحدة موقف الكفار، وكونهم أحق بأن يوالي بعضهم بعضا وينصر بعضهم بعضا، وبين ما قرر من وقوع العداوة والبغضاء بين قلوبهم والفرقة بينهم؟

---

[1] البينة: 4.

[2] آل عمران: 103.

[3] الشوكاني، فتح القدير 369/1.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لعلنا نجد الجواب عن ذلك فيما نقله ابن جرير في تفسيره عن قتادة قال:" تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق "([1]).

فقتادة هنا قد تنبه إلى أمر دقيق؛ وهو أن أهل الباطل هم في الأصل متباغضون متعادون مختلفوا العقائد الأهواء والأعمال، غير أنهم يجتمعون حول أمر واحد وهو معاداة أهل الحق ومواجهتهم ومحاربتهم، ومع ذلك فإن هذا الاجتماع يفترق عن اجتماع المؤمنين الصادقين أهل العقيدة الصحيحة في أنه اجتماع ظاهر –أو اجتماع أبدان–، أما القلوب فهي مختلفة مشتتة مفترقة [illegible][2].

إذا فقد قرر القرآن الكريم أن الله عز وجل قد ألقى العداوة والبغضاء بين أهل العقيدة الفاسدة سواء أكانوا من طوائف مختلفة أم من طائفة واحدة؛ من المنافقين وأهل الكتاب والمشركين، ثم إننا نجد إشارة إلى الاختلاف والتفرق بين طوائف تنسب نفسها إلى عقيدة التوحيد أيضا، كما قال تعالى: [illegible][3].

فقد برأ الله عز وجل نبيه –عليه الصلاة والسلام– من قوم وصفتهم الآية بأنهم [illegible].

---

[1] تفسير الطبري ج: 28 ص: 47

[2] الحشر: 14.

[3] الأنعام: 159.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" قال الزجاج ومعنى شيعت في اللغة: اتبعت، والعرب تقول: شاعكم السلام وأشاعكم: أي تبعكم"([1]). فلفظ الشيع يتضمن معنى الاتباع، أي هم قوم يتبعون طريقة واحدة، قال القرطبي:"ومعنى ﴿⅄ ❻ ⓿ ◆ ➔ ✡ ∽﴾: فرقا وأحزابا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع"([2]).

فذكر أن الشيع الفرق والأحزاب، وأنها تشترك في أمرين:

1- أن أمرهم واحد.

2- أنه يتبع بعضهم رأي بعض.

وقال الشوكاني:" ومعنى شيعا: فرقا أو أحزابا، فتصدق على كل قوم كان أمرهم فى الدين واحدا مجتمعا ثم اتبع كل جماعة منهم رأي كبير من كبرائهم يخالف الصواب ويباين الحق "([3]).

وهو يضيف إلى ما ذكر القرطبي أمرين آخرين —وصف بهما المذكورون في الآية- هما:

1- أن أمرهم في الدين كان واحدا.

2- أن كل جماعة منهم اتبعت رأي كبير من كبرائهم.

وأما من هم المقصودون في الآية فقد اختلف فيهم، قال ابن الجوزي:" وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة قاله أبو هريرة.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى قاله ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي.

والثالث: اليهود قاله مجاهد.

والرابع: جميع المشركين قاله الحسن؛ فعلى هذا القول دينهم الكفر الذي يعتقدونه دينا وعلى ما قبله دينهم الذي أمرهم الله به ... "([4]).

وقد رجح الشوكاني أنها تشمل جميع من أشرك وتعم أهل البدع، قال:" وقيل: الآية عامة فى جميع الكفار، وقيل: من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله، وهذا هو الصواب لأن اللفظ

---

[1] ابن الجوزي، زاد المسير ج: 3 ص: 158

[2] تفسير القرطبي ج: 7 ص: 150

[3] فتح القدير ج: 2 ص: 183

[4] زاد المسير ج: 3 ص: 158

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم ممن ابتدع من أهل الإسلام "([1]).

وهؤلاء حكم الله ببراءة نبيه –عليه الصلاة والسلام- منهم ﴿◉ᘓ⅄○⬄☼●✿ ✌♎☸⬃ℰ⬋☠⬁ ✗♎❼ ★☒♎⬄↗☢﴾: وهو كقوله عليه السلام " من غشنا فليس منا "[2]: أي نحن براء منه، وقال الشاعر:

إذا حاولت في أسد فجورا   فإني لست منك ولست مني

أي أنا أبرأ منك "([3]).

والذي يهمنا في المسألة هو دلالة الآية على طوائف من الناس تنتسب إلى الإسلام وتزعم أنها تدين به، وهي إن لم تدل عليهم دلالة خاصة فلا أقل من شمولها لهم كما تقدم، وغير واحد من العلماء يرى أنها دالة عليهم دلالة خاصة، قال القرطبي:" وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية:﴿◐♎♌ ✂✍✎⅄🔔♎⇦✗♦ ▫♦❷▪🔔➔❑✂☎ ⑩♎③☸♦ℰ⬋☠⬁﴾: "هم أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة "([4])، وروى بقية بن الوليد: حدثنا شعبة بن الحجاج، حدثنا مجالد عن الشعبي عن شريح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: "﴿◐♎♌ ✂✍✎⅄🔔♎⇦✗♦ ▫♦❷▪🔔➔❑✂☎ ⑩♎③☸♦ℰ⬋☠⬁ ❒◆📝☒🔔☼⬅❑✂☎ ⅄♎⓿◆➔✡✍﴾: إنما هم

---

[1] فتح القدير ج: 2 ص: 183

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:" من غشنا فليس منا "، 1/99 ح101.

[3] تفسير القرطبي ج: 7 ص: 150

[4] رواه ابن جرير، جامع البيان ج: 8 ص: 105 من طريق سفيان عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة موقوفا، ومن طريق عباد بن كثير عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة مرفوعا.

قال ابن كثير:" لكن هذا إسناد لا يصح، فإن عباد ابن كثير متروك الحديث، و لم يختلق هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه، فإنه رواه سفيان الثوري عن ليث وهو ابن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة " تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 197. يعني أن الموقوف أصح

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة، غير أن أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة، وأنا بريء منهم وهم منا براء "([1]) "([2]).

فهذان حديثان لو صحا كانا فاصلين في دلالة الآية على أهل البدع والأهواء، ومع ذلك فإن قول أبي هريرة وإن كان موقوفا عليه قوي في الدلالة على ذلك.

والحاصل أن الزيغ في أصول العقيدة –كزيغ اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين–، كما في فروعها –كزيغ أهل البدع والأهواء– يؤدي إلى التفرق والتنازع والاختلاف.

وخلاصة القول في هذا المبحث: إن العقيدة الفاسدة تنتج موقفا واحدا وتواليا وتناصرا بين أهلها في معاداة الحق ومحاربته، غير أن أهلها على ما يظهر من اجتماعهم قلوبهم متشتتة متنازعة ؛ لأن الجامع الذي يجمعهم هو الأهواء والمصالح ومعاداة أهل الحق، وهذه الفرقة واقعة بين سائر المخالفين عن عقيدة التوحيد سواء أكانوا من أهل طوائف مختلفة أم من أهل طائفة واحدة، كما وأن العداوة والبغضاء والتفرق واقعة بين جميع طوائف الكافرين من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين وحتى أهل البدع والأهواء، ممن تجمعهم ملة منحرفة واحدة.

الفصل الثاني:

أثر العقيدة على أمن الأمة وعيشها

تناولنا في الفصل السابق أثر العقيدة –صحيحة كانت أم فاسدة– على العلاقات التي تربط أفراد المجتمع، وفي هذا الفصل نحاول أن نفهم أثر العقيدة على ما يطبع حياة الأمة بصورة مجملة من جهة ما لا غنى للناس عنه لتحقق العيش الطيب الهنيء من الأمن والرزق، وهل

---

[1] وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضا ولا يصح رفعه.

[2] تفسير القرطبي ج: 7 ص: 149

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لمعتقدات الأمة علاقة بذلك؟ وسيكون بحثنا في ذلك انطلاقا مما جاءت به نصوص القرآن الكريم. ويتم النظر في ذلك –إن شاء الله– من خلال مبحثين:

المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على أمن الأمة وعيشها.

المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على أمن الأمة وعيشها.

المبحث الأول:

أثر العقيدة الصحيحة على أمن الأمة وعيشها

إن مسألة الأمن وما يتحقق للمجتمع في ظله من طمأنينة وسكينة، بالإضافة إلى وفرة الرزق وأسباب العيش، من المسائل التي لا غنى لأمة عنها في هذه الحياة، ومن غيرهما لا

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يتوقع لأمة أن تهنأ أو تسعد. فهل لكون أمة ملازمة لعقيدة التوحيد أثر في تحقق الأمن والرزق الضروريين لسعادتها وهنائها في عيشها؟

إذا تأملنا نصوص القرآن الكريم وجدناها تعتبر الرزق نعمة تحصل للأمة إذا آمنت بربها وحققت تقواه. قال تعالى:﴿❑◆♐︎❑⬀ 🕮❑♌︎❑ 🕮❑♎︎⬃✍︎•

✄➑◆➋➔◗⬂♐︎🙰✄ ➚◆✄♗︎◆☪︎⇱❑✄☎︎
☎︎✄⬀❑•◗❑✍︎🙰✄◆❑ 🙰◆☪︎⬄•◆✌︎☒▩•♐︎
☠︎⛮&⬀➌■🖬◆⇱ 🖃♦➋♦🖅⊠🕔💣🖃 ⌘♊︎⛫♓︎✌︎
✄◆❑🙰⬀⚇◯◯♐︎🙰✄ ⛫➚✎🙰◆❑ ⮈⮟⬀❻☞︎❀🙰✄◆❑
❑◆♐︎❑•🕔▤⬁♊︎ ☎︎✄❑⬅︎🖃⦿⓿☒🖅
▭•⛾❑❀•⓿⬂☼◆🕔♑︎⬅︎💣 🙰⊡☺︎⛮🖃
☎︎✄❑⬅︎☼🙰•🗎 ◆♌︎❑⬅︎🖮⬁◯⬂▤◆➂
⬀⛮⛮⮈﴾.[1]

فنصت الآية على أن الأمم الغابرة –وهم من وصفتهم بـ ﴿🕮❑♎︎⬃✍︎•

✄➑◆➋➔◗⬂♐︎🙰✄﴾(2)–، " لو أن

﴿➚◆✄♗︎◆☪︎⇱❑✄﴾: أي صدقوا،

﴿❑◆✄🙰✍︎❑◗•❑⬀✄﴾: أي الشرك [لكان عاقبة ذلك فيض النعم وسعة الأرزاق وهو ما عبرت عنه الآية بـ ﴿♐︎•▩☒✌︎◆•⬄☪︎◆🙰
☠︎⛮&⬀➌■🖬◆⇱ 🖃♦➋♦🖅⊠🕔💣🖃 ⌘♊︎⛫♓︎✌︎
✄🙰♐︎◯◯⚇⬀🙰✎➚⛫ ❑◆✄🙰❀☞︎❻⬀⮟⮈﴾

يعني المطر والنبات..."(3)، أي " أتاهم الغيث من السماء والنبات من الأرض وجعل ذلك زاكيا كثيرا "(4).

والآية تقرر أن من آثار العقيدة الصحيحة حصول الرزق الواسع، وانفتاح البركات من السماء والأرض. وقد جاءت هذه الآيات عقب حديث السورة (سورة الأعراف) عن

---

[1] الأعراف: 96.

[2] " يقال للمدينة قرية لاجتماع الناس فيها من قريت الماء إذا جمعته " تفسير القرطبي ج: 7 ص: 253

[3] تفسير القرطبي ج: 7 ص: 253

[4] زاد المسير ج: 3 ص: 234

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إهلاك أمم بسبب كفرهم؛ وهم: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون، ثم نصت على أنهم لو آمنوا لحصل لهم وفرة النعم وسعة الأرزاق.

وقد جاء في سورة المائدة زيادة تفصيل لذلك في معرض حديث السورة عن بني إسرائيل، قال تعالى: [illegible] .[1]

وإننا إذا قارنا بين الآيتين معا، وجدنا أن الأولى جعلت الإيمان والتقوى سببا لانفتاح البركات من السماء والأرض، أما الثانية فجعلتهما سببا لتكفير السيئات ودخول جنات النعيم، ثم جعلت سبب البركات إقامة التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، ولعل ذلك لأن الإيمان في آية الأعراف هو ذو الصبغة الجماعية التي تصبغ الأمة بكاملها والذي تنشأ عنه بصورة آلية تقوى والتزام جماعي يتمثل في الأمة بإقامة ما أنزل إليها من ربها، ويشهد لذلك أن آية الأعراف والآيات التي تسبقها تتحدث عن أمم لا عن أفراد، أما آية المائدة فهي تتحدث عن بني إسرائيل كأفراد ثم كأمة؛ فلما كان الحديث عن الأفراد كان

---

[1] المائدة: 65-66.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إيمانهم وتقواهم موصلا لهم إلى دخول الجنة وتكفير السيئات وهي مسألة فردية:

، ولما صار الحديث عن الأمة صار الأمر يتجاوز الإيمان الفردي إلى إيمان يتمثل في سلوك أمة أو في سلوك العموم الغالب من أفرادها

، ولذلك لم ينفعهم التزام أفراد

لما كان الانحراف غالبا على العموم

.

والذي يهمنا هنا هو الآية التي تتحدث عن الجماعة والعموم، قال البغوي في تفسيرها: "

: يعني أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما،

: يعني القرآن، وقيل كتب أنبياء بني إسرائيل:

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

﴾: قيل من فوقهم هو المطر ومن تحت أرجلهم نبات الأرض، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض، وقال الفراء أراد به التوسعة في الرزق كما يقال: فلان في الخير من قرنه إلى قدمه نظيره قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[1]، ﴿[illegible]﴾: يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿مقتصدة﴾: أي عادلة غير غالية ولا مقصرة جافية ومعنى الاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير ﴿[illegible]﴾: كعب بن الأشرف وأصحابه: ﴿[illegible]﴾: بئس ما يعملون: بئس شيئا عملهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم ... "([2]).

فقد بين البغوي أن ما نصت عليه الآية من إقامة التوراة والإنجيل هو إقامة أحكامهما والعمل بما فيهما، وأن تحقق ذلك كان حقيقا بأن يفتح عليهم رزقا واسعا، وأن ذلك لم يحصل لهم مع أنه كانت منهم " أمة عادلة غير غالية ولا مقصرة جافية" لأن كثيرا منهم " بئس ما يعملون".

[1] الأعراف : 96.

[2] تفسير البغوي 2/51.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كما يلاحظ ربط البغوي بين هذه الآية وآية الأعراف إذ قال:" نظيره قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾"، وهو هنا يوصلنا إلى استنتاج أمرين:

أحدهما: أن الإيمان الذي يحصل منه الرزق الواسع والبركات من السماء والأرض ليس مسألة فردية بل هو شيء يغلب على عموم الأمة فيجعلها تقيم ما أنزل إليها من ربها، وأنه لا تأثير للفئة القليلة بل للفئة الغالبة الكثيرة ﴿ [illegible] ﴾.

والثاني: أن هذه سنة ماضية في جميع الأمم، صدقت على أهل القرى، وصدقت على بني إسرائيل، وتصدق على كل أمة أخرى في كل زمن ومكان.

على أن في كلام البغوي إشارة إلى وقوع الاختلاف في تحديد بعض ما نصت عليه الآية، وقد لخصه ابن الجوزي في تفسيره فقال:" ... ﴿ [illegible] ﴾: قال ابن عباس: عملوا بما فيهما، وفي ﴿ [illegible] ﴾ قولان: أحدهما: كتب أنبياء بني إسرائيل، والثاني: القرآن لأنهم لما خوطبوا به كان نازلا إليهم، قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ فيه قولان: أحدهما: لأكلوا بقطر السماء ونبات الأرض وهذا قول ابن عباس ومجاهد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقتادة، والثاني: أن المعنى لوسع عليهم، كما يقال: فلان في خير من قرنه إلى قدمه، ذكره الفراء والزجاج ... قوله تعالى:﴿✌♓✋✍☸⬀&⬋☠⬀ 🕮⬆✌☐☐➢
✌❿☽⬂☞♦🕐⬁⑨⬓☐➢ ☎ ﴾: يعني من أهل الكتاب وهم الذين أسلموا منهم، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال القرظي: هم الذين قالوا المسيح عبد الله ورسوله "([1]).

فذكر ابن الجوزي الاختلاف في أمور ثلاثة:

1- الاختلاف في كون المقصود بما أنزل إليهم من ربهم إما القرآن أو كتب أنبياء بني إسرائيل.

2- الاختلاف في كون المقصود بأكلهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم على سبيل الحقيقة فيكون المعنى أكلهم بقطر السماء ونبات الأرض، أو على سبيل التوسعة فيكون المعنى لوسع عليهم بهذا وبغيره.

3- الاختلاف في كون الأمة المقتصدة من آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من قالوا من النصارى المسيح عبد الله.

والاختلافان الأول والثالث مردهما إلى النظر إلى الزمان؛ فمن رأى أن هذه الآية في الذين كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن ما أنزل إليهم من ربهم هو كتب أنبياء بني إسرائيل وإن الأمة المقتصدة هم الذين قالوا المسيح عبد الله، ومن رأى أن الآية في الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن ما أنزل إليهم من ربهم هو القرآن الكريم، وإن الأمة المقتصدة مسلمة أهل الكتاب من أمثال عبد الله بن سلام وأبي بن كعب، وأما القول الثاني فعلى تقدير حصول البركات برزق السماء ونبات الأرض، فإن ذلك لا ينفي حصوله بغيره –والله أعلم-.([2])

---

[1] زاد المسير ج: 2 ص: 395

[2] قد ذكر الألوسي في تفسير الآية كلاما مخالفا للمعهود وأنا أثبته بحرفه، قال:" ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا﴾ الإيمان الحقيقي واتقوا شرك أفعالهم وصفاتهم وذواتهم ولو أنهم آمنوا بالعلوم الظاهرة واتقوا الإنكار والاعتراض على من روى من العلوم الباطنة وسلموا لهم أحوالهم كما قيل: وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار ﴿لكفرنا عنهم سيآتهم﴾ التي ارتكبوها ولأدخلناهم جنات النعيم في مقابلة إيمانهم واتقائهم ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة﴾ بتحقق العلوم الظاهرة والقيام بحقوق تجليات الأفعال والمحافظة على أحكامها في المعاملات ﴿والإنجيل﴾ بتحقق علوم الباطن والقيام بحقوق تجليات الصفات والمحافظة على أحكامها في المكاشفات ﴿وما أنزل إليهم من

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والحاصل أن الإيمان والتقوى سبب لانفتاح البركات من السماء والأرض على بني إسرائيل أو على غيرهم، ولذلك قال ابن الجوزي بعد ذكر الأقوال في الآية:" وقد أعلم الله تعالى بهذا أن التقوى سبب في توسعة الرزق كما قال:﴿ ﴾[1]، وقال:﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[الطلاق: 3] ... "([2]).

هذا ولقد جاء النص في آية أخرى على سبب آخر لحصول الرزق الواسع وهو الاستغفار، قال تعالى –على لسان نوح عليه السلام-:﴿ ﴾

ربهم من علم المبدأ والمعاد وتوحيد الملك والملكوت من عالم الربوبية الذي هو عالم الأسماء ﴿لأكلوا من فوقهم﴾ أي لرزقوا من العالم الروحاني العلوم الإلهية والحقائق العقلية والمعارف الحقانية ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ أي من العالم السفلي الجسماني العلوم الطبيعية والإدراكات الحسية وبالأول يهتدون إلى معرفة الله تعالى ومعرفة الملك والجبروت وبالثاني يهتدون إلى معرفة عالم الملك فيعرفون الله تعالى إذا تم لهم الأمر إن باسمه الباطن والظاهر بل بجميع الأسماء والصفات وللطيبي هنا كلام طيب يصلح لهذا الباب فإنه قال بعد أن حكى عن البعض أنه قال في ﴿لأكلوا﴾ الخ أي لوسع عليهم خير الدارين وقلت هذا في حق من عدد سيئاتهم من أهل الكتاب إذا أقاموا مجرد حدود التوراة والإنجيل فما ظنك بالعارف السالك إذا قمع هوى النفس وانكمش من هذا العالم إلى معالم القدس معتصما بحبل الله تعالى وسنة حبيبه –صلى الله عليه و سلم– فانه تعالى يفيض على قلبه سجال فضائله وسحائب بركاته فكمن فيه كمون الأمطار في الأرض فتظهر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفى تعليق الأكل من فوق ومن تحت الأرجل على الإقامة بما ذكر واختصاص من الابتدائية ما يلوح إلى معنى قوله عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم لأنهم إذا أقاموا العمل بكتاب الله سبحانه استنزل ذلك من فوقهم البركات فإذا استجدوا العمل لتلك البركات المتزلة وقاموا عليها بثبات أقدامهم الراسخة استنزل ذلك لهم من الله عز وجل بركات هي أزكى من الأولى فلا يزال العلم والعمل يتناوبان إلى أن ينتهي السالك إلى مقام القرب ومنازل العارفين وفى ذكر الأرجل إشارة إلى حصول ثبات القدم ورسوخ العلم وفى اقترانها مع تحت دلالة على مزيد الثبات وأنهم من الراسخين المقتبسين علومهم من مشكاة النبوة دون المتزلزلين الذين أخذوا علومهم من الأوهام ... وقد وجه بعض أهل العبارة ممن هو مني فى موضع التاج من الرأس لازال باقيا ذكر الأرجل هنا بأنه للإشارة إلى أن المراد بقوله سبحانه من تحت أرجلهم الأمور السفلية الحاصلة بالسعي والاكتساب كما أن المراد بقوله تعالى ومن فوقهم الأمور الحاصلة بمجرد الفيض وحينئذ يقوى الطباق بين المتعاطفين ولعلك تستنبط مما ذكره الطيبي غير هذا الوجه مما يوافق أيضا مشرب أهل الظاهر فتدبر ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ قيل عادلة واصلة إلى توحيد الأسماء والصفات وكثير منهم ما يعملون وهم المحجوبون بالكلية الذين لم يصلوا إلى توحيد الأفعال بعد فضلا عن توحيد الصفات والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل " روح المعاني ج: 6 ص: 187

[1] الأعراف: 96.

[2] ابن الجوزي، زاد المسير 395/2.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

.[1]

فقد وعظ نبي الله نوح –عليه السلام- قومه، ومن جملة ما وعظهم به ليؤمنوا بربهم أن أمرهم بالاستغفار ، وأخبرهم أن ربهم يترل عليهم بسببه الغيث ويمدهم بالأموال والبنين والجنات والأنهار، قال ابن جرير": وقوله يقول: فقلت لهم: سلوا ربكم غفران ذنوبكم وتوبوا إليه من كفركم وعبادة ما سواه من الآلهة ووحدوه وأخلصوا له العبادة، يغفر لكم إنه كان غفارا لذنوب من أناب إليه وتاب إليه من ذنوبه، وقوله : يقول: يسقيكم ربكم إن تبتم ووحدتموه وأخلصتم له العبادة الغيث فيرسل به السماء عليكم مدرارا متتابعا ... وقوله: يقول: ويعطكم مع ذلك ربكم أموالا وبنين فيكثرها عندكم ويزيد فيما عندكم منها : يقول: يرزقكم بساتين ويجعل لكم أنهارا تسقون منها جناتكم ومزارعكم ..."([2]).

---

[1] نوح: 10-12.

[2] تفسير الطبري ج: 29 ص: 93-94.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فهذه الآية نص على أن الاستغفار سبب للرزق، وليس الرزق فقط بل لما يحصل منه كمال المتعة والتنعم من البنين والجنات والأنهار، ومن الواضح أن هذا الاستغفار ليس شيئا فرديا ولكنه استغفار أمة كاملة.

وهذا الذي خاطب به نوح —عليه السلام- قومه، تكرر بعد ذلك على لسان أخيه في النبوة هود —عليه السلام-، قال تعالى —على لسان هود- [illegible]:

[illegible] .[1]

فهل تنص الآيتان على مجرد الاستغفار فقط، أم تنصان على الاستغفار والتوبة من الكفر؟ إننا إذا نظرنا في مخاطبة النبيين —نوح وهود عليهما السلام- لقومهما، وجدنا أنهما يخاطبان قوما من الكفار، ومثل هؤلاء إذا أمروا بالاستغفار، أمروا أول ما أمروا بالاستغفار من الكفر، وليس يتحقق ذلك إلا بالتوبة منه والأوبة إلى الإيمان، وهو ما نص عليه ابن جرير صراحة حين قال في تفسير الآية:" وقوله [illegible]

[illegible] [2]، يقول: فقلت لهم سلوا ربكم غفران ذنوبكم وتوبوا إليه من كفركم وعبادة ما سواه من الآلهة ووحدوه وأخلصوا له العبادة يغفر لكم إنه كان غفارا لذنوب من أناب إليه وتاب إليه من ذنوبه "([3])، وعلى هذا فإن الآية تنص على نفس ما نصت

---

[1] هود: 52.

[2] نوح: 10.

[3] ابن جرير، جامع البيان 29/93-94.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عليه الآيات السابقة من كون الإيمان سببا للرزق وانفتاح البركات من السماء والأرض، غير أن في الاستغفار من الكفر معنى زائدا.

هذا ومع كون الاستغفار من الكفر سببا للرزق، فإن ذلك لا ينفي كون الاستغفار من غيره من الذنوب محصلا لذلك، وقد حكى ابن جرير هذا الأمر عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–، قال:" وقد حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا سفيان عن مطرف عن الشعبي قال: خرج عمر بن الخطاب يستسقي فما زاد على الاستغفار ثم رجع، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت؟ ! فقال لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ:﴿ ✁✍✁☜◆⇔⬂➋⬉❐✁☎ ❻◆✉★▤➚☠⬀ ☽⊘☼✵○⬅⊕ ✉⊠♘♍♋ ➘⊠▦⊙✍❻✡✁ ⇧⇩⇩⇧ ③⬉➋⬀✍⇧✎⇧ ↘◆✉▣■⓿⬂▤➚✉ ✁✍◎♒○○☺⊠✍✎➚◆ ✋♓✎⑨⇳❻◆✁❻✡✁ ⇧⇩⇩⇧ ﴾ وقرأ الآية التي في سورة هود حتى بلغ ﴿ ❐◆③◆❽⊠⑩⬃▤→☠⬀ ♘→❐▪❐⊕ ☽⊘▢■❼▤ ♘→❐▪✍✎▤➚☠⬀ ﴾"([1]).

فعمر –رضي الله عنه– استدل بعموم الآية على أن الاستغفار من الذنوب سبب للرزق فاستسقى بالاستغفار، ولا ريب أن الشرك بالله رأس كل ذنب ومع ذلك فهو لا ينفي طلب الرزق بالاستغفار من غيره.

وعليه فإن الإيمان والعمل بما أنزل الله والاستغفار من الذنوب سبب لانفتاح البركات من السماء والأرض وسعة الأرزاق، ولكن هل يمكن فهم ذلك على مستوى الأسباب؟

لقد طرح صاحب الظلال هذا الإشكال، مقررا أولا ثبات اعتقاد المؤمن به لأنه قد جاء به الوحي، ثم محاولا الإجابة عنه فقال:" فذلك هو الطرف الآخر لسنة الله الجارية . فلو أن أهل القرى آمنوا بدل التكذيب ، واتقوا بدل الاستهتار ؛ لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض . . هكذا .. بركات من السماء والأرض مفتوحة بلا حساب . من

---

[1] نفسه

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فوقهم ومن تحت أرجلهم . والتعبير القرآني بعمومه وشموله يلقي ظلال الفيض الغامر ، الذي لا يتخصص بما يعهده البشر من الأرزاق والأقوات . .

وأمام هذا النص – والنص الذي قبله – نقف أمام حقيقة من حقائق العقيدة وحقائق الحياة البشرية والكونية سواء وأمام عامل من العوامل المؤثرة في تاريخ الإنسان ، تغفل عنه المذاهب الوضعية وتغفله كل الإغفال . بل تنكره كل الإنكار ! . .

إن العقيدة الإيمانية في الله ، وتقواه ، ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة ، وعن خط تاريخ الإنسان . إن الإيمان بالله ، وتقواه ، ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض . وعدا من الله . ومن أوفى بعهده من الله ؟ "[1].

فيقرر سيد قطب أن فتح البركات على أهل الإيمان سنة إلهية([2])، وحقيقة من حقائق العقيدة التي لا تقر بها المذاهب المادية، و يقول: إن المؤمنين يتلقون ذلك بالقبول والتسليم، ثم يحاول بعد ذلك أن ينظر في تحقق ذلك على مستوى الأسباب، فيقول:" ونحن – المؤمنين بالله – نتلقى هذا الوعد بقلب المؤمن ، فنصدقه ابتداء، لا نسأل عن علله وأسبابه ؛ ولا نتردد لحظة في توقع مدلوله . . نحن نؤمن بالله – بالغيب – ونصدق بوعده بمقتضى هذا الإيمان . .

ثم ننظر إلى وعد الله نظرة التدبر – كما يأمرنا إيماننا كذلك – فنجد علته وسببه !

إن الإيمان بالله دليل على حيوية في الفطرة ؛ وسلامة في أجهزة الاستقبال الفطرية ؛ وصدق في الإدراك الإنساني ، وحيوية في البنية البشرية ، ورحابة في مجال الإحساس بحقائق الوجود . . وهذه كلها من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية .

والإيمان بالله قوة دافعة دافقة ، تجمع جوانب الكينونة البشرية كلها ، وتتجه بها إلى وجهة واحدة، وتطلقها تستمد من قوة الله ، وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها،

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن 1338/9

[2] انظر لمزيد من التفصيل: د. حسين شرفه، سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة –أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، تخصص الكتاب والسنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 1424-1425هـ/2003-2004م.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وفي دفع الفساد والفتنة عنها ، وفي ترقية الحياة ونمائها . . وهذه كذلك من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية "([1]).

إن سيد قطب يقرر أمرين:

أحدهما: أن عقيدة المؤمنين تجعلهم يتلقون هذا الأمر بالتصديق بل بالاستيقان الذي لا يخالطه أو يساوره شك لأنه قد جاءت به النصوص، خلافا للمذاهب الوضعية التي تسقطه من حسابها، بل تتلقاه بالتكذيب والإنكار.

والثاني: أن المؤمن بعد هذا التسليم –حين يتأمل– يمكن أن يجد بعض التفسير لذلك على مستوى الأسباب؛ ذلك أن الإيمان بالله يجعل الأمة أقدر على السعي والكسب، وأقرب إلى تحصيل أسباب الرخاء لأن الإيمان يجعل أهله سليمي الفطر، سليمي أجهزة الاستقبال، صادقي الإدراك ويمدهم بمؤهلات النجاح.

إذن فقد قرر القرآن الكريم أن الإيمان والاستغفار من الكفر وتوابعه من المعاصي وما يتفرع عنه من إقامة أحكام الله المنزلة في ما أوحى إلى عباده سبب للرزق وانفتاح البركات من السماء والأرض ونزول الغيث والإمداد بالأموال والبنين والجنات والأنهار وأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وقد جاء في آيات أخرى النص على أن هذه النعم تجب مقابلتها بعبادة الله، قال تعالى: ❁“ॐ③◘■🕐✂⬁ 🔔➔❷♦③⬀🕐👍
⬀⬂⬁ ☽♑♑🕐⌚♦🕐▦♐♑♑☠⬀ ❻♐○⇳✂♦🕯♦
✂🙰⌚⌖♏♐✌♦🙰✏↗♐
❐♦✂🙰⌚🕐❍⓿⬂✂⬁ ⬀⚔⬁
▫♦◘▫⓿♦➔⬃⌛←♦⑨←❐✂☎ ❻♦⚇○
♎◰🕐⓿⊠✂ ✂🙰⌚♐⬂⌨♦❹⬂💣♐ ⬀▩⬁
✂🙰✏⍋🔔♐❾✓ 🕮❐⊂⇳➔◰☺◰♑←🏳 ✌♓♐♊
♉↖❐⬋🖰 ❐♦↗♦✂✌♦✡❐♑←☠ ✌♓♐♊⇳
⌘◰❐⬀🙰⊙ ⬀♐⬁❁.[2]

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن 1338/9.

[2] قريش: 1-4.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فقد نصت السورة على أن قريشا عليهم أن يعبدوا رب البيت –أي الكعبة- لأنه هو الذي أطعمهم وأمنهم، فكانت هذه العبادة أقل درجات الشكر الذي ينبغي لله، قال ابن كثير:" ... ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: [illegible] أي: فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما، كما قال تعالى: [illegible][1]، وقوله تعالى [illegible]: أي هو رب البيت ،وهو الذي أطعمهم من جوع، [illegible]: أي تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا "([2]).

فقد أمرت قريش –وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من خوطب بالرسالة- أن يقابلوا ما أنعم الله به عليهم من الرزق والأمن بعبادة الله رب البيت. وللبيت –أي الكعبة- بالنسبة لقريش مترلة خاصة؛ فبالإضافة إلى ما يحمله من معاني القداسة والإجلال فهو سبب لجلب الرزق إليهم لما يحصل لهم من المنافع بسبب حج الناس إليه: [illegible]

---

[1] النمل: 91.

[2] تفسير ابن كثير ج: 4 ص: 554

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] ﴾[1]، وقد

اكتسبوا بسببه أيضا أمنا وهيبة: ﴿[illegible]

[illegible] ﴾[2]، وهذه أسباب مجتمعة أقلها

يوجب إفراد الله —سبحانه— وحده بالعبادة " هو رب البيت وهو

[illegible] ﴾: أي تفضل عليهم بالأمن والرخص..."([3]).

وقد أشار ابن كثير في تعليقه على الآية إلى أن هذه العبادة التي أمرت قريش أن تقابل بها نعمة الله هي شكر لتلك النعمة، أو كما قال:" أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿[illegible]﴾"، وهو أمر قد نص عليه بصورة جلية في آيات أخرى كآيات سورة سبأ —وسنعود إليه في موضعه إن شاء الله—.

على أننا لن نستطيع أن نمنع أنفسنا من أن نقول: إن سورة قريش تتحدث عن قريش بصورة محددة، خاصة وأن الحرم الآمن مختص بهم من دون سائر الناس، أفلا يدل ذلك على اقتصار هذا الأمر على قريش وحدهم من دون سائر الناس؟

[1] القصص: 57.

[2] العنكبوت: 66.

[3] تفسير ابن كثير ج: 4 ص: 554

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إننا حين ننظر في نصوص أخرى من القرآن الكريم نجد أن هذا الأمر قد توجه إلى قوم آخرين من غير قريش، وقد حملت سورة سبأ –على وجه الخصوص– نموذجين متضادين لمن توجه إليهم هذا الأمر:

1- النموذج الأول: يمثل طائفة المنعمين الشاكرين من أهل الإيمان ممثلا في آل داوود –عليه السلام–، قال تعالى: [illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible].[1]

والمعنى: " [illegible]: أي على سائر الأنبياء وهو ما ذكر بعد، أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن، [illegible]: رجعي معه التسبيح أو النوحة على الذنب، وذلك إما بخلق صوت مثل صوته فيها، أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمر ما فيها، أو سيري معه حيث سار، ﴿والطير﴾: عطف على محل الجبال ... [illegible]: جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بإلانته أو بقوته، [illegible]: أمرناه أن اعمل ... [illegible]: دروعا واسعات ... وهو أول من اتخذها: [illegible]: وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها؛ فلا تجعلها دقاقا فتقلق، ولا غلاظا فتنخرق ...

---

[1] سبأ: 10-13.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

: الضمير فيه لداود وأهله،

:

فأجازيكم عليه "[1].

ولم يكن سليمان أقل نعمة من أبيه داوود –عليهما السلام-:"

: قرأ الجمهور: الريح بالنصب على تقدير: وسخرنا لسليمان الريح كما قال الزجاج، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه بالرفع على الابتداء والخبر، أي: ولسليمان الريح ثابتة أو مسخرة، وقرأ الجمهور: الريحَ، وقرأ الحسن وأبو حيوة وخالد بن إلياس: الرياح بالجمع،

: أي تسير بالغداة مسيرة شهر وتسير بالعشي كذلك ... والمعنى: أنها كانت تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين، قال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقيل بإصطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم يروح من إصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر،[2]

: القطر النحاس الذائب، قال الواحدي[3]: قال المفسرون: أجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وإنما يعمل الناس اليوم بما أعطى سليمان، والمعنى: أسلنا له عين النحاس كما ألنا الحديد لداود، وقال قتادة:

---

[1] تفسير البيضاوي 4/ 393-394.

[2] أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن، انظر: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن 127/3، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1: 1410.

[3] انظر: الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 879/2

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أسأل الله له عينا يستعملها فيما يريد، ✿❒◆✌♉♊⌘
✂✍♌☜↗✍♊♎♖ ✌◆♊ ③◆➔⇗☺◩✍↖
✉◆✓⇗✖◆ ③◆⑨◩③⇗❍♉
✉♑✉❶⇘♌⇗ ❻◆✉■♑❍♉⌚ ☎ ✿...

والمعنى: وسخرنا له من يعمل بين يديه حال كونه من الجن بإذن ربه، أي: بأمره ... ❒◆✌◆♊ ③◆❽✖⇘▫ ✌♉☸⇗♑↙☠⇗
↖◆♊⇳ 🕮❒☟⇗❺✎☼◆✍ :✿ أي ومن يعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرنا به وهو طاعة سليمان، ☼⇦⓿♖♔⇘❍⇦
✌♉♊⇳ ↖◆⓿☒✂☢♖
✂✍♎❍❍➔♉❷❸♑ :✿ قال أكثر المفسرين: وذلك في الآخرة، وقيل: في الدنيا، قال السدي: وكل الله بالجن ملكا بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة فتحرقه "[1].

وكان هؤلاء الجن الذين سخروا بأمرهم لسليمان —عليه السلام- يصنعون له أشياء عجيبة، فكانوا:" ✿③◆➔⇗☺◩▣➔❑♌◆
♎⬧❍⇦⌚ ✍◆✌ ④❑⌖◆✍✎↗↓ :✿ تفصيل لما ذكر من عملهم، وقوله تعالى:✿✌♉♊
☝⦿◆❑⌚❷✖③▣✿...الخ بيان لما يشاء أي: من قصور حصينة ومساكن شريفة، سميت بذلك لأنها يذب عنها ويحارب عليها، وقيل هي المساجد "[2]، " والمحاريب في اللغة: كل موضع مرتفع، وهي الأبنية الرفيعة والقصور العالية، قال المبرد: لا يكون المحراب إلا أن يرتقى إليه بدرج، ومنه قيل للذي يصلى فيه محراب لأنه يرفع "[3].

---

[1] الشوكاني، فتح القدير 316/4.
[2] تفسير أبي السعود 125/7.
[3] الشوكاني، فتح القدير 316/4.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويعملون له أيضا تماثيل وهي:" صور الملائكة والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على ما اعتادوه؛ فإنها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم... وروي أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد ان يصعد بسط الأسدان ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما "[1]، " والتماثيل: جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء: أي صورته بصورته من نحاس أو زجاج أو رخام أو غير ذلك، قيل: كانت هذه التماثيل صور الأنبياء والملائكة والعلماء والصلحاء، وكانوا يصورونها في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا، وقيل: هي تماثيل أشياء ليست من الحيوان، وقد استدل بهذا على أن التصوير كان مباحا في شرع سليمان ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم "[2].

" وجفان: جمع جفنة وهي الصحفة، ﴿ ✉☒🔔✍💻⬂♑❑❑◆✂☸✈ ﴾: كالحياض الكبار، جمع جابية: من الجباية لاجتماع الماء فيها، وهي من الصفات الغالبة كالدابة، وقرئ بإثبات الياء، قيل: كان يقعد على الجفنة الف رجل "[3].

" ﴿ ❑◆🔔➔⑨←❑❻◉➰ ❻▪✂☙⬀⓿◆🕔✳💣✌ 🗐 ﴾: قال قتادة: هي قدور النحاس تكون بفارس، وقال الضحاك: هي قدور تنحت من الجبال الصم عملتها له الشياطين، ومعنى راسيات: ثابتات لا تحمل ولا تحرك لعظمها"[4].

" ثم أمرهم سبحانه بالعمل الصالح على العموم: أي سليمان وأهله فقال:﴿ ✂✍⇖⇳☺◰◙➔❑☑✂☎ ⇗◆✂✌◆ ⑩◰✂❑⇖🕛⑩◰ ⅄⇗▤⬁❷☯✂ 🗐 ﴾: أي وقلنا

---

[1] تفسير أبي السعود 125/7
[2] الشوكاني، فتح القدير 316/4.
[3] تفسير أبي السعود، 126/7.
[4] الشوكاني، فتح القدير 316/4.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لهم: اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما آتاكم، أو اعملوا عملا شكرا على أنه صفة مصدر محذوف، أو اعملوا للشكر على أنه مفعول له أو حال: أي شاكرين، أو مفعول به، وسميت الطاعة شكرا لأنها من جملة أنواعه، أو منصوب على المصدرية بفعل مقدر من جنسه: أي اشكروا شكرا، ثم بين بعد أمرهم بالشكر أن الشاكرين له من عباده ليسوا بالكثير فقال:﴿ ❐◆♎︎⬧︎⬛︎♐︎⓿✍︎⮜ ✌︎♓︎♎︎♊︎⇳ ⬉♎︎⌛︎◆✍︎⑩♎︎❽⬚ ✂︎✍︎⦻♒︎⌖⦿▤⬈❑❻⬇ ﴾أي: العامل بطاعتي الشاكر لنعمتي قليل ... "[1].

2- وأما النموذج الثاني: فهو نموذج الكافرين لنعمة الله وهم سبأ الذين سميت السورة باسمهم -وسيأتي الحديث عنه بصورة مفصلة في المبحث الموالي إن شاء الله-.

فأما النموذج الأول فهو يتحدث عن آل نبوة أحدهما داوود عليه السلام الذي غمره فضل ربه وضرب به المثل في حسن التسبيح حتى إنه إذا سبح سبحت معه الجبال والطير، وألان له الحديد وعلمه صناعة الدروع، والثاني ابنه سليمان —عليه السلام- الذي وهب له ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وسخر له الريح تغدو مسيرة شهر وتروح مثلها، وأذاب له النحاس، وسخر له الجن تعمل بين يديه بإذن ربه، فتبني له ما يشاء من قصور وقصع كالأحواض وقدور لضخاماتها راسيات لا تتحرك... وقيل لآل داود -وهم أهل نبوة وطاعة وتسبيح وأوبة- ﴿✂︎✍︎⬉⇳☺︎⬚⬛︎➔❑☑︎✂︎☎︎ ⬈◆✂︎✌︎◆ ⑩⬚✂︎❐⬉◷⑩⬚ ⅄⬈▤⬁❷☯︎✂︎ ▤ ❐◆♎︎⬧︎⬛︎♐︎⓿✍︎⮜ ✌︎♓︎♎︎♊︎⇳ ⬉♎︎⌛︎◆✍︎⑩♎︎❽⬚ ✂︎✍︎⦻♒︎⌖⦿▤⬈❑❻⬇ ⇫⬗⬂⬚﴾[2].

قال القرطبي:" ... و شكرا نصب على جهة المفعول أي اعملوا عملا هو الشكر وكأن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر إذ سدت مسده، ويبين هذا قوله

---

[1] فتح القدير ج: 4 ص: 316

[2] سبأ: 13.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1]، وهو المراد بقوله ﴿ [illegible] ﴾ وقد قال سفيان بن عيينة في تأويل قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]: أن المراد بالشكر الصلوات الخمس، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه فقالت له عائشة رضي الله عنها أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال:" أفلا أكون عبدا شكورا "[3]، انفرد بإخراجه مسلم، فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان؛ فالشكر بالأفعال عمل الأركان والشكر بالأقوال عمل اللسان والله أعلم "[4].

وذلك يدل على أن الأمر بمقابلة أنعم الله بالعبادة والشكر يعم قريشا وغيرهم، ولذلك قال ابن كثير عقب تفسيره لآيات سورة قريش:" ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

---

[1] ص: 24.

[2] لقمان: 14.

[3] صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة 2172/4 ح2820.

[4] تفسير القرطبي ج: 14 ص: 277

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] "[1] ()[2].

ولقد قرنت السورة إلى نعمة الرزق نعمة الأمن، وهي مكملة لها، ذلك أن العبد إذا لم يأمن لم يهنأ برزق ولا بنعمة أخرى.

هذا وقد قررت الآيات السالفة أن ما أمرت به قريش —ثم تبين لنا أنه متوجه لعموم الناس– من مقابلة أنعم الله بعبادة رب البيت هو صورة لشكر هذه النعم، وقد جاء النص في آيات أخرى على أن هذا الشكر هو مثبت النعم، وهو سبب الزيادة فيها كما قال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: [illegible]

[illegible]

---

[1] النحل : 112-113.

[2] تفسير ابن كثير ج: 4 ص: 554

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⧫✌🙪⬧🔔♦❑ ⬃⬧⬀ ⬧⑨③⑨♦⌖⬧🏵
☎✂▥❑⬉❷→▥⬁▤⬧✍ ♌⬧ ✂⬧◻🙪❑⬉👌
⬃⬀⬀❻☞🏵🙪✂ ❼⬧✗♊♦👌♦❑ ⬃☹⬈⬇☼❑🕮
⅄✎🙪✂ ·♍⬧✉⬧▫ 🙪✡➔⑩⬧☛⬧♎
⬃⬧⬀ ➘⑨⑩⬧☛☒❑ ▭⬧⬧♉⧫⬄⬧🏵 [1].

فموسى عليه السلام ذكر قومه أولا بما أنعم الله به عليهم من إنجائهم من آل فرعون، فقص القرآن الكريم خبره –ليتعظ به الناس ويعتبروا، وذلك " حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال، حيث كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم ويتركون إناثهم فأنقذهم من ذلك، وهذه نعمة عظيمة ولهذا قال: ﴿❑⧫✗⬧❼ ❶⬧🕓🏵⬧⌛→☠﴾

⬀☠→⌛⬧■📪▪❻ ♊⬧♓👌 ☒⬈✋☒⧫📪

﴾: أي نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك أنتم عاجزون عن القيام بشكرها، وقيل: وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل ﴿📪⧫☒✋⬈☒﴾: أي اختبار عظيم، ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا والله أعلم، كقوله تعالى: ﴿❑⧫📪⧫🖫■❑⬀☼⧫🕓♑←☠

⬧💣🕓◻✡✿○⬕⬧⬂🏵🙪🙪⬧📪
❑⧫✂🙪🏵○○⓿♒⬧★⧫🙪☠⬧
⧫♌❑⬉➔⬂♉⬀❷⧫③ ⬀☠←♑✵🖫⬕➔⬧🏵
⬃⬂⬧⬧⬀ ﴿()" [2]()[3].

ثم قرر –عليه السلام سنة إلهية ماضية تنطبق على بني إسرائيل وعلى غيرهم فقال:" ... ﴿❑⧫♐⬧❶⬂ ✍⬧🕯❑❶⅄♍⬧ ❻⧫📪⬧▤⬈☠⬀﴾: أي آذنكم وأعلمكم بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنى وإذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه، كقوله تعالى: ﴿❑⧫♐⬧❶⬂ ✍⬧🕯❑❶⅄♍⬧

❻⧫📪⑩⌨⬕ ⬧🏵⓿⧫⌛⬀➔⬕⬂○✗❑

---

[1] إبراهيم: 6-8.

[2] الأعراف: 168.

[3] تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 524

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

، [1] وقوله:

:

أي لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها،

: أي كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها،

:

وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها وقد جاء في الحديث:" إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه "([2])، ...

: أي هو غني عن شكر عباده، وهو الحميد المحمود وإن كفروه، كقوله:

الآية[3]، وقوله:

([4])، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال:" يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في

---

[1] الأعراف: 167.

[2] أخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر 670/1 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان، صحيح ابن حبان، باب ذكر الأخبار عما يستحب للمرء من الأدعية والمواظبة على الدعاء والبر 153/3، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات 1334/2 ح4022.

[3] الزمر: 7.

[4] التغابن: 7.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر "([1])، فسبحانه وتعالى الغني الحميد ... "([2]).

وفي الآية نص صريح على أن شكر من شكر يعود عليه وليس يضر الله كفر من كفر، وأن سنة الله في خلقه أن يديم النعم على أهل الشكر بل أن يزيدهم فيها.

وخلاصة القول في هذا المبحث أن من آثار العقيدة الصحيحة الأمن والطمأنينة وفيض البركات من السماء والأرض على المجتمع، وأن العبرة في استقامة اعتقاد الأمة للغالبية وليس للفئة القليلة، وأن هذه النعم تستلزم شكر الله وعبادته والعمل بما يرضيه وأن الشكر يثبت النعم ويزيد فيها.

هذا عن آثار العقيدة الصحيحة على مستوى ما يحصل للأمة من الأمن ورغد العيش، فما هي آثار العقيدة الفاسدة في نفس المجال.

ذلك ما يسعى للإجابة عنه في المبحث الموالي.

المبحث الثاني:

أثر العقيدة الفاسدة على أمن الأمة وعيشها

تقدم في المبحث السابق أن الإيمان سبب للرزق الوافر وانفتاح البركات من السماء والأرض والأمن والإمداد بالأموال والبنين والجنات والأنهار ...

فهل يحصل لمن يكفر بالله خلاف ذلك؟ وماذا عما أوتي أمثال فرعون وقومه من زخرف وزينة في الحياة الدنيا ؟

إننا إذا تأملنا النصوص التي قررت أن الإيمان سبب للرزق الواسع والعيش الرغيد، نجد أنها جميعا قررت بمفهوم المخالفة أن الكفر سبب للحرمان من هذه النعم، غير أنها لم تصرح

---

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم 1994/4 ح2577.

[2] تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 524

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بذلك وإنما ذكرت مرحلة أشد منه وهي الأخذ والإهلاك([1])، كما قال تعالى:﴿ [illegible] ﴾[2]، وقال:﴿ [illegible] ﴾[3].

ولعل الآيات لم تنص على ذلك نصا صريحا، لأنها عقوبة صغرى في جنب عقوبة أعظم، أو لأنها مفهومة من الخطاب فاستغني بالنص على ثمرات الإيمان عن ضدها من آثار الكفر.

---

[1] هي مرحلة تتلو الحرمان من الرزق والأمن وسيأتي الحديث عنها في الفصل الموالي –إن شاء الله-.

[2] الأعراف: 96.

[3] المائدة: 64-65.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم إننا نجد النص على ذلك بصفة صريحة في آية واحدة من سورة النحل، وهي قوله تعالى: ❁❒◆✪•❸◆✣⌘ ✁✍✦ ✍◆✦✤☒✦
🔔•❷⬀③◆❒☪ 🗎•✍☼◆💣⇳ ↗◆✁✍☐☐☪
❻❿➲⇳☺⬚¤✗☪☐☐☪ ③◆✁✍✪♑⬚✍
❻✗♌⬂🔔➔♑⬚✍ ❻◆➘☒⑨✡✁ ✍♓✪♊
✍↗✍♏⬀ ✍◆🗎•🔔♌🗏 ⇳☠◆❷☒▦☒⌛•▫
✍➔↖⚐⬏ ★✍✍✁
▫•✍❶•🕓🔔•♑⬚✍ ✦✍✍✁ “☐✍◆⌛✪✍
✁✍✍✍⬂✗➔❒↙⬀ ❒◆✁✍✍⬂②⬚❒⬀✍⬀
✍⬚☺✗✍ ☎✁❒🡐☼✍•🗎
③◆🕐⬄☪◆➔↖❒♍✍⬀✗⬂⬂⬀❁.[1]

فهذه قرية تضرب مثلا، والمثل يقصد منه العبرة؛ ففي ذلك دلالة واضحة على أن ما حل بهذه القرية ليس مقصورا عليها بل شامل لكل من يأتي بمثل فعلها وصفتها. قال البيضاوي في تفسير الآية: "❁❒◆✪•❸◆✣⌘ ✁✍✦ ✍◆✦✤☒✦ 🔔•❷⬀③◆❒☪❁: أي جعلها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا فأنزل الله بهم نقمته ".[2]

وهذه القرية كانت آمنة مطمئنة مرزوقة، ثم إنها أحدثت شيئا، فنزل بها بسببه عقاب: فأما ما أحدثت فهو مقابلة النعمة بالكفر، وأما العقاب الذي نزل بها فهو أن أذاقها الله لباس الجوع والخوف، ثم ضربها للناس مثلا يعتبرون به.

فأما القرية فقد ورد في المقصود بها " قولان:

أحدهما: أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح.

والثاني: أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع حتى كانوا يأكلون ما يقعدون قاله الحسن".[3]

---

[1] النحل: 112.

[2] تفسير البيضاوي ج: 3 ص: 423

[3] زاد المسير ج: 4 ص: 499

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومعنى ﴿ ﴾ ":﴿ ﴾ :﴿ لا يهاج أهلها، ﴾ :﴿ ﴾ من البر والبحر نظيره: ﴿ ﴾ الآية[1]"[2].

فعلى القول الأول الذي يرجحه ابن الجوزي، فإن قريشا لما لم تستجب لأمر الله و لم تعبد رب البيت الذي أطعمها من جوع وآمنها من خوف كما أمرت به في سورة قريش على ما تقدم، سلب منها هذا الأمن وسلب منها الرزق.

فأما إخلاف قريش للعهد الذي أخذ عليهم بعبادة رب البيت فقد عبرت عنه الآية بلفظ ﴿ ﴾، قال الشوكاني": ﴿ ﴾ : أي كفر أهلها ﴿ ﴾: التي أنعم بها عليهم، والأنعم جمع نعمة كالأشد جمع شدة، وقيل: جمع نعمى مثل بؤسى وأبؤس، وهذا الكفر منهم هو كفرهم بالله سبحانه وتكذيب رسله"[3].

إذن فكفرهم نعمة الله كان هو نفسه كفرهم بالله عز وجل وتكذيبهم رسله، لأن شكر نعمة الله يقتضي عبادته سبحانه، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ ﴾

---

[1] القصص : 57.

[2] تفسير القرطبي ج: 10 ص: 194

[3] فتح القدير ج: 3 ص: 200

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⇳♊🙰♓👌 ☠←♑□✡♦👌✂♦⬈♦❒ 🖰⬋❑⬉♉
⌘⬕❑⬀🙵⨀ ⬀🙰⬁ ﴾[1]، فقد جعلت العبادة وسيلة لشكر النعمة، وفي المقابل فإن ترك العبادة والتوحيد كفر لهذه النعمة.

وقد كانت عاقبة هذا الكفر ما عبرت عنه الآية بعبارة:﴿
“□🙵♦⌛🙰♍ ✦✎🙵✂ 🙵⬕♑⬩🔔🕒⬩➊❒🕯⬩▫
⬀🙵⬀❑⬕②⬂♍🙵✂♦❒ ⬀⬋❑➔♐⬂♍🙵✂
☎✂❑←☼🙵•🖹 🙵⬕☺⛐📫
③♦🕐⬄☪♦➔⬉❑♍♒﴾، ويلاحظ أن الآية قد مثلت هذا الجوع والخوف باللباس. قال ابن جرير:" وقوله ﴿▫⬩🕯❒➊⬩🕒🔔⬩♑⬕🙵
⬀⬋❑➔♐⬂♍🙵✂ “□🙵♦⌛🙰♍ ✦✎🙵✂
⬀🙵⬀❑⬕②⬂♍🙵✂♦❒﴾: يقول تعالى ذكره: فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمترلة اللباس لها، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العلهز والجيف. قال أبو جعفر: والعلهز الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه ، وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم، وقوله ﴿📫⛐☺⬕🙵
☎✂❑←☼🙵•🖹 ③♦🕐⬄☪♦➔⬉❑♍♒﴾: يقول: بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ويجحدون آياته ويكذبون رسوله "[2].

فأوضح ابن جرير أنهم قد أصابهم الجوع لسنوات حتى أكلوا شيئا تستقذره النفوس وهو العلهز والجيف، وأما الخوف فقد كان بسبب سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم.

كما ذكر أن هذا الجوع خالط أذاه أجسامهم حتى صار بمترلة اللباس فلذلك عبر عنه باللباس لأنه يخالط البدن كما يخالطه اللباس.

---

[1] قريش: 3-4.

[2] تفسير الطبري ج: 14 ص: 187

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد ذكر القرطبي في ذلك معنى آخر، قال:" ﴿ ♦□♦❒❶♦🕓🔔♦♑❐ ✂✎✦ ﴾: أي أذاق أهلها ﴿ ◉♑⧖♦ ❞ ✂♦❒ ◎②❐❑⬀ ⬀⬋⬀❑⬋⬀ ✂ ⬀⬋⬀ ﴾: سماه لباسا لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس ... "[1].

كما أننا نلحظ أن الآية قرنت صورة اللباس بصورة الذوق، والذوق في الإنسان مرتبط بحاسة اللسان، وهي من أدق الحواس إدراكا وأشدها شعورا بالألم، وقد " استعار الذوق لإدراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف "[2].

وقد وضع ابن كثير بحس المفسر المؤرخ[3] هذه الآية في سياقها التاريخي فقال:" هذا مثل أريد به أهل مكة فإنها آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمنا لا يخاف كما قال تعالى: ﴿ ❒♦🔔♦ ◉♑⬀❑☑✂☎ ☽♑♌ ☼❋☺⧖♑⬈⬀ ✂□●⬅⑨❐❽▤ ♦➔❐⌨❐ ☼⬅☝♦②❐➲⅄✂⇳ ♑♊⇳ ☼❋☺❐▤☺♑⬁♊ ◉♑⅄♑⬅⚐⇔ ❍❐❷♦✋🕐 ☼⬅☺❐❷♦🕐☠⬅ ⬀⬀♏⬀ ★☒♌⇔⬀📖 ⬈♦✂♑✡☪♑✡ ⑥⬈♑💾♦♌✂ ☽♑◉♦⓿⬂❍♑ ❻♒♌⬂🔔☸ ✎⅄→☼❋ ❞ ﴾[4]، وهكذا قال ها هنا: ﴿ ③♦🕯□✍⓿♑❐ ❻♌⬂🔔➔♑❐ ﴾: أي هنيئا سهلا ﴿ ♑♊♓✋ ⬀♏⬀ ❻♦⬊☒⑨✡✂ ﴾: ✋♦▤♦🔔♌▯ □♦⧖☒⊞☒❷♦☠⇳ ⬀♑🕯❒☼⬀➔⬉⚐⬀ ﴿ ✂✎★ ﴾: أي جحدت آلاء الله عليها وأعظمها بعثة محمد صلى الله عليه

---

[1] تفسير القرطبي ج: 10 ص: 194

[2] تفسير البيضاوي ج: 3 ص: 423

[3] إن ما يجيده المفسر من معارف يظهر أثره في تفسير النص ولذلك نجد تفاسير يغلب عليها الجانب الفقهي، وأخرى يغلب عليها جانب البلاغة، وأخرى الطابع الكلامي ... وقد اجتمعت عند ابن جرير ثم بعده ابن كثير علوم الحديث والسيرة والتاريخ إلى جانب ملكة التفسير مما يجعل لتفسيريهما طابعا خاصا.

[4] القصص : 57.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وسلم إليهم، كما قال تعالى:﴿ [illegible] ﴾[1]، ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما فقال:﴿ [illegible] ﴾:

"أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء ويأتيها رزقها رغدا من كل مكان، وذلك أنهم استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوا إلا خلافه، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم فأكلوا العلهز: وهو وبر البعير بدمه إذا نحروه، وقوله:﴿ [illegible] ﴾: وذلك أنهم بدلوا خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه، وجعل كل مالهم في دمار وسفال حتى فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم منهم وامتن به عليهم... "[2].

إذن فقد أبدل الله قريشا من أمنهم وسعة رزقهم لباسا من الجوع والخوف، ثم ضربهم مثلا للناس وجعل في حالهم عبرة، وذلك دليل على أن من آثار العقيدة الفاسدة سلب النعمة وتسليط الخوف والجوع.

وإننا نجد في سورة سبأ مثلا آخر لقوم أنعم الله عليهم ورزقهم رزقا واسعا، فكفروا نعمة الله فسلب الله منهم نعمته وبدل حالهم إلى البؤس، قال تعالى:﴿ [illegible]

---

[1] إبراهيم: 28-29.

[2] تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 590

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⍓✞③♦🕔💣▭ 🙞𝓮𝓻♋▤⬀🙜♏⬀ 🕒✿⌨✶🙡❻🙞
⅄☒▤⬀❑❻🙞⬀🙰⬂⬁ ﴾.[1]

وهذا المثل في هذه السورة جاء بعد مثل الشاكرين الذي سبق الحديث عنه[2]، وهو مثل آل داوود، فـــ " لما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين لها... "[3].

وسبأ المذكورون في الآية هم " ... القبيلة التي هي من أولاد سبأ: وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود. قرأ الجمهور ﴿🙞♋❍✿⌨♦✉﴾ بالجر والتنوين على أنه اسم حي: أي الحي الذين هم أولاد سبأ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لسبأَ﴾ ممنوع الصرف بتأويل: القبيلة، واختار هذه القراءة أبو عبيد، ويقوى القراءة الأولى قوله:﴿ ✗⍉❼ ☝♦❍⬄▤♦✡♋♍⍉☠⬀ ﴾، ولو كان على تأويل القبيلة لقال: في مساكنها ... "[4].

ومعنى أنه كان لهم في مساكنهم آية " ... لقد كان لولد سبإ في مسكنهم علامة بينة وحجة واضحة على أنه لا رب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها "[5]، أو "علامة دالة على كمال قدرة الله وبديع صنعه"[6].

" وقرأ الجمهور ﴿ ✗⍉❼ ☝♦❍⬄▤♦✡♋♍⍉☠⬀ ﴾ على الجمع، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، ووجه الاختيار أنها كانت لهم منازل كثيرة ومساكن "[7]. و " المساكن التى كانت لهم: هي التي يقال لها الآن مأرب، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال "[8].

---

[1] سبأ: 15-19.

[2] في المبحث السابق لهذا المبحث: أثر العيدة الصحيحة على أمن الأمة وعيشها.

[3] فتح القدير ج: 4 ص: 319

[4] نفسه

[5] تفسير الطبري ج: 22 ص: 76

[6] فتح القدير ج: 4 ص: 320

[7] فتح القدير ج: 4 ص: 319

[8] الشوكاني، فتح القدير ج: 4 ص: 320، وانظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي ج: 4 ص: 320.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم جاء تفصيل الآية التي كانت لهم في مساكنهم بعد أن وقعت محملة فقال تعالى:﴿جنتان عن يمين وشمال﴾، و " ﴿♉◻✡◻☝♦✍♌⇯﴾: بدل من ﴿↗♦✂③♦◘➤﴾، أو خبر محذوف تقديره: الآية جنتان، وقرئ بالنصب على المدح: والمراد جماعتان من البساتين ﴿↖♦♊ ③♦☺♑✓✗🕮 ❐♦⅄♑☺◻✍✌▯﴾: جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله، كل واحدة منهما في تقاربها وتضامنها كأنها جنة واحدة، أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله "[1]، "وهاتان الجنتان كانتا عن يمين واديهم وشماله قد أحاطتا به من جهتيه، وكانت مساكنهم في الوادي ... قال القشيري: ولم يرد جنتين اثنتين، بل أراد من الجهتين يمنة ويسرة، في كل جهة بساتين كثيرة "[2].

قال ابن جرير:" وكان من صنفهما فيما ذكر لنا ما حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا سليمان قال: ثنا أبو هلال: قال سمعت قتادة في قوله:﴿✆♦☽♦⑨⇳ ♦♌🔔☒✍ ✆○♑❁⌨♦✉💻 ❼♐✗ ✌♦○⇔▤♦✡♑♑♐☠⇗ ➚♦✂③♦◘➤ ☎ ♉◻✡◻☝♦✍♌⇯ ↖♦♊ ③♦☺♑✓✗🕮 ❐♦⅄♑☺◻✍✌▯ ☎﴾: قال: كانت جنتان بين جبلين، فكانت المرأة تخرج مكتلها على رأسها فتمشي بين جبلين فيمتلىء مكتلها وما مست بيدها، فلما طغوا بعث الله عليهم دابة يقال لها جرذ فنقبت عليهم فغرقتهم، فما بقي لهم إلا أثل وشيء من سدر قليل. حدثنا يونس: قال أخبرنا ابن وهب: قال: قال ابن زيد في قوله:﴿✆♦☽♦⑨⇳ ✍☒🔔♌♦ ✆○♑❁⌨♦✉💻 ❼♐✗ ✌♦○⇔▤♦✡♑♑♐☠⇗ ☎ ➚♦✂③♦◘➤ ☎ ♉◻✡◻☝♦✍♌⇯ ↖♦♊ ③♦☺♑✓✗🕮 ❐♦⅄♑☺◻✍✌▯ ☎﴾ إلى قوله ﴿▫♦🕯❐↖⇳❷♦➴➔❑✂☎ ▫♦🕯❐❻⇗ꝏ◻▣▫☪♦✍ ↖♦▣■❸⇗✍✆☠⇗ ꝏ◻⓿⬂✍•﴾

[1] تفسير البيضاوي ج: 4 ص: 396

[2] الشوكاني، فتح القدير ج: 4 ص: 320

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible]: قال ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم فتموت الدواب، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده، قال: والسد يسقيها ".[1]

فلقد من الله سبحانه وتعالى على سبأ بمنة عظيمة، فجعل لهم بستانا على ميامن مساكنهم وآخر عن شمائلها فيهما من وفرة الرزق وطيب المعاش ما فيهما، وقيل لهم [illegible]، وهو نظير ما قيل لآل داوود: [illegible][2]، ونظير ما قيل لقريش: [illegible][3].

" أي قيل لهم ذلك ولم يكن ثم أمر لكن المراد تمكينهم من تلك النعم وقيل إنها قالت لهم الملائكة والمراد بالرزق هو ثمار الجنتين وقيل إنهم خوطبوا بذلك على لسان نبيهم: [illegible]: على ما رزقكم من هذه النعم واعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه، وجملة: [illegible]

---

[1] تفسير الطبري ج: 22 ص: 78

[2] سبأ: 13.

[3] قريش: 3-4

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⌧❻❑→▒⌧➘ ▤✇◆❻◆❒ ⊲❑♦⌛✍♒⓿♦⊂
✍ ⇦⇨⌫⇧ : مستأنفة لبيان موجب الشكر؛ والمعنى: هذه بلدة طيبة لكثرة أشجارها وطيب ثمارها، وقيل: معنى كونها طيبة أنها غير سبخة، وقيل: ليس فيها هوام، وقال مجاهد: هي صنعاء، ومعنى:✍ ▤✇◆❻◆❒ ⌧❻❑→▒⌧➘ ✍: أن المنعم عليهم رب غفور لذنوبهم، قال مقاتل: المعنى وربكم إن شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب، وقيل: إنما جمع لهم بين طيب البلدة والمغفرة للإشارة إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام، وقرأ ورش بنصب بلدة ورب على المدح أو على تقديم: اسكنوا بلدة واشكروا ربا "[1].

ولكن سبأ خلافا لآل داوود الذين ضربوا مثلا لأهل الشكر في هذه السورة، لم يؤدوا واجب الشكر لله بل كفروا نعمته وأعرضوا عن أمره، قال تعالى:✍

▫♦🕯❑⬉⇳❷◆⇨→❑✁☎ ▫♦🕯❑❻⬀ℛ⌂■☾◆✍
⬉◆■❸⬀✍✍☠⬀ ℛ⌂⓿⬂✍•
✁✍♋⬂➔⌂❷⌘⚐⇦
❒◆✍◆⑨●♋⬂✡❑🕛♑←☠
🗎🕘♑❑☾❑☺❑❸⬀✍✍☠⬀ ♉⌂☾❑☜◆✓⬃✖⇧
❶♦❑◆✁✌◆❼⬀ 🕮⬆🗎→✍✍ ”♦✍⬃⬆⌨
❒◆🕮❑⚐⬂✍♋ ❒◆★⌧✍⇔⬈🕮 ✋♓✍♊
ℛ⇧⑨⇳❻♋ 🔔♦■⌫⑩✍♋ ⇧✍⇨⇦ ❶♦🕔♋✍⌨⌂
☠←♑🕛❑✡⬃③◆❽⌂♉ ✍⌫☺⌂✍
✍⬀☎✁❑⬉❷⌧▒⌧✍ ☎ ❒◆♎⌂✍⬀
✞⬆♑❑🕛❽⌘❽✓ ☽⌫♦• ✁✍♋⬂🗏♦▒→❑❻◆
✍سبأ:

قال القرطبي:" قوله تعالى:✍▫♦🕯❑⬉⇳❷◆⇨→❑✁✍: يعني عن أمره واتباع رسله بعد أن كانوا مسلمين. قال السدي ووهب: بعث إلى أهل سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم، قال القشيري: وكان لهم رئيس يلقب بالحمار، وكانوا في زمن الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: كان له ولد فمات فرفع رأسه إلى السماء فبزق

[1] الشوكاني، فتح القدير ج: 4 ص: 320

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وكفر، ولهذا يقال: أكفر من حمار، وقال الجوهري: وقولهم: أكفر من حمار: هو رجل من عاد مات له أولاد فكفر كفرا عظيما، فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه إلى الكفر فإن أجابه وإلا قتله "[1].

فقد ذكر القرطبي أنهم كانوا مسلمين، ثم تحولوا إلى الكفر والتكذيب، ولئن صح هذا فلا يبعد أن يكون ذلك قد وقع بتطاول العصور ومجيء خلف بعد خلف كما يحدث للأمم عادة، ولعل ذلك ما جعل ابن كثير يربط بين هذه الآيات وآيات سورة النمل التي تتحدث عن ملكة سبأ وقومها الذين أسلموا على يد سليمان عليه السلام، قال:" وقوله تعالى:﴿□♦🕯❒⇖⇳❷♦⬂➔❒✁﴾: أي عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله، كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام:﴿❒♦♉⬁☉⬂✌⬅①➰ ✍♋♊

♌⬚♦⌨⬚◎ ✉❷♦⬂♈♋♦⌛♦✉💻 ③♦☽⬀✓✗✌

⬀♋♋⬀☽♋❄❒♋❼ ❒♦♊⬚⑨☠❻

✁✍✍⬂❷♦🕮❒❒☪ ✍♦☺⇳⬛♋⌛➔♑←☠⬀

❒♦🕮↑❒✍♋⑩♦💣⇳ ♋♋✌ 🗎➔✍♏⬀

★⬚♋⇔↗🕮 ❒♦⬚○●❒✍ ⇖♦❷⬀🕐➘

⇖♦➔♋⑩⚐♋ ⬀❋❋⬂ ❒♦♊⬚⑨✍♈♑⬚✍

❒♦🔔♦❒⬀✌♦♑⬚✍ ④❒○⇔↗➔⑨←❒♌♦

✆♋⬛⌖◉☺⇳▪⬂ ♋♋✌ ⑩←❒♌⬀ ✁✍✍✎★

❒♦♐⬚③✸♊⌘ ✆♦♑←☠⇖

←♊🕒♦⊃⬂⓿◉⌖✆✆✍✁

🕮❒⇖⇳☺⬚🕒⬛■♑←☠⬀ ▫♦🕒❀⑨⓿♎➔☠⬀

⇖♦♊⬂ ✁✍✆○○⌛♋⓿✍⬀ ▫♦♑←💣⇳ ♦♦

③♦♑⇳✌♦⑨←❒♌♦ ⬀❋♋⬂﴾[2]. وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: بعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبيا، وقال السدي: أرسل الله عز وجل إليهم اثني عشر ألف نبي والله أعلم"[3].

---

[1] تفسير القرطبي ج: 14 ص: 285

[2] النمل: 23-24.

[3] تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 533

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد يكون مما يشهد لذلك ما ذكرا القرطبي وابن كثير عن وهب بن منبه من أن الله سبحانه وتعالى قد بعث إليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم رغم أن ظاهر ذلك من الإسرائيليات التي أمرنا ألا نصدق بها ولا نكذب[1]،

[1] الإسرائيليات: هي الأخبار المنقولة عن اليهود -بصفة خاصة لأنهم كانوا معاشرين لأهل الإسلام- والنصارى. انظر: د.محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص12، دار الجيل، بيروت، ط1: 1413-1992.

" ومن التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه، والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها، أو تناقلوها عن غيرهم: كانت معارف اليهود وثقافتهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية التي زخرت بها بعض كتب التفسير، والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابع إن كان فيها حق، ففيها باطل كثير ... " د. أبو شهبة، نفسه.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أول الأمر عن التحديث بهذه الإسرائيليات، فعن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقال: يا رسول الله إني أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب، قال فغضب وقال:" أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، فو الذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني"رواه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الأدب، باب من كره النظر في كتب أهل الكتاب 312/5 ، ح26421، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الرشد، الرياض، ط1: 1409، وانظر: أحمد بن حنبل، المسند 387/3، ح15195، مؤسسة قرطبة، مصر، د ت ط.

وبوب البخاري:" باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ".انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، 2679/6.

قال ابن حجر:" قال ابن بطال عن المهلب: هذا النهي إنما هو في سؤالهم عما لا نص فيه، لأن شرعنا مكتف بنفسه فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا والأخبار عن الأمم السالفة " فتح الباري 334/13.

ثم أورد البخاري تحت ترجمة الباب أثرين عن " حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب " صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، 2679/6، ح6928.

قال ابن حجر:" وقال ابن حبان في كتاب الثقات: أراد معاوية أنه يخطىء أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا، وقال غيره: الضمير في قوله:" لنبلو عليه " للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه، وقال عياض: يصح عوده على الكتاب، ويصح عوده على كعب وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده، إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب، وقال بن الجوزي: المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا، لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار " فتح الباري 335/13.

والأثر الثاني ذكره البخاري عن " ابن عباس رضي الله عنهما قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟! لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم " صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، 2679/6.

ووقع في أحاديث أخرى الترخيص برواية هذه الإسرائيليات، كما روى البخاري عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج: 3 ص: 1275.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولئن صح ذلك فلا يبعد أن يكونوا قد بعثوا واحدا بعد واحد في أزمنة مختلفة، وأغرب من ذلك ما نقل ابن كثير عن السدي من أن الله عز وجل بعث إليهم اثني عشر ألف نبي.[1]

هذا ولقد ذكر القرآن الكريم صورة عجيبة لكفر سبأ نعمة ربهم تمثلت في تمني زوالها جرأة على الله واغترارا بما هم فيه، قال تعالى:﴿ ❒◆♉⍐➔⍐🖫▫☪◆👓

⬀☠⬂♒◆☪⬃❹♦📪 ♦✖⬃✓♦📪◆❒

❽♦❷→✆⬂✆👓✂ ✍⬃☹⅄✆👓✂

👓◆☪⇩📄♦❷🕓♦📪 ❽ॐ❷➔🔔 👓■&❸✍▫

☪□♦❷✍♑🕓⬧← 👓♦☼⬀❻⦿⑨⬧🔔◆❒

👓■&❸✍▫ ◆❸⬀❷○○✆👓✂ ☎

☎✂❒←❸❷⮰ೞ 👓■&❸✍▫ ◆❼✍🖫👓◆⑩⬧✆

👓🕐👌👓✸③❒🕮◆❒ ♦✖✓✍☪✍👌✂◆⬈

قال ابن حجر:" قوله وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وقيل معنى قوله لا حرج: لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرا، وقيل: لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم، لأن قوله أولا "حدثوا" صيغة أمر تقتضي الوجوب، فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله "ولا حرج": أي في ترك التحديث عنهم، وقيل المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة، نحو قولهم: اذهب أنت وربك فقاتلا، وقولهم اجعل لنا إلها، وقيل: المراد ببني إسرائيل: أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب؛ والمراد حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف وهذا أبعد الأوجه، وقال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا، وقيل المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح، وقيل المراد جواز التحدث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال في التحدث عنهم بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل في التحدث بها الاتصال ولا يتعذر ذلك لقرب العهد، وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله:" إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم " و لم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه " فتح الباري ج: 6 ص: 498-499.

وبناء على ما تقدم فالإسرائيليات ثلاثة أقسام:

1- القسم الأول: ما علمنا صحته مما وافق الكتاب والسنة، وهو صحيح وفيما عندنا غنية عنه، لكن يجوز ذكره وروايته للاستشهاد.

2- القسم الثاني: ما علمنا كذبه مما خالف الكتاب والسنة، وهذا القسم ورد النهي عن روايته ، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه.

3- القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه وليس موافقا ولا مخالفا للكتاب والسنة، فلا نصدقه ولا نكذبه –كما ورد في الحديث- فقد يكون حقا فنكذب به، وقد يكون كذبا فنصدق به. انظر: أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ص106-107.

[1] تفسير ابن كثير ج3: ص533.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⬀⬂⬃⬁ ▫♦◗♦♐♑⬈❑✃☎ ❻♦✉✹☪♦♐
⬀⬂⬃⬁ ⇳⑨⬃➔ⓘ♦✉ ♦✓⬀✗♦✉
📖❑⬄⬌⊞⊠♐❻⬀✡♦♐
❑♦⬅♦▪⬛■☺⬅❑☑✃☎ 📖❑☼⊞➔❍✾⬃⬋☠⬀
▫⬂⬀➔⬂⬜▪⬜✡❑ⓘ♑⬅☠⬀ 📖❑■♦🔔⑩⬃③☸⬜
❑♦❽❑🔔⬂✡❑ⓘ♑⬅☠⬀ ✍☇✍❑
☝⬉☺⬜❽❑✍⬀✌ 📄 ❩⬃♌❑ ✗⬃❼ ❶♦ⓘ♐⬃⌨⬜
⬜✟③♦ⓘ✱♦▬ ♐⬃▤☇✍♏⬀ ⓘ✾⌨✶♐❻♐
.[1] ❦⬁⬃⬂⬁♐❻❑☇▤⊠⅄

فقد ذكر سبحانه أنه من على سبأ إلى جانب الجنتين وما فيهما من الرزق الوافر بمنة أخرى، وهو أن جعل لهم في سفرهم كما في حلهم رزقا وأمنا يحصل لهم من وجود قرى ظاهرة بينهم وبين القرى التي يخرجون إليها مسافرين. قال الشوكاني في معنى "❦❑♦♉⬜➔⬜▪▫☪♦♐ ✉♦❹⬀☪♦♒⬊☠⬀
❑♦✉♦✓⬀✗♦ ✃♐♐⬂◗➔❷♦❽
✃♐♐⅄☹⬅♐ ✉♦ⓘ❷♦▤⇩☪♦♐
▫⬃❸⬃❑♐ :❦ هذا معطوف على قوله:❦♐♦◗♦⑨⇳
✍⊠🔔♌♦ ♐⬃❍✾⌨♦✉💻: ❦ أي وكان من قصتهم أنا جعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالماء والشجر، وهي قرى الشام، ❦🔔➔❷ॐ❽
⬅♦ⓘ♑⬃❷♦❑☪ :❦ أي متواصلة، وكان متجرهم من أرضهم التي هي مأرب إلى الشام، وكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا، وكانوا لا يحتاجون إلى زاد يحملونه من أرضهم إلى الشام، فهذا من جملة الحكاية لما أنعم الله به عليهم "[2].

وهذا زيادة لبيان " ... ما كانوا فيه من النعمة والغبطة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد المرضية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها

---

[1] سبأ: 18-19.

[2] الشوكاني، فتح القدير ج: 4 ص: 321

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وزروعها وثمارها، بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرا، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم "[1].

ويبدو أن القوم كانوا يخرجون مسافرين إلى الشام بتجارتهم فجعل الله لهم في سفرهم كما في مقامهم رزقا وأمنا، وقد كان هذا الأمن والرزق حاصلا لهم من وجود قرى ظاهرة: "قال وهب بن منبه: هي قرى بصنعاء، وكذا قال أبو مالك، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم، وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم: يعني قرى الشام، يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة، وقال العوفي عن ابن عباس: القرى التي باركنا فيها: بيت المقدس، وقال العوفي عنه أيضا: هي قرى عربية بين المدينة والشام "[2].

وقد وصفت الآية هذه القرى بأنها ظاهرة " .. قال المبرد القرى الظاهرة: هي المعروفة، وإنما قيل لها ظاهرة لظهورها؛ إذا خرجت من هذه ظهرت لك الأخرى، فكانت قرى ظاهرة: أي معروفة، يقال: هذا أمر ظاهر: أي معروف، ✍❒♦☼⬀❻●⑨⬧🕭♦❒❁ ✍❒&❸⚬▫

✂✍✍♒◎○○❷⬀❸♦ ☎ ❁: أي جعلنا السير من القرية إلى القرية مقدارا معينا واحدا، وذلك نصف يوم كما قال المفسرون. قال الفراء: أي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيل فى قرية والمبيت في أخرى إلى أن يصل إلى الشام، وإنما يبالغ الإنسان في السير لعدم الزاد والماء ولخوف الطريق، فإذا وجد الزاد والأمن لم يحمل نفسه المشقة، بل يترل أينما أراد، والحاصل أن الله سبحانه عدد عليهم النعم ثم ذكر ما نزل بهم من النقم "[3].

إذن فقد كان انتشار هذه القرى بما فيها سببا لأمنهم وعدم تكلفهم حتى أخف الأعباء من حمل الزاد والماء في سفرهم، وقيل لهم:❁♋⬂❷❸⬅❒✂☎ ✍❒&❸⚬▫ ♒◎⬧⑩♦✍💾✍❼♦

[1] تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 534

[2] تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 534

[3] الشوكاني، فتح القدير ج: 4 ص:321- 322

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

❑◆❑📖❑③✸🙵🙵✌🕐🙵🙵 ➚◆✂✌🙵☪🙵✓×◆ ﴾: "فهو أمر تمكين: أي ومكناهم من السير فيها متى شاءوا "[1]، أو " على إرادة القول بلسان الحال أو المقال:﴾🙵⑩◆🙵🖫🙵❼◆ ❑◆❑📖❑③✸🙵🙵✌🕐🙵🙵﴾: متى شئتم من ليل أو نهار، ﴾➚◆✂✌🙵☪🙵✓×◆﴾: لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات، أو سيروا آمنين وإن طالت مدة سفركم فيها، أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن "[2].

ومع هذا الفضل الغامر والنعمة السابغة في الإقامة والظعن، فإن سبأ لم يقفوا عند حد القصور عن الشكر، بل جاؤوا بالأمر العظيم الذي لا يفسر ولا يبرر، فدعوا بما لا يعقل له سبب من زوال النعمة وتحولها:﴾◆◆🙵🙵➚❑✂☎

❻◆🖃✸☪◆🙵🙵 ◆🕐➔🙵⑨⇳ 🖃✓⬀×◆

📖❑🙵⇔⊞☒🙵❻🙵☼◆🙵 ﴾: أي " فقالوا يا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية[3] "[4]. وهذا الفعل منهم يكشف عن قمة الطغيان وبطر النعمة، وقد بين ذلك الشوكاني

---

[1] نفسه ج4 ص: 322

[2] تفسير البيضاوي ج: 4 ص:397- 398

[3] هذا القول محمول على قراءة من قرأ ﴿باعد﴾ على أنه فعل أمر من الدعاء وقد جاءت قراءة أخرى بصيغة الخبر ﴿باعد﴾ و ﴿بعد﴾، قال الشوكاني:" قرأ الجمهور ربنا بالنصب على أنه منادى مضاف وقرءوا أيضا باعد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر بعد بتشديد العين وقرأ ابن السميفع بضم العين فعلا ماضيا فيكون معنى هذه القراءة الشكوى من بعد الأسفار وقرأ أبو صالح ومحمد بن الحنفية وأبو العالية ونصر بن عاصم ويعقوب ربنا بالرفع باعد بفتح العين على أنه فعل ماضي على الابتداء والخبر والمعنى لقد باعد ربنا بين أسفارنا ورويت هذه القراءة عن ابن عباس واختارها أبو حاتم قال لأنهم ما طلبوا التبعيد إنما طلبوا أقرب من ذلك القرب إلى ما كان بينهم وبين الشام بالقرى المتواصلة بطرا وأشرا وكفرا للنعمة وقرأ يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر ربنا بالرفع بعد بفتح العين مشددة فيكون معنى هذه القراءة الشكوى بأن ربهم بعد بين أسفارهم مع كونها قريبة متصلة بالقرى والشجر والماء فيكون هذا من جملة بطرهم وقرأ الحسن البصري كقراءة ابن السميفع السابقة مع رفع بين على أنه الفاعل كما قيل في قوله لقد تقطع بينكم وروى الفراء والزجاج قراءة مثل هذه القراءة لكن مع نصب بين على أنه ظرف والتقدير بعد سيرنا بين أسفارنا قال النحاس وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال إحداها أجود من الأخرى كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها ولكن أخبر عنهم أنهم دعوا ربهم أن يبعد بين أسفارهم فلما فعل ذلك بهم شكوا وتضرروا ولهذا قال سبحانه وظلموا أنفسهم حيث كفروا بالله وبطروا نعمته وتعرضوا لنقمته " فتح القدير 322/4.

[4] تفسير الطبري ج: 22 ص: 85

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فقال:" وكان هذا القول منهم بطرا وطغيانا لما سئموا النعمة و لم يصبروا على العافية؛ فتمنوا طول الأسفار والتباعد بين الديار، وسألوا الله تعالى أن يجعل بينهم وبين الشام مكان تلك القرى المتواصلة الكثيرة الماء والشجر والأمن، المفاوز والقفار والبراري المتباعدة الأقطار، فأجابهم الله إلى ذلك وخرب تلك القرى المتواصلة، وذهب بما فيها من الخير والماء والشجر، فكانت دعوتهم هذه كدعوة بني إسرائيل حيث قالوا:﴿ [illegible] ﴾الآية[1]، مكان المن والسلوى، وكقول النضر بن الحارث:﴿ [illegible] ﴾ الآية[2] "[3].

والحاصل أن سبأ لم يشكروا نعمة ربهم وبطروا حتى دعوا بزوالها وتحولها، وقد كان عاقبة ذلك أمران :

- أحدهما ما ذكر في قوله تعالى:﴿ [illegible] ﴾

---

[1] البقرة: 61.

[2] الأنفال : 22.

[3] فتح القدير ج: 4 ص: 322

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾[1]، أي أن الله عز وجل أرسل عليهم سيلا ذهب بما كانوا فيه " وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن فردموا ردما بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، وكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الباب الثاني ثم من الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذبوا رسلهم بعث الله جرذا ففتقت ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتهم فغرقها، ودفن السيل بيوتهم، فهذا هو سيل العرم، وهو جمع عرمة وهي السكر التي تحبس الماء وكذا قال قتادة وغيره، وقال السدي: العرم اسم للسد، والمعنى: أرسلنا عليهم سيل العرم، وقال عطاء: العرم اسم الوادي، وقال الزجاج: العرم اسم الجرذ الذي نقب السد عليهم وهو الذي يقال له الخلد، فنسب السيل إليه لكونه سبب جريانه، وقال ابن الأعرابي: العرم من أسماء الفأر، وقال مجاهد وابن أبي نجيح: العرم ماء أحمر أرسله الله في السد فشقه وهدمه، وقيل: إن العرم اسم المطر الشديد، وقيل: اسم للسيل الشديد، والعرامة في الأصل: الشدة والشراسة والصعوبة، يقال: عرم فلان إذا تشدد وتصعب، وروى عن ابن الأعرابي أنه قال: العرم السيل الذي لا يطاق، وقال المبرد: العرم كل شيء حاجز بين شيئين..."[2].

وقد كان خراب أرضهم وهلاك جنتيهم بسبب فيضان السيل عليها، قال ابن جرير:" .. كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا في السد عمل فيه ثم فاض الماء على جناهم فغرقها وخرب أرضهم وديارهم "[3]، ثم قال:" [وهو] أشبه بما دل عليه ظاهر التتريل، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم أو على جناهم وأرضهم لا بصرفه عنهم ... "[4].

---

[1] سبأ: 16.
[2] الشوكاني، فتح القدير ج: 4 ص: 320
[3] تفسير الطبري ج: 22 ص: 80
[4] تفسير الطبري ج: 22 ص: 81

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثم جعل لهم الحق سبحانه مكان جنتيهم جنتين ﴿❶•❒◆✁✌♦❼⬁
🕮⬆🗎➔✍✍"•☝⬀⮉⌨﴾: يقول تعالى: ذكره وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، والأراك: هو الخمط ... وأما الأثل: فإنه يقال له الطرفاء، وقيل شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها، وقيل إنها السمر "[1]، " والسدر شجر معروف، قال الفراء: هو السمر، قال الأزهري: السدر من الشجر سدران: بري لا ينتفع به ولا يصلح للغسول وله ثمر عفص لا يؤكل وهو الذى يسمى الضال، والثاني: سدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العناب، قيل: ووصف السدر بالقلة لأن منه نوعا يطيب أكله وهو النوع الثاني الذى ذكره الأزهري. قال قتادة بينما شجرهم من خير شجر إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم، فأهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الآراك والطرفاء والسدر، ويحتمل أن يرجع قوله قليل إلى جميع ما ذكر من الخمط والأثل والسدر "[2].

والثاني: ما جاء في قوله تعالى:﴿▫•⇗◻➔◻▪▫✡◻🕔♑←☠⬁
🕮❒■♦🔔⑩🙪③☸◻
❒◆👌♦❽◻🔔⬂✡◻🕔♑←☠⬁ 📨⬈✍◻
👌⬉☺◻❽◻📨✌🗐﴾سبأ:

قال القرطبي:" ﴿▫•⇗◻➔◻▪▫✡◻🕔♑←☠⬁
🕮❒■♦🔔⑩🙪③☸◻ 🗐﴾: أي يتحدث بأخبارهم، وتقديره في العربية: ذوي أحاديث، ﴿❒◆👌♦❽◻🔔⬂✡◻🕔♑←☠⬁
📨⬈✍◻ 👌⬉☺◻❽◻📨✌ ﴾: أي لما لحقهم ما لحقهم تفرقوا وتمزقوا، قال الشعبي: فلحقت الأنصار بيثرب، وغسان بالشام، والأزد بعمان،

---

[1] نفسه

[2] الشوكاني، فتح القدير ج: 4 ص: 321

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وخزاعة بتهامة، وكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول: تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ: أي مذاهب سبأ وطرقها "[1].

وقد كان ذلك جزاء من الله عدلا ببغيهم وطغيانهم، وليس هذا الجزاء مقصورا عليهم بل هو جزاء لكل من يأتي بمثل فعلهم:﴿❶♦🕒︎◉︎ᘐ⌀⌨⍓ ♉⍓❽♦③⬃✡☐🕒︎♑←☠ ✍︎🖂⍒☺⍓✍︎ ✍︎🖂⍒☒▦☒❷⇖❒✂☎ ☎ ❒◆♎⍓✍⇗ ✞↑♑☐🕒︎❽⊠❽✓ ◑⍒♦• ✂✍︎◉︎ᘐ⇘▤♦▦→❑❻◆ ⇗⍒⇨⇦﴾[2].

" والإشارة بقوله:﴿❶♦🕒︎◉︎ᘐ⌀⌨⍓ ﴾: إلى ما تقدم من التبديل، أو إلى مصدر ﴿♉⍓❽♦③⬃✡☐🕒︎♑←☠﴾، والباء في ﴿✍︎🖂⍒☺⍓✍︎﴾ للسببية: أي ذلك التبديل أو ذلك الجزاء بسبب كفرهم للنعمة بإعراضهم عن شكرها، ﴿❒◆♎⍓✍⇗ ✞↑♑☐🕒︎❽⊠❽✓ ◑⍒♦• ✂✍︎◉︎ᘐ⇘▤♦▦→❑❻◆﴾: أي وهل نجازى هذا الجزاء بسلب النعمة ونزول النقمة إلا الشديد الكفر المتبالغ فيه "[3].

وصيغة العموم هذه تدل على أن مثل هذا الجزاء لا يقتصر على سبأ إلا كاقتصار الكفور عليهم، أما من جاء بمثل ما جاء به من الكفور فإن جزاءه من مثل جزائهم.

وعليه فإن القرآن الكريم قد قرر أن الانحراف عن الإيمان وتبديل نعمة الله كفرا يذيق أهله لباسا من الجوع والخوف، مثلهم في ذلك كمثل قريش التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فلما كفرت بدل الله حالها، وكسبأ الذين كان لهم في مساكنهم آية فكفروا وطغوا فأرسل الله عليهم سيل العرم.

ولكن قد يقول قائل: إن الناس ما زالوا يعرفون أمما كافرة تتقلب في نعمة ورخاء، بينما يحيط الجوع والخوف بقوم من المؤمنين، بل أحاط بقوم من خيار الناس كما قال تعالى عن

---

[1] تفسير القرطبي ج: 14 ص: 291

[2] سبأ: 17.

[3] فتح القدير ج4 : 321

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: [illegible].[1]

وقال: [illegible].[2]

وبالمقابل كان فرعون وقومه على كفرهم منعمون كما وصف ذلك في قوله تعالى: [illegible].[3]

وقد وقع ذكر ذلك على لسان نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: [illegible]

---

[1] الأنفال: 26.

[2] الأحزاب: 10.

[3] الزخرف: 51.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

...﴾[1].

ومثل هذا غير قليل، فكيف يمكن التوفيق بين ذلك وبين ما ذكر آنفا من انفتاح البركات من السماء والأرض على أهل الإيمان وسلبها من أهل الكفر والطغيان؟

والجواب عن ذلك أن العبرة بما يستقر عليه الحال في الختام، وأما ما يحدث قبل ذلك فهو أحد أمرين:

–فأما ما يتزل بالمؤمنين من شدة وخوف فهو من جنس البلاء الذي يمتحن به صبر العبد وصلابة إيمانه، ثم يبدل الله المؤمنين منه أمنا وتمكينا، كما قال تعالى: ﴿

[1] يونس: 88.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✁✍✍🕿⬂⊞☒🕔○⬁◑→❑♌♦ ⬀⊘⊘⬁ ﴿[1]، كما أن نفس ثبات الثقة بصدق هذا الوعد في أحلك اللحظات من جنس الابتلاء.

– وأما ما يصيب الكافرين من علو وتنعم فهو من جنس الاستدراج[2] ثم ينجلي ذلك عنهم ويبدلون منه عذابا في الدنيا قبل الآخرة، وقد وقع ذلك لفرعون وقومه، كما قال تعالى: ﴿❑♦🕿⬧◑⬧⑨⇳

🕮❑❀⬧⓿⬁☼♦✍✍✎ ⬈♦✁✌♦
▫♉➋⬃⬉♦❑⬃♌♦
✉♉✍✍🕿○♌⬁☪♉✓✗♦ ❑♦☼♦◑⬂⬀🖫
✋♓♉♊⌘ ✁✍✍🕿✞❑☺⍓❷♦🕔☠♉
🕿⬧➔⍓☑✴♑←🏳⬄ ③♦⓿⨀🗎·❷⬉❑♌♦
⬀⬃⬘⬂⬁ ﴾[3]، ولقريش كما تقدم، كما وقع الأول لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، " وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم فخافوا بعد الأمن وجاعوا بعد الرغد، فبدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنا ورزقهم بعد العيلة وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادقم وقادقم وأئمتهم "[4].

وخلاصة القول في هذا المبحث: إن الله عز وجل ينعم على الناس بنعم الأمن والرزق فيأمرهم بشكرها وأن يعرفوا منة ربهم عليهم فيعبدوه، فإذا كفروا سلب منهم نعمه، وأذاقهم بدلا منها لباسا من الجوع والخوف يحيط بهم من كل جانب جزاء عدلا بما كانوا يعملون.

هذا وهذا العقاب تمهيد لما هو أعظم –الإهلاك والتتبير–، وذلك ما نعرض له في الفصل الموالي.

[1] النور: 55.
[2] سيأتي الحديث عن الاستدراج في المبحث الموالي إن شاء الله.
[3] الأعراف : 130.
[4] تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 590

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثالث:

أثر العقيدة في النجاة والغلبة والتمكين

تناولنا في الفصل السابق أثر العقيدة على مستوى ما يحصل للأمة من الأمن والعيش الرغيد، وتكملة لذلك، نتناول في هذا الفصل الذي هو آخر فصول هذا الباب ما ينتج عن العقيدة –صحيحة كانت أم فاسدة– وما يتفرع عنها على مستوى النجاة والغلبة والتمكين، وذلك في مبحثين:

المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة في النجاة والغلبة والتمكين.

المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة في النجاة والغلبة والتمكين.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الأول:

أثر العقيدة الصحيحة في النجاة والغلبة والتمكين

تقدم أن من آثار العقيدة الصحيحة حصول الترابط والألفة بين قلوب الأفراد في المجتمع، وحصول الرزق الواسع والعيش الرغيد والأمن والطمأنينة، وأكبر من ذلك المترلة التي تتبوأها الأمة في مواجهة غيرها من الأمم؛ فهل للعقيدة الصحيحة دور ما فيما قد يحصل للأمة من النجاة والغلبة والتمكين، وهل لتخلفها عن تحقيق هذه العقيدة دخل ما في تخلفها عن ذلك؟

إن النظر يكشف أن القرآن الكريم قد نص على أن الله سبحانه وتعالى ينجي المؤمنين عند نزول عذاب الهلاك بالكافرين من قومهم، كما قال تعالى عن المؤمنين من قوم نوح: [illegible].[1]

وعن المؤمنين من قوم هود: [illegible]

[1] الأعراف: 64.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible].[1]

وعن المؤمنين من ثمود: [illegible].[2]

وعن لوط وأهله –وهم جميع من آمن به-: [illegible].[3]

وعن شعيب ومن آمن معه من أهل مدين: [illegible]

---

[1] هود: 58.

[2] هود: 67.

[3] الصافات: 134-135.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[1].

وعن موسى وقومه من بني إسرائيل:

[2].

فهؤلاء المؤمنون من الأنبياء وأتباعهم أنجاهم الله –عز وجل جميعا– حين أهلك قومهم الذين كفروا، وهو شاهد صريح لأن من آثار العقيدة الصحيحة نجاة جماعة أهل الإيمان عند نزول العذاب بقومهم. فأما النجاة فهي:" الخلاص من الشيء، نجا ينجو نجوا و نجاء ممدود و نجاة مقصور، و نجى واستنجى كنجا "[3]، أي أن نجاقم هي خلاصهم مما نزل بقومهم من عذاب ودمار وهلاك.

على أن هؤلاء الذين أنجاهم الله سبحانه وتعالى كانوا جميعا يمثلون جماعة داخل مجتمع أكبر، وذلك يدفعنا للتساؤل: هل نجت أمة كاملة من العذاب بسبب إيمانها؟

إن القرآن الكريم يخبرنا أنه لم تنج أمة كاملة من العذاب–بعد معاينتها له– بسبب إيمانها إلا قوم يونس، قال تعالى:

---

[1] هود: 94-95.

[2] الشعراء: 63-66.

[3] لسان العرب ج: 15 ص: 304

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible][1]

قال ابن جرير في تفسير الآية:" يقول تعالى ذكره: فهلا كانت قرية آمنت وهي كذلك فيما ذكر في قراءة أبي، ومعنى الكلام فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه فنفعها إيمانها ذلك في ذلك الوقت، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق[2] بعد تماديه في غيه واستحقاقه سخط الله بمعصيته، ﴿[illegible]﴾ فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم، فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم وأخرجهم منهم، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم".[3]

فأوضح ابن جرير أن الآية تنص على أن كل قوم آمنوا عند معاينة العذاب لم ينفعهم إيمانهم، و لم يكشف عنهم العذاب، إلا قوم يونس، أما ﴿[illegible]﴾ فإنها تفيد النفي:" ... ومعناه فلم تكن قرية، لأن في الاستفهام ضربا من الجحد؛ أي أهل قرية آمنت عند معاينة العذاب فنفعها إيمانها في حال اليأس؟ إلا قوم يونس فإنهم نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، وقوم نصب على الاستثناء المنقطع تقديره ولكن قوم يونس

---

[1] يونس: 98.

[2] لأن هذه الآية تجيء في السورة بعد قوله تعالى عن فرعون ﴿[illegible]﴾ يونس: 90.

[3] تفسير الطبري ج: 11 ص: 170

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

☎✁❑⇖☪⧫👌✁⧫⇗ ✏☞●☺⧫◎❀
⬀☠⬋🙵⬃☸⧫⇖ ☞⧫☪⬂▦⧫⌖☒✍
❼⍣✗ ⇘❽⬃❽🙰② ⬂◎☞✁ ⌘☹✁☒⓿⧫⇖
☞⧫⓿⬃☼❻⑨◎☞✁ 🙶❑🗐❑⧫⑩⬜⧫⬂◎☞✁
🗐❼■🖫⍣☽ ⬃☹→♓🕔❑✡⬃➔✸☝⧫👌⧫❒
❍🙰✓✗🕮❁، وهو وقت انقضاء آجالهم ".[1]

فقوم يونس هم الأمة الوحيدة التي نجت بسبب إيمانها بعد معاينة العذاب " واختلفوا في أنهم هل رأوا العذاب عيانا أم لا؟ فقال بعضهم رأوا دليل العذاب، والأكثرون على أنهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله:❁ ☞⧫☪⬂▦⧫⌖☒✍
⌘☹✁☒⓿⧫⇖ ⬀☠⬋🙵⬃☸⧫⇖
❼⍣✗ ⇘❽⬃❽🙰②⬂◎☞✁
☞⧫⓿⬃☼❻⑨◎☞✁ 🙶❑🗐❑⧫⑩⬜⧫⬂◎☞✁
❁، والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قرب ".[2]

قال القرطبي :" وروي في قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين أن قوم يونس كانوا بنينوى[3] من أرض الموصل، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه فأبوا، فقيل: إنه أقام يدعوهم تسع سنين فيئس من إيمانهم، فقيل له أخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث ففعل، وقالوا: هو رجل لا يكذب فارقبوه فإن أقام معكم وبين أظهركم فلا عليكم وإن ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك، فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فأصبحوا فلم يجدوه، فتابوا ودعوا الله ولبسوا المسوح وفرقوا بين الأمهات والأولاد من الناس والبهائم وردوا المظالم في تلك الحالة، وقال ابن مسعود: وكان الرجل يأتي الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه فيرده والعذاب منهم فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل، وروي على

---

[1] تفسير البغوي ج: 2 ص: 368-369.

[2] نفسه ج: 2 ص: 369.

[3] " نينوى: بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو، بوزن طيطوى، وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى التي قتل بها الحسين رضي الله عنه ". شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان 339/5، دار صادر، بيروت، د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ميل، وعن ابن عباس أنهم غشيتهم ظلة وفيها حمرة فلم تزل تدنو حتى وجدوا حرها بين أكتافهم، وقال ابن جرير: غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فلما صحت توبتهم رفع الله عنهم العذاب[1] "[2].

إذن فقوم يونس أنجاهم إيمانهم بعد معاينة العذاب وأوشك أن يترل بهم، فلأن ينجي الإيمان أمة كاملة آمنة تنيب إلى ربها من غير معاينة العذاب أحق.

وقد كان قوم يونس أمة من الناس عظيمة كثيرة العدد، كما قال تعالى: [illegible][3]، " قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه: بل يزيدون وكانوا مائة وثلاثين ألفا، وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفا، وعنه مائة وبضعة وأربعين ألفا والله أعلم، وقال سعيد بن جبير يزيدون سبعين ألفا، وقال مكحول: كانوا مائة ألف وعشرة آلاف "[4].

وكما أخبر سبحانه وتعالى أنه أنجى أولئك المؤمنين حين إهلاك الكافرين من قومهم، فإنه قد أخبر أن هذه النجاة سنة ماضية في جميع الأمم وإلى يوم القيامة فقال تعالى: [illegible]

[1] رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير، انظر: جامع البيان 171/11.

[2] الجامع لأحكام القرآن 384/8.

[3] الصافات: 147-148.

[4] تفسير ابن كثير ج: 4 ص: 23 .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

ومن الطريف أن هذه الآية والآية التي قبلها –أي التي نصت على أنه لم ينج من الأمم التي عاينت العذاب إلا قوم يونس– هما من سورة واحدة، وهي تالية لها في ترتيب المصحف، ونلحظ أن الآية الأولى تقرر أمرا خاصا –أي نجاة قوم يونس بسبب إيمانهم–، ثم تأتي الآية الثانية لتجعله عاما شاملا لجميع المؤمنين. والآية تخوف أولا جميع الكفار مثل مصير الذين كانوا على شاكلتهم من أهل الكفر، ثم تقرر أنه حين نزول العذاب فإن الله ينجي الذين آمنوا بإيمانهم، والمعنى " ... أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسلهم: [illegible] : أي ونهلك المكذبين بالرسل، [illegible] : حقا أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة كقوله: [illegible] [2]، وكما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي "[3] "[4].

---

[1] يونس: 102-103.

[2] الأنعام: 12.

[3] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ 2745/6 ح7114، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه 2107/4 ح2751.

[4] تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 435.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فإنجاء المؤمنين حق أوجبه الله –عز وجل– على نفسه الكريمة، أو بمعنى آخر هو سنة من سنن الله ماضية في عباده، قال سيد قطب –معلقا على ذلك–:" إن سنة الله لا تتخلف ، وعاقبة المكذبين معروفة ، وليس لهم أن يتوقعوا من سنة الله أن تتخلف . وقد يُنظرهم الله فلا يأخذهم بعذاب الاستئصال ، ولكن الذين يصرون على التكذيب لا بد لهم من النكال:

[illegible]

وهو التهديد الذي ينهي الجدل ، ولكنه يخلع القلوب .

ويختم هذا المقطع من السياق بالنتيجة الأخيرة لكل رسالة ولكل تكذيب ، وبالعبرة الأخيرة من ذلك القصص وذلك التعقيب:

[illegible]

إنها الكلمة التي كتبها الله على نفسه: أن تبقى البذرة المؤمنة وتنبت وتنجو بعد كل إيذاء وكل خطر ، وبعد كل تكذيب وكل تعذيب . .

هكذا كان – والقصص المروي في السورة شاهد – وهكذا يكون . . فليطمئن المؤمنون..."[1].

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن 11/1824.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وعليه فقد قرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى ينجي رسله وأتباعهم من المؤمنين بإيمانهم إذا نزل العذاب بالكافرين، وجعل ذلك سنة ماضية في خلقه لا تتخلف.

وكما أن نجاة الرسل وأتباعهم من أهل الإيمان سنة، فإن نصرهم على عدوهم أيضا سنة ماضية ، قال تعالى ﴿❒◆♐⬧◑⬧⑨⇳ ♓⌨◆◑⬧⬧💣⇳
✍⌧⚛⌦✌◆✌⬅✡❑✍
♐⬧➔⬧⌨◆✍⑩⬧☼◆✍
✁✍♐⬂☺⬅❷⬀♓⬧❑✔✖◆ ⬀⬂⬁⬀⬁
⬁❒✠❑&⬋✠⬀ ♐◆♑⬅✠⬉
✁✍♐⬂☺✡⬁❑⬏❻⬇❑♌⬧◆ ⬀⬂⬁⬁⬀
❒◆⬁⬧♌❑ ⬧⬉⬀⑨⬁☼◆✍ ♐◆♑⬅✠⬉
✁✍♐⬂⬄◆⬁⬧⬧⌨⬅❑♌⬧◆ ⬁⬀⬀⬂⬁ ﴾[1].

فنصت الآية على أن الله —عز وجل– قد عهد إلى رسله أنه سينصرهم، وأن جنده سيكونون هم الغالبين، وسبقت كلمته إليهم بذلك ... والمراد بالكلمة ما وعدهم الله به من النصر والظفر على الكفار، قال مقاتل: عنى بالكلمة قوله سبحانه:﴿
⬛•☞◆⬧⚘ ✁✍✎✦ ⚘✞⬊⬃⬧⬧▫◆▫•
📖❒☼◆✍⬁ ☑❼⬇❻⬅✍ 🗐 ♑⬧♍•
✁✍✎⅄ 🔔◆❒⬀❽⬓ ⬉◆⑩⬀③❽⌧ ⬀⬁⬀⬂⬁﴾[2]،

وقال الفراء سبقت كلمتنا بالسعادة لهم، والأولى تفسير هذه الكلمة بما هو مذكور هنا فإنه قال:﴿❒✠❑&⬋✠⬀ ♐◆♑⬅✠⬉
✁✍♐⬂☺✡⬁❑⬏❻⬇❑♌⬧◆ ⬀⬂⬁⬁⬀
❒◆⬁⬧♌❑ ⬧⬉⬀⑨⬁☼◆✍ ♐◆♑⬅✠⬉
✁✍♐⬂⬄◆⬁⬧⬧⌨⬅❑♌⬧◆﴾: فهذه هي الكلمة المذكورة سابقا وهذا تفسير لها، والمراد بجند الله حزبه وهم الرسل وأتباعهم "[3].

---

[1] الصافات : 171-173.

[2] المجادلة : 21.

[3] فتح القدير ج: 4 ص: 415.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فنصرة رسل الله وجنده كنجاة أهل الإيمان عند نزول العذاب بالكافرين كلاهما سنة، فأما النجاة فهي الخلاص-كما تقدم-، وأما النصرة فهي الغلبة والتمكن –وقد فرقنا بين النجاة والنصرة رغم أن النجاة في مرحلة ما هي نفس النصرة لما يأتي بيانه في المبحث الموالي إن شاء الله-.

ولئن كانت الآية نصت نصا صريحا على نصرة المرسلين، فقد عطفت عليهم آية سورة غافر المؤمنين فجعلتهم منصورين كالمرسلين –وإن كان لفظ [illegible] في الآية يعمهم أيضا- ، قال تعالى [illegible].[1]

فهذه الآية –كما الآية السابقة- تنص على سنة الله عز وجل في نصرة رسله، ثم تزيد عليها النص على نصرة المؤمنين مع المرسلين بصفة صريحة، كما أنها تصرح بأن هذه النصرة تكون في الحياة الدنيا وتكون أيضا في الآخرة: [illegible].

فأما النصر في الحياة الدنيا فـــ:" ... فيه ثلاثة أقوال:

- أحدها: أن ذلك بإثبات حججهم.

[1] غافر: 51-52.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- والثاني بإهلاك عدوهم.
- والثالث بأن العاقبة تكون لهم "[1] .

وما ذكر في القول الأول حاصل لجميع الرسل وأتباعهم، وأما ما ذكر في القول الثاني فهو ما سبق الحديث عنه في باب إنجاء الرسل وأتباعهم، وأما الثالث فيتضمن معنى زائدا وهو غلبتهم على عدوهم غير أن ذلك لا يحصل مباشرة بل في النهاية - أي العاقبة-. وقد قال ابن الجوزي –بعد أن ذكر هذه الأقوال الثلاثة:" وفصل الخطاب أن نصرهم حاصل لا بد منه، فتارة يكون بإعلاء أمرهم كما أعطى داود وسليمان من الملك ما قهرا به كل كافر وأظهر محمدا صلى الله عليه وسلم على مكذبيه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم كما فعل بنوح وقومه وموسى وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بعد وفاة الرسل كتسليطه بختنصر[2] على قتلة يحيى بن زكريا، وأما نصرهم يوم يقوم الأشهاد فإن الله منجيهم من العذاب. وواحد الأشهاد شاهد كما أن واحد الأصحاب صاحب وفي الأشهاد ثلاثة أقوال:

- أحدها: الملائكة شهدوا للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالتكذيب قاله مجاهد والسدي، قال مقاتل وهم الحفظة من الملائكة.
- والثاني: الملائكة والأنبياء قاله قتادة.
- والثالث: أنهم أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح، قاله ابن زيد"[3].

وقد بين ابن الجوزي هنا أن النصرة يوم يقوم الأشهاد هي نجاتهم من عذاب الله يوم القيامة، ومفهوم ذلك أن خذلان الكافرين هو ما يلقونه من خزي وعذاب ومذلة ثم مرجعهم إلى الجحيم.

أما النصرة في الحياة الدنيا فجعل لها صورا ثلاثة:

---

[1] زاد المسير ج: 7 ص: 230

[2] انظر خبر بختنصر عند: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك 1/316-325، وعز الدين بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ 1/261-271، دار صادر، بيروت، د ت ط، وابن كثير، البداية والنهاية 2/31-36.

[3] ابن الجوزي، زاد المسير 7/230..

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

1- الصورة الأولى: هي صورة التمكين التي وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومن قبله داوود وسليمان ومن ماثلهم من أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام-.

2- الصورة الثانية: هي صورة الإنجاء عند إهلاك المعادي والمخالف التي وقعت لنوح ومن معه من المؤمنين أو موسى وقومه وغيرهما من الأنبياء.

3- الصورة الثالثة: هي صورة الانتقام من المكذبين بالرسول بعد وفاته كما حدث لزكريا –عليه السلام-.

ولعل سبب الإشكال ما علم -بل ما نص عليه القرآن الكريم نفسه- من تسلط طوائف من الكفار على أهل الإيمان -وحتى على بعض الرسل- إلى درجة قتلهم لهم كما حدث ليحيى وزكريا-عليهما السلام-، وفي التنزيل:﴿☐♌⌧◗

♦✖⇦♎🔔⅄✏♐♐✃ ③♦▤⬁▦→❷⇖❒♍♒
♎●☼◷♦③♐♦★⌧📪 ★✏♐♐✃
❒♦③♦◗⬂✌←▣→❒♍♒
♐♐✃✡⌘▭⌧⑩♒⌚♏♊⌘ 📪⌧⇔♦❷⬀❸⌧
❍⍓✡♋♑ ❒♦③◗⬂✌←▣→❒♍♒
♐♐✃▲⇦♎🔔⅄✏♐♐✃ ③♦🕯▫✌⇖❷⇖❒♍♒
📪⌧♐♐♑⬂◗⬃○⇔⬆⬁ ✌♎⬀♒
✃♐♐♑☾☐♐♐☐⬂ ▫♦⌨♦⌑♏⬁❸⬃♎→🏳
📪⌧→⍓⓿⊠✃☢✌ 🕮❒♑♎⑩🏳✌ ⬀⬂✿⬁﴾[1]، فكأن قائلا يقول: قد سبقت كلمة الله لأنبيائه وأتباعهم أنهم منصورون، وأن جند الله هم الغالبون، فما بال الكفار يتسلطون على أهل الطاعة والإيمان، بل يقتلون أنبياء ورسلا لله عز وجل؟

فإذا تقرر هذا، فإن الإشكال قد يزول إذا نظرنا إلى هذه النصرة على أنها نصرة أمة وعقيدة ومبدأ أكثر من كونها نصرة أشخاص، وهنا يزول التأثير الفردي، فلا يمثل الشخص –ولو كان أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- ثقلا في جانب وزن الأمة

---

[1] آل عمران: 21.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والفكرة والمبدأ، ومن جهة أخرى فإن فترة تسلط الكفار تصير مهملة لأن أعمار الأمم تقاس بآلاف السنين وليس بمائاتها فضلا عن عشراتها. وهو ما تشهد له نصوص القرآن نفسها، قال تعالى: [illegible][1].

فقد قيل للذين استعجلوا العذاب إنه وعيد منجز، وهو يقابل ما قيل للمؤمنين من أن النصر وعد منجز، وأن يوما عند الله كألف سنة مما يعد الناس ولعل ذلك هو الميزان الصحيح في قياس أعمار الأمم، وقد لبث نوح في قومه [illegible][2]، وفي ذلك تأكيد على أننا إذا نظرنا إلى الأمر على أنه نصرة أمة فإن تسلط الكفار بلغ ما بلغ لا يعدو أن يكون ساعة من نهار.

وأما ما يشهد لزوال التأثير الفردي، فما قص القرآن الكريم من حكم الحق عز وجل على بني إسرائيل بالتيه أربعين سنة يفنى فيها الجيل الذي صيغ صياغة معوجة، ويبدل مكانه جيل آخر يكونون أنقى أفئدة وأطهر قلوبا، وهي فترة توفي فيها نبيا

---

[1] الحج: 47-48.

[2] العنكبوت: 14.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الله موسى وهارون عليهما السلام،[1] قال تعالى: [illegible][2].

هذا ولقد وقع التصريح بالنصر بمعنى الغلبة والتمكين ووعد به المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعدا صريحا منجزا في قوله تعالى: [illegible]

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 130/6.

[2] المائدة: 26.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

⇖☠➔♎ ⊡⌨✍◈✵◷⬩♌◉♁❒⬆♁⬩▫
.[1]✵⇦⌧⌧⇗ ⬧♌❑→◑⇖○◷☒▦⬂♌◉♋♋✂

فقد قررت الآية جملة من الأشياء، منها: أن الله قد وعد المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعدا، و " الوعد يستعمل في الخير والشر، يقال: وعد يعد بالكسر وعدا، قال الفراء: يقال: وعدته خيرا ووعدته شرا، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير: الوعد و العدة، وفي الشر الإيعاد والوعيد، فإن أدخلوا الباء في الشر جاءوا بالألف فقالوا: أوعده بالسجن"[2]. وقد جاء الوعد في الآية مجردا عن الإضافة وهو يدل على الوعد بالخير.

وأما الموعودون بهذا الوعد فقد وصفتهم الآية بصفة:✵
☎✂❑⇖☪⬧✌✂⬧⇗ ⬧✖⇦⌧🔔➤✎♋✂
☎✂❑➔⬛⌧☺⬧⇖⬧❑ ⬄⚐⇗▤☪⌧✌
✂♋◉◷●◷⬛⌧⬩⊡◷✹💣⌧ ✵، وهي عبارة تدل على العموم، وظاهرها يدل على شمولها لجميع الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد –صلى الله عليه وسلم-. وقال الإمام " ... مالك نزلت: هذه الآية في أبي بكر وعمر "[3].

قال القرطبي:" قال الضحاك: ... هذه تتضمن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لأنهم أهل الإيمان وعملوا الصالحات، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" الخلافة بعدي ثلاثون "[4]، وإلى هذا القول ذهب ابن العربي في أحكامه واختاره وقال: هذه الآية دليل على خلافة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم وأن الله استخلفهم ورضي أمانتهم وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم لأنهم لم يتقدمهم

---

[1] النور: 55.

[2] الرازي، مختار الصحاح ج: 1 ص: 303 .

[3] أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن 1047/2.

[4] صحيح ابن حبان، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون من في أمته من الفتن بعده، ذكر الخبر الدال على أن الخليفة بعد عثمان بن عفان كان علي بن أبي طالب 392/15، ح6943، وأبو الحسن علي بن الجعد الجوهري البغدادي، مسند ابن الجعد 479/1، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط1: 1410-1990.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا فاستقر الأمر لهم وقاموا بسياسة المسلمين وذبوا عن حوزة الدين فنفذ الوعد فيهم، وإذا لم يكن هذا الوعد لهم نجز وفيهم نفذ وعليهم ورد ففيمن يكون إذا وليس بعدهم مثلهم إلى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده[1] وحكى هذا القول القشيري عن ابن عباس "[2].

فقد ذكر مالك أن الآية نزلت في أبي بكر وعمر، وقد اختلف في هذه الصيغة: هل تدل على شمول الآية لمن نزلت فيه أم على سبب النزول[3]، وكمل الضحاك عدة الأربعة بعثمان وعلي، فتم نصاب الأربعة الذين شهدت لهم الأمة وتلقت خلافتهم بالقبول.

أما ابن العربي فقد ذهب أبعد من ذلك فجعل الآية مقصورة عليهم وحدهم، قال:" وقال قوم: إن هذا وعد لجميع الأمة في ملك الأرض، كما قال صلى الله عليه وسلم:" زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها "[4].

قلنا لهم: هذا وعد عام في النبوة والخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد في كل أحد بقدره وعلى حاله، حتى في المفتين والقضاة والأئمة، وليس للخلافة محل تنفذ فيه

الموعدة الكريمة إلا من تقدم من الخلفاء الأربعة"[5].

فابن العربي –رغم أنه يقر بأن جميع الأمة موعودون بالنصرة والغلبة- إلا أنه يجعل هذه الآية مقصورة على الخلفاء الراشدين الأربعة فقط دون غيرهم الذين قد تشملهم موعدة أو وعود أخرى في نصوص أخرى دون هذه الآية. ومتمسكه في

---

1 انظر ابن العربي، أحكام القرآن 1048/2.

2 تفسير القرطبي ج: 12 ص: 298

3 انظر: الزركشي، البرهان 56/1، السيوطي، الإتقان 42/1.

4 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض 2215/4 ح2889.

5 ابن العربي، أحكام القرآن 1048/2

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ذلك تصريح الآية بالاستخلاف الذي يرى أنه لم ولن يتحقق في صورته الكاملة لغير هؤلاء الأربعة –رضي الله عنهم أجمعين-. قال:" قال سعيد بن حمدان عن سفينة، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا"[1]، قال سفينة أمسك عليك: خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان اثني عشر، وعلي كذا "[2].

وأما ابن عطية فقد جنح إلى عمومها للخلفاء الأربعة وغيرهم –خلافا لابن العربي- ، قال:"... فترلت هذه الآية عامة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى:﴿ ✖︎❼ ✂︎☞❻⬀✔︎⬂ ﴾: يريد في البلاد التي تجاورهم والأصقاع التي قضى بامتدادهم إليها، واستخلافهم هو أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها كما جرى في الشام وفي العراق وخراسان والمغرب ...

والصحيح في الآية أنها في استخلاف الجمهور "[3].

ولعل متمسك ابن عطية ورود الآية بصيغة العموم، وعدم وجود ما يخصصها أو ما يدعو لحملها على الخصوص، وقد وجدنا القرطبي يؤيد هذا القول ويخالف ابن العربي –على غير عادة-، قال:" قلت هذه الحال لم تختص بالخلفاء الأربعة رضي الله عنهم حتى يخصوا بهم من عموم الآية، بل شاركهم في ذلك عموم المهاجرين، بل وغيرهم، ألا ترى إلى إغزاء قريش المسلمين في أحد وغيرها وخاصة الخندق حتى أخبر الله تعالى عن جميعهم فقال:﴿ ☽❶⬂

♉︎⍓✎⬈⬇︎❑✉︎⬈☠︎✌︎♓︎♋︎♊︎▫︎♦︎❑⬀🔔︎♋︎▤⬈☠︎⬀

❑◆✌︎♋︎♊︎⇳ 📖︎❑♒︎⬄▩☒✍︎• ✌︎♋︎☪︎▤⬈☠︎⬀

❑◆☽♋︎❶⬂ ♏︎⍓✂︎⬊☒💣︎♋︎

✂︎♏︎☞✉︎⬀◴✿◴❷⬉ ❑◆✉︎⬧⬛︎⬄⬥💣︎♋︎

[1] صحيح ابن حبان، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون من في أمته من الفتن بعده، ذكر الخبر الدال على أن الخليفة بعد عثمان بن عفان كان علي بن أبي طالب 392/15، ح6943، ومسند ابن الجعد 479/1.

[2] ابن العربي، أحكام القرآن 1048/2.

[3] أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري–السيد عبد العال السيد إبراهيم، 538/10-539، دون دار طبع، قطر : 1409-1988.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible][1]، ثم إن الله رد الكافرين لم ينالوا خيرا وأمن المؤمنين وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وهو المراد بقوله: [illegible] وقوله: [illegible]: يعني بني إسرائيل إذ أهلك الله الجبابرة بمصر وأورثهم أرضهم وديارهم، فقال: [illegible][2]، وهكذا كان الصحابة مستضعفين خائفين ثم إن الله تعالى أمنهم ومكنهم وملكهم، فصح أن الآية عامة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم غير مخصوصة؛ إذ التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب له التسليم، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم "[3].

---

[1] الأحزاب: 10-11.

[2] الأعراف: 127.

[3] تفسير القرطبي ج: 12 ص: 299

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فالحاصل أن الموعودين بالاستخلاف والتمكين هم جمهور الأمة لأن عموم الآية يدل عليه، وإن كان أحق من يصدق عليه هذا الوعد الخلفاء الراشدون الأربعة – رضي الله عنهم وأرضاهم– الذين امتدحهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:" فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي "[1]، وشهدت لهم الأمة بالنصح والأمانة.

والوعد الذي وعد به المؤمنون هو:

1- أن يستخلفهم الله كما استخلف الذين من قبلهم.
2- وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم.
3- وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا.

فأما الاستخلاف فقد تقدم قول ابن عطية فيه:" هو أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها كما جرى في الشام وفي العراق وخراسان والمغرب "[2].

وأما معنى:﴿❒◆☺▤◆ᖇ⊘◆⊗ᶓ⇦☪◆♊●

○●←☠⬀ ⑩ᛥ③❁◆ᶓ↙☠⇖ ✂ᯅ✎⤑🔔ᛥ⑨

✂ᯅ❻⬀✍◆ℤ✿ℤ▤ ▭○●←☠⬀ ﴾:" .. ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون، والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال: مكن له في الأرض أي جعلها مقرا له، ومنه قوله تعالى:﴿◑ᛥ✡✵ᯅ

☝◆▤⤑✡□ᯅ ᶓ◆○← ⓘ ×ᛥ❼

✂ᯅ❀☞❻⬀⤑⛉ ﴾[3] ونظائره، وكلمة ﴿في﴾ للإيذان بأن ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها، للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه

---

[1] سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع 44/5 ح2676، وسنن ابن ماجه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 16/1 ح43، وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، السنن الواردة في الفتن، باب الاستمساك بالدين واللزوم على السنة ثم ظهور الفتن 375/2، تحقيق: د. ضياء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط1: 1416.

[2] أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري–السيد عبد العال السيد إبراهيم، 538/10–539، دون دار طبع، قطر : 1409–1988.

[3] الكهف : 84.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وسلامته من التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالأرض في الثبات والقرار، مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الأرض، وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة إلى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقها لهم إليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده، ولأن في توسيطها بينه وبين وصفه -أعني قوله تعالى:﴿ ✂☝✎⅄🔔✍❾ ✂☝❻⇗✍♦✍✿✍▤ ⌨❍●🡐☠⇗ ﴾ - وفي تأخيرها عنه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى، وفي إضافة الدين إليهم وهو دين الإسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه "[1].

" وجاء في معنى تبديل خوفهم بالأمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال أصحابه أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام:" لا تلبثون إلا قليلا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس عليه حديدة "[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: "والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" خرجه مسلم

في صحيحه[3]، فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم "[4].

إذن فقد وعد المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعدا صريحا بنصرة الاستخلاف والتمكين، غير أن لهذا الوعد شروطا يجب على المؤمنين تحصيلها، وأجلا لا يعلمه إلا الله ولكن نصبت عليه علامة:

فأما الشروط فقد ذكرت في قوله تعالى:﴿ ♊♦✌ ✦✎☝✂ ·♍◆❸⇧⇦☪◆⑩♦♌✆◆❒ ⅄✎☝✂ ·♍✍☽ ▤ ▦⌚🡐■🡐❸⇧⇦✡◆③ ⇦✍⇙⇗ ↘❽③⌘❽◆↖ 💻❾⇗❑♦☽♦♌✆ ﴾

---

[1] تفسير أبي السعود ج: 6 ص: 191

[2] ابن جرير، جامع البيان 18/159-160.

[3] هو بهذا اللفظ في صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر 6/2546 ح6544.

[4] تفسير القرطبي ج: 12 ص: 299

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible].[1]

فنصت الآية على أن الله سبحانه وتعالى ينصر من ينصره " أي ولينصرن –سبحانه– من ينصر دينه وأولياءه، لأنه تعالى هو القوي على كل فعل يريده، العزيز الذي لا يغالبه مغالب، ولا ينازعه منازع ...

ثم وصف سبحانه هؤلاء الذين وعدهم بالنصر بأكرم الصفات، ليميزهم عن غيرهم فقال: [illegible]؛ أي ولينصرن الله تعالى هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق والذين من صفاتهم أنهم إذا مكنا لهم في الأرض ونصرناهم على أعدائهم شكروا لنا ما أكرمناهم به، فأقاموا الصلاة في مواقيتها بخشوع وإخلاص، وقدموا زكاة أموالهم للمحتاجين وأمروا غيرهم بالمعروف ونهوه عن المنكر ...

فالآية الكريمة تبين أن أولى الناس بنصر الله هم هؤلاء المؤمنون الصادقون "[2].

---

[1] الحج: 40-41.

[2] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة السعادة، د ت ط، 9/73-74.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إن صاحب التفسير الوسيط يوضح هنا أن الذين وعدوا بالنصر هم الذين ينصرون الله: أي ينصرون دينه، والذين من صفاقم أهم إذا مكنوا في الأرض شكروا ما أكرمهم الله به فأقاموا الصلاة في مواقيتها بخشوع وإخلاص، وأدوا زكاقم للمحتاجين وأمروا غيرهم بالمعروف وفموهم عن المنكر.

وهو يجعل هذه الصفات شكرا يعقب النصر، أما سيد قطب فقد نظر إليها على أها شروط تتقدم النصر، قال:" فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره . . فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله ، فيستحقون نصر الله ، القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه؟ إهم هؤلاء:

﴿ ✂︎♋︎♋︎✍︎♌︎⍓︎♎︎⇦×♦ ♌︎♑︎♌︎
✌︎▯▤⅄✡︎▯🕛♑︎←☠︎⬀ ×♑︎➐ ✂︎♋︎♋︎❀☞➏⬀⍌⬆︎ ﴾ . .
﴿ 🕮▯🔔︎♋︎♋︎✌︎⬉▯✂︎☎︎ ﴾ . . فحققنا لهم النصر ، وثبتنا لهم الأمر
﴿ ✂︎♋︎♋︎⦾🕛⚪︎▣■▯▤▯■ ﴾ . . فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به ، واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين . .
﴿ ▯♦⬈♦✂︎✍︎•▯↓✂︎☎︎ ﴾ . . فأدوا حق المال ، وانتصروا على شح
﴿ ✂︎♋︎♋︎⦾➑▯▤•▯▤▯■ ﴾
النفس ، وتطهروا من الحرص ، وغلبوا وسوسة الشيطان ، وسدوا خلة الجماعة ، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج ، وحققوا لها صفة الجسم الحي - كما قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[1]..

﴿ ▯♦🕮▯✌︎♦➋⬉▯✂︎☎︎ ﴾
﴿ 📭︎♑︎♋︎♋︎♋︎⦾⬊☺︎⍓︎➔⬃➋⬉▯♋︎⇧ ﴾ . . فدعوا إلى الخير والصلاح ، ودفعوا إليه الناس . . .
﴿ ▯♦☼♦♑︎⍓︎▯⬀✂︎☎︎ ﴾ . . فقاوموا الشر والفساد
﴿ ⬉♦♊︎⇧ ✂︎♋︎⦾⬊☺︎←☪︎▤•➋⌧▤ ﴾

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم 2238/8 ح5665، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم 1999/4، ح2586.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

، وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقي على منكر وهي قادرة على تغييره ، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه . .

هؤلاء هم الذين ينصرون الله ، إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة ، معتزين بالله وحده دون سواه . وهؤلاء هم الذين يعدهم الله بالنصر على وجه التحقيق واليقين ".[1]

ثم يقول:" فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته . المشروط بتكاليفه وأعبائه . . والأمر بعد ذلك لله ، يصرفه كيف يشاء ، فيبدل الهزيمة نصرا ، والنصر هزيمة ، عندما تختل القوائم ، أو

تهمل التكاليف: ولله عاقبة الأمور . . ".[2]

فهذا النصر بالنسبة إليه قائم على أسبابه ومقتضياته وهي الالتزام والاستعداد للوفاء بحقوق الله كإقامة الصلاة، وحقوق الناس كأداء الزكاة، ونشر الخير والفضيلة والأمر بالمعرف و والنهي عن المنكر.

وأما الأجل الذي يأتي فيه هذا النصر فليس يعلم وقته إلا الله –سبحانه وتعالى–، وقد صرح بذلك نبي الله نوح –عليه السلام– مجيبا قومه الذين استعجلوا العذاب فــ

⇳⑨⬧🔔 ⬅⬔❑⬉☪🕓⬧③ ☎✁❑⬈🙰✍⬧🔔✵
❀☠⬃❸⬧✡⇩🗏❒🕯⬧▫ ✍❑✡⬧☞⬂🙰⬔⑨🕓⬔♉
✍⬔☺⛧📪 ✍❑✡⛧✍▫🕯⬧▫ ✍❑✡⬧🙰🕓⬔⑨⬁♉
⌘♊⛧👌 ❀💣✡→🗏 ♌⛧◗ ✎✍⬧☼←⑨⛧➔⬧✍
⬧✌✍⬧🔔 ⬖⬚⬚⬀ ⬧✗✓⛧🔔⛧⑨🕓⭘🕓🙰✍✁
⛧❍⛧📪 ☠⬈🗏⑩⛧✍▫🕯⬧③ ✍⬔☺✵☼⛧◗
✎✍⬧👌⬧❒ ⬧⬈✎✍☒⅄ ♌⛧◗ ✦✎✍✁
⬖⬚⬀ ⬧✗⇦⬚❽⬂⬃➔←☺⛧📪 ⚐⬅☞☼❒🕮
✗⛧⬁⌫⬄🕓⬅☼ ⬀📪⬈🗏⬉➔☒▦☪⬧③ ••⬧❒

[1] في ظلال القرآن 2428/17.
[2] في ظلال القرآن 2428/17.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

فحتى شخص النبي ليس له علاقة ولا دخل في تحديد أجل هذا النصر، غير أن القرآن الكريم قد نصب على قرب هذا الأجل علامة، وهي اقتراب المؤمنين –بل والرسل– من مرحلة اليأس عند بلوغ البلاء ذروته، كما قال تعالى: [illegible] .[2]

قال ابن الجوزي:" قوله تعالى: [illegible] المعنى متعلق بالآية الأولى[3] فتقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فدعوا قومهم فكذبوهم، وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم [illegible]

---

[1] هود: 22-24.

[2] يوسف: 110.

[3] هي التي تسبق هذه الآية وهي قوله تعالى: [illegible] يوسف: 109.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

﴿ ↖✍←ᘓ❾❷☜✂ "▪♦★⬂⓿♦☞⬄ᘓ✂ ﴾، وفيه قولان: أحدهما: استيأسوا من تصديق قومهم قاله ابن عباس، والثاني: من أن نعذب قومهم قاله مجاهد، ﴿❒♦←◆❍❻❑☑✂☎ 🕮❒⌧❑&⬋☠⬀ 🔔♦⑨⇳ 🗎→⓿✐✂❑←❑✂☎﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: كُذبوا مشددة الذال مضمومة الكاف، والمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم؛ فيكون الظن هاهنا بمعنى اليقين هذا قول الحسن وعطاء وقتادة، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: كُذبوا خفيفة والمعنى ظن قومهم أن الرسل قد كُذبوا فيما وعدوا به من النصر لأن الرسل لا يظنون ذلك، وقرأ أبو رزين ومجاهد والضحاك: كَذبوا بفتح الكاف والذال خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أيضا أهم قد كذبوا، قاله الزجاج: قوله تعالى: ﴿♉⌂✍⬈◆♎➔💣⇳ ☼♦⬀⬄❸←☼♦✍﴾: يعني الرسل، ﴿◽♦☪⬉⬈♎✐⌘ 👌♦♊ 💧✸⌖♦✍✏⬈↓ ☎﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿فننجي﴾: بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة، وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحفص جميعا عن عاصم ويعقوب: ﴿◽♦☪⬉⬈♎✐⌘﴾: مشدده الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة، يعني: المؤمنين نجوا عند نزول العذاب ..." [1].

فقد نصت الآية على أن الله أرسل رسلا قبل محمد صلى الله عليه وسلم إلى قومهم فكذبهم قومهم، وطال صبر الرسل كما طال تكذيب قومهم حتى استيأسوا من إيمان قومهم أو من نزول العذاب بهم واستبطأوه، وأيقنوا أنهم مكذبون وأن قومهم لن يؤمنوا، أو ظن قومهم أنهم قد كُذبوا وأن العذاب لن يترل، أو ظنو أن الرسل قد كَذبوا فيما أخبروهم من نزول العذاب، عند ذلك جاءهم نصر الله وقد كاد ينقطع رجاؤهم عنه.

وقد استنبط أبو السعود من الآية أمرين:

أحدهما: أن هؤلاء الأقوام الذين قص القرآن الكريم خبرهم مع رسلهم قد ضُربوا مثلا لمن هم على شاكلتهم من الكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو

---

[1] زاد المسير ج: 4 ص: 296-297

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لجميع الكفار في كل عصر من العصور، قال:" ﴿✇○⍓☹□✓✂ ✂♦❶⍉✆ ✂✍✍ଓ⇔☞♦⓿⇘★♦▪" ✂✍✍☯❷❾ଓ←✍⇖ ﴾ غاية لمحذوف دل عليه السياق،:أي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء، فإن من قبلهم قد أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا، أو عن إمهالهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع "[1].

والثاني: أن طول مدة التكذيب قد أوصلت هؤلاء الرسل إلى ما يماثل الإحباط النفسي وخيبة الأمل مما حصل لهم من نكوص قومهم عما أرادوا لهم من الخير والهدى، أو من تأخر النصر في الحياة الدنيا حتى انقطع رجاؤهم عنه –ولعلهم ظنوا ألا حظ لهم من ذلك إلا ما يكون في الآخرة[2]–، قال:" ﴿❒◆←♦☪❻❑☑✂☎ 🕮❒✠□&✓☠⬀ ♫♦⑨⇳ 🗎➔⓿✍📫←❑✂☎ ﴾:

كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون عليهم، أو كذبهم رجاؤهم فإنه يوصف بالصدق والكذب؛ والمعنى إن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا "[3].

والآية تنص على أن وقوع ما سبق هو علامة على مجيء النصر ﴿✇○⍓☹□✓✂ ✂♦❶⍉✆ ✂✍✍ଓ⇔☞♦⓿⇘★♦▪" ✂✍✍☯❷❾ଓ←✍⇖ ❒◆←♦☪❻❑☑✂☎

---

[1] تفسير أبي السعود ج: 4 ص: 310

[2] إن إدراك الإنسان للنصر في الحياة الدنيا ليس جزءا من عقد الإيمان حتى ولو كان نبيا من أنبياء الله، ولذلك قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿▫♦✉⍉✌□✍ ☼←❷⚜③♦☪□⌨⍓ 📫♦➔⬃✈◆ ✂✍✏✈🔔⍉❽ ☼♦➔⍉⑨←♏➔☹⬀ 🕮❒❒⬃☼♦☝♦❑◆▫✈⓿◆✡□⌨⍓ ▫♦✉⍉✍ᘓ♦⑩⇘☪◆✍ ③⇖❷⬀♉⍓➔⇖❑♌♦ ⇪∂∂⇦ ﴾ غافر: 77، وقد قتل الكفار طائفة من أنبياء الله كيحيى وزكريا عليهما السلام، وحين بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار يوم العقبة لم يعدهم غير الجنة مع علمه بما سيفتح الله عليهم بهذا الدين. انظر محمد بن هشام، السيرة النبوية 443/1، تحقيق: مصطفى السقا-إبراهيم الأبياري-عبد الحفيظ شلبي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت-دار القبلة، جدة، د ت ط، وابن كثير، السيرة النبوية 195/2، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت: 1403-1983.

[3] تفسير أبي السعود ج: 4 ص: 310.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] ... .

ولئن كان المرسلون –وهم صفوة العباد- يصلون إلى مرحلة اليأس، فإن المؤمنين من أتباعهم لا بد أن يدركوا ذلك، وهو ما وقعت الإشارة إليه في قوله تعالى: [illegible].[1]

قال ابن حجر: "... قال قتادة و السدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد و الشدة و الخوف و الحر و البرد و ضيق العيش وأنواع الأذى، فكان كما قال الله تعالى: [illegible][2]، قلت أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، و أخرج الطبري من طريق أسباط عن السدي قال: أصابهم هذا يوم الأحزاب حين قال قائلهم: [illegible]

---

[1] البقرة: 213.

[2] الأحزاب: 10.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

↘↗❹↑❻❒✡✁ ⇗✂⌘⇘⇍ ﴾[1]، وقال عطاء لما دخل رسول الله وأصحابه المدينة اشتد الضرر عليهم فإنهم خرجوا بلا مال و تركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين و آثروا رضى الله و رسوله وأظهرت لهم اليهود العداوة و أسر قوم من الأغنياء النفاق فأنزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم ﴿ 🕮❒⚐⬀ ○⍓○⬁⌛⬀☞←⚐⬄ ♌❒🕮 ✍⬧⑨⇳⌘⬈▪➔❑✁☎ ✁✍✍⑩♑⬂⬈⍓✡❑▪⬧ ﴾ الآية"[2].

وهذه الأسباب التي ذكرت لنزول الآية تكشف عن صورة محسوسة لما سمته الآية: ﴿✁✍✍⑩♑⬂⌨◆✇▫♒⍓✍✍✏↗↓

❑◆✁✍✍⑩♑➢➰❸▪✁✏↗↓ ﴾، وهي تنص على أن المؤمنين لا يدخلون الجنة حتى تبتلى صلابة إيمانهم كما هي سنة الله في الذين من قبلهم. قال أبو السعود: " ﴿🕮❒⚐⬀ ○⍓○⬁⌛⬀☞←⚐⬄﴾: خوطب به رسول الله ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم، إثر بيان اختلاف الأمم على الأنبياء عليهم السلام[3]، وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الأنبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وأن عاقبة أمرهم النصر، و ﴿🕮❒⚐﴾ منقطعة والهمزة فيها للإنكار والاستبعاد: أي بل ﴿○⍓○⬁⌛⬀☞←⚐⬄ ♌❒🕮

✍⬧⑨⇳⌘⬈▪➔❑✁☎ ✁✍✍⑩♑⬂⬈⍓✡❑▪⬧

❑◆⑩♑⬧☺● ✍✍ ③◆▫✍♑▤↗☠ ✌❑✙⬧✍↖

✁✍✍✏⮝🔔♑⬄✖◆ ⌘⍓▪▪■❑⬀✁☎ ✌♑♊

🔔⬧⌛⬀▪♑▤↗☠ ☎ ﴾: من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين، أي والحال أنه لم

---

[1] الأحزاب : 12.

[2] ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب ج: 1 ص: 532-533.

[3] يشير إلى ما يسبق هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿✍⬈⍓🔔♌◆ ✁✍✍⑩❒☾❒✍✍↓ 🕮↑✌❒❒☾ ❒◆◷■♑⑨⍓❒☾ ▫•⌨◆➔⍓✺⍓ ✁✍✍✏✦ ✁✍✍⑩✡❒▬♑⑩♒⌘♊ ✌♏ ⊕◆▬↖✌ ❷☒⬄▫✍ ◆❒⬧❦⑥⛔ ❒◆✕🕮❒✡❽❽◆✌◆ ✌◆⬧→♑☠↖ ✁✍✍⑩♑⍓▤⬁☝◆🕐▪❁ ⛴✍✍♑⍓✍✍⑩♑⬃◆✌▪✌ ⛮⚖⬀ ✍⑩♑⍓✔⬀✓⬄◆ ⌘☠↗▤⬄◆⑩♑⑩ ✁✍✍⑩♑☾❒✍✍❒⬂ ▫♑⑩☺⍓✍ ✁✍✍⌘☞⬀◆▪▪▥➔❑✁☎ ▫♑⑩○♑▤ ...﴾البقرة: 212.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يأتكم مثلهم بعد و لم تبتلوا بما ابتلوا به من الأحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر، ﴿👌❑○○☺⬀&⬋☠⬉﴾ استئناف وقع جوابا عما ينساق إليه الذهن كأنه قيل: كيف كان مثلهم؟ فقيل: مستهم ﴿↓⬈✏⍓⊠♒▫🕯♦⌨⬂♍◉⍓✂﴾: أي الشدة من الخوف، ﴿↓⬈✏✂▪❸⍓➢♍◉⍓✂♦❑﴾: أي الآلام والأمراض، ﴿☎✂❑⬈♍◉⌧❽⬂♍◉⬉♏♦❑﴾: أي أزعجوا إزعاجا شديدا بما دهمهم من الأهوال والإفزاع، ﴿♦✌❑→◗♦③ 🗐✗✹☹⊠○﴾ ♦✖⇦🙰🕭⅄✏⍓✂♦❑ ⬉✌❑←♒▪❷♍◉⍓✂ ⬈♦✂👌♦☪⬉❑✂☎ 👌♦➔⊠○⬅⏀ ﴾: أي انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرهم الضجر إلى أن يقول الرسول –وهو أعلم الناس بشئون الله تعالى وأوثقهم بنصره–، والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره ﴿👌♦☹♦✗🗐﴾: أي متى يأتي ﴿💧■⮵⇔❸⬅ ✂⍓✏★﴾: طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء، وقرئ حتى يقولُ بالرفع على أنه حكاية حال ماضية ".[1]

فبين أن الآية تفيد الإنكار على من يتوقع دخول الجنة من غير أن يتعرض لما تعرض له المؤمنون من قبل من الشدة والخوف والآلام والأمراض والأهوال والإفزاع، حتى اضطرهم الضجر إلى أن يقول من هو أعلم الناس بالله وأوثقهم بنصره –أي النبي– متى يأتي نصر الله؟ تمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء.

ثم يقول:" وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية؛ كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج، عُلم أن الأمر بلغ إلى غاية لا مطمع وراءها ﴿🕮❑♦✋ ◗♑♌❑ 💧■⮵⇔❸♦ ✂⍓✏★ 🕭♦❷⌧③🖫♊﴾ على تقدير القول: أي فقيل لهم حينئذ ذلك إسعافا لمرامهم بالقرب الزماني، وفي إيثار الجملة

---

[1] تفسير أبي السعود ج: 1 ص: 215

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقيق مضمونها وتقريره مالا يخفى، واختيار حكاية الوعد بالنصر لنا أنها في حكم إنشاء الوعد لرسول الله، والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للإيذان بعدم الحاجة إلى ذلك لاستحالة الخلف... "[1].

فقد أوضح ما يأتي:

1- أن الآية تفيد الإنكار على من يتوقع دخول الجنة من غير أن يبتلى كما ابتلي الأولون.

2- أن هذا البلاء يتضمن من الخوف والفاقة والآلام والأمراض والإزعاج بما يدهم المبتلى من الأهوال والإفزاع حتى ينتهي الأمر بالذين ابتلوا إلى درجة الضجر.

3- أن هذا الضجر يبلغ مرتبة تجعل الرسول وهو أعلم الناس بالله وأوثقهم بنصره ، والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره يقولون: متى نصر الله؟ " طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء". وهو ما يدل على عظمة البلاء وطوله، وهو كما قال:" وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية، ونهاية النهايات النائية، كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار، حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج " مما ينطق بأن الأمر بلغ إلى غاية لا مطمح وراءها .

4- وعند بلوغ هذه الغاية التي لا مطمح وراءها يجيء النصر الموعود، وهو ما عبرت عنه الآية بـــ ﴿📖❐⬥✋ ◑♐♌□ ⬧■⬗⬄❸◆ ✄✍★ 🔔⬥❷⌘③🖫♑﴾. وهذا القول إما قيل لمن بلغوا ذلك المبلغ، أو أنه جملة اعتراضية تقرر وعدا إلهيا جاءت ضمن الآيات التي تحكي حال أهل البلاء من الرسل والمؤمنين.

[1] نفسه

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والحاصل أن بلوغ أكمل الناس إيمانا مرتبة اليأس والضجر والاستبطاء للنصر هي العلامة التي نصبت على قرب حلوله ومجيئه.

وخلاصة القول في هذا المبحث: إن من آثار العقيدة الصحيحة نجاة أهل الإيمان عند نزول العذاب بقومهم من الكافرين، وهذه النجاة وعد رباني وسنة إلهية ماضية وعد بها المؤمنون، وقد وعد المؤمنون مع هذه النجاة النصرة؛ وعد بها الرسل كما وعد بها المؤمنون. وهذه النصرة تقع على صور ثلاثة: الصورة الأولى: هي صورة إظهار الحجة، والصورة الثانية: هي صورة الإنجاء وإهلاك الكفار، والصورة الثالثة: هي الانتقام من أعداء النبي بعد وفاته، والأولى حاصلة لجميع الأنبياء والمؤمنين، وأما الثانية والثالثة فقد وقع لنبي هذه ولآخر تلك، غير أننا إذا نظرنا إلى هذه النصرة على أنها نصرة تغليب وتمكين للأمة والعقيدة والمبدأ فإنها حاصلة للجميع حتى أهل البلاء منهم لأن أعمار الأمم تقاس بآلاف السنين والعاقبة دوما للمؤمنين. وقد وعد المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بنصرة التمكين والتغليب وعدا صريحا، غير أن القرآن لكريم علق هذه النصرة على جملة شروط يجب على المؤمنين استيفاؤها، ولهذا النصر أجل لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقد نصبت عليه علامة هي أن يصل الرسل وأتباعهم من المؤمنين إلى درجة من البلاء يقول فيها أعلم الناس بالله وأوثقهم بنصره: متى نصر الله؟ شوقا إليه واستبطاء له.

هذا عن آثار العقيدة الصحيحة على مستوى النجاة والغلبة والتمكين، فما هي آثار العقيدة الفاسدة على المستوى نفسه؟

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الثاني:

أثر العقيدة الفاسدة في النجاة والغلبة والتمكين

تقدم في المبحث السابق أن العقيدة الصحيحة تنجي أهلها إذا نزل العذاب بالظالمين، وأن الأمة المؤمنة تتشكل بنصرة أهل الإيمان والتمكين لهم، فما هو أثر العقيدة الفاسدة على مستوى زوال أو تخلف النصرة والغلبة والتمكين؟

لقد نص القرآن الكريم على أن الله أهلك أمما كثيرة بسبب شركها وكفرها بربها،
❀🔔➔✍⇗ ☎✂❐←❸❷⇖ ❼✗
✂✍✿☞❻⇗✓⇦ ☎✂❐⇖❷⓿→☼✍✍⬧▫
☞☒⌫✂⊠⓿⇘ ⬧♌🔔☒☞ ➔❐⬧⌨☜☽🕔⬧⇖
⬧♌🔔☒☞🗐⇖✍⇗⌛⬧🔔 ♊♊✌ ⬧✗⇦🔔⅄✎✍✂
📖❐🗎⇩✡⬧❸←♎➔⚐ ✌❿⌑⇳❸✗☞✓✗⬧.[1]

والمعنى " ❀🔔➔✍⇗ ☎✂❐←❸❷⇖ ❼✗
✂✍✿☞❻⇗✓⇦ ☎✂❐⇖❷⓿→☼✍✍⬧▫
☞☒⌫✂⊠⓿⇘ ⬧♌🔔☒☞ ➔❐⬧⌨☜☽🕔⬧⇖
✂✍✎⅄🔔⇦✗⬧ ✌♊♊ 🔔⬧⌛⇗✍⇖ ❀: لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه، ❀☞☒🔔♌⬧ 📖❐🗎⇩✡⬧❸←♎➔⚐
✌❿⌑⇳❸✗☞✓✗⬧❀: استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان

---

[1] الروم: 42.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لفشو الشرك وغلبته فيهم، أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم"[1].

والاستفهام في الآية تقرير لحقيقة معلومة حاضرة في ذهن المخاطبين بالآية، وهي أن عاقبتهم كانت الهلاك، والسبب بينته الآية ♦♌🔔☒✍﴾
📖❒⇩✡♦❸←♎→⚐✌⑩⌑⇳❸♐✍♐✓×♦﴿.

كما قرر القرآن الكريم أن فئة قليلة فقط من أهل هذه القرى نجت بسبب نهيها عن الظلم، قال تعالى:﴿ ▫♦⍰■❒⬀♦♦ ✍☒🔔♌♦ ✌♐♊⌘
✂✍✍♐⬂→❷⇖❒♌⬀ ✌♐♊ 🔔♦⌛⬀⍰♐▤⬈💣⇳
📖↑❒🕯♐⬈❒✂☎ ✍♦❩⬃⑩☐❒⌨
③♦☸⬃&❒❒⬀♍⬈ ⇖♦♊⬅
✂✍✍♐⬂⊞☒○✿✍⑩♐ ×♐❼ ✂✍✍✿☞❻⬀⋎⬅
❩♐⍰♦🔔 ⍰♦⑩☒⌖ ✌♓♐☺●♊⇳
📖❒✝♑☐⑩⬂☪♦✍ ✌♐✡⬃♑←⚐⬄ ▤
❒♦✂✍✍✍☐⌨♦⬈◰ ✂✍✍✏⅄🔔♐⇦▫➰
←♦⍰■☺←❒✂☎ ✌♦✍✏
📖↑✍⬂❷⊠▫→❒✂☎ ▫♐❍○♐
❒♦✍☒🔔☼←❒✂☎ 👍→♑⬂❷⊠✌♐✓▫➰
⬀♐⬂⬂⬅﴿.[2]

ومعنى:" ﴿ ▫♦⍰■❒⬀♦♦ ✍☒🔔♌♦ ﴾: أي فهلا كان ﴿✌♐♊⌘ ✂✍✍♐⬂→❷⇖❒♌⬀ ✌♐♊
🔔♦⌛⬀⍰♐▤⬈💣⇳ ﴾: أي من الأمم التي قبلكم، ﴿📖↑❒🕯♐⬈❒✂☎ ✍♦❩⬃⑩☐❒⌨ ﴾: أي أصحاب طاعة ودين وعقل وبصر ﴿③♦☸⬃&❒❒⬀♍﴾: قومهم ﴿⬈♦♊⬅
✂✍✍♐⬂⊞☒○✿✍⑩♐ ×♐❼ ✂✍✍✿☞❻⬀⋎⬅ ﴾: لما أعطاهم الله تعالى من العقول وأراهم من الآيات، وهذا توبيخ للكفار، وقيل: لولا

---

[1] تفسير البيضاوي ج: 4 ص: 338

[2] هود : 114.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هاهنا للنفي أي: ما كان من قبلكم، كقوله:﴿ ﴾[1]: أي ما كانت:﴿إلا قليلا﴾: استثناء منقطع أي لكن قليلا، ﴿ ﴾ نهوا عن الفساد في الأرض، قيل: هم قوم يونس لقوله:﴿ ﴾[2]، وقيل: هم أتباع وأهل الحق، ﴿ ﴾: أي أشركوا وعصوا، ﴿ ﴾: أي: من الانشغال بالمال واللذات وإيثار ذلك على الآخرة، ﴿ ﴾"[3].

وهذه الفئة القليلة –أو الفئات القليلة– هي طوائف من أهل الأمم المهلكة نفسها وفقا للقول الثاني الذي ذكره القرطبي " أتباع وأهل الحق"، وأما أن تنجو الأمة بأكملها بعد معاينة العذاب فلم يحدث ذلك إلا لقوم يونس –عليه السلام، كما تقدم–[4]. قال تعالى:﴿ ﴾

[1] يونس: 98.
[2] يونس : 98.
[3] تفسير القرطبي ج: 9 ص: 113
[4] انظر: المبحث الأول من هذا الفصل.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

على أن هذا الإهلاك لا يقع هكذا مباشرة ولكن تتقدمه مقدمات، كما قال تعالى: [illegible] .[2]

قال ابن كثير تعليقا على الآية:" يقول تعالى مخبرا عما أحل به الأمم الماضية الذين أرسل إليهم الأنبياء، [illegible] [illegible]: يعني بالبأساء ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام، والضراء: ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك، [illegible]: أي يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم؛ وتقدير الكلام أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا فما فعلوا شيئا من الذي أراد منهم، فقلب عليهم الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه، ولهذا قال [illegible]

---

[1] يونس: 98

[2] الأعراف: 94-95.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✂♐♑❍❍⑩♒♐◎◰◻♑
✂♐♑💻⬂♦◻❍✿✡◻◻♦﴿: أي حولنا الحال من شدة إلى رخاء، ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية، ومن فقر إلى غنى ليشكروا على ذلك فما فعلوا "[1].

فهو ينص على أن الله عز وجل، بعد أن أرسل رسله إلى تلك الأمم فلم تستجب، ابتلاها بالشدة في الأموال والأبدان لعلها تضرع وتتوب، فلما لم تستجب قلب عليهم الشدة رخاء ابتلاء لهم واختبارا، " ﴾❍◰☹✸♐📄 ⬉♦▦☒❑✂☎﴿: أي كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم؛ يقال: عفا الشيء إذا كثر، ﴿وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى: ابتليناهم بهذا وهذا ليتضرعوا وينيبوا إلى الله فما نجع فيهم لا هذا و لا هذا ولا انتهوا بهذا ولا بهذا، وقالوا قد مسنا من البأساء والضراء ثم بعده من الرخاء ما أصاب آباءنا في قديم الزمان والدهر وإنما هو الدهر تارات وتارات، بل لم يتفطنوا لأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء ويصبرون على الضراء كما ثبت في الصحيحين " عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له "[2]، فالمؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء ولهذا جاء في الحديث " لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيا من ذنوبه والمنافق مثله كمثل الحمار لا يدري فيما ربطه أهله ولا فيم أرسلوه"[3] أو كما قال "[4].

فلما لم يستجيبوا لرسل الله، و لم يحدث الابتلاء بالخير أو بالشر أثرا في نفوسهم، استحقوا الهلاك "ولهذا عقب هذه الصفة بقوله:﴿◻♦🕯❑✿♦⓿⬁☼♦🕓♑←💣
📭♦⬄⬂✌♦◻☪ ❑♦♎➔☠⬀ ♦♦
④◻⌖⇳➔⬉❹↑❑♌♦﴾: أي أخذناهم بالعقوبة بغتة: أي على بغتة وعدم

---

[1] تفسير ابن كثير 234/2.

[2] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب المؤمن أمره كله خير 2295/4 ح2999.

[3] أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ج: 5 ص: 102 ح7600، عن أبي هريرة بلفظ:" لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في أهله ومن ماله ومن ولده حتى يلقى الله عز وجل وما عليه من خطيئة ".

[4] تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 234

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

شعور منهم أي أخذناهم فجأة كما في الحديث "موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر" [1] "[2].

وابن كثير هنا يوضح ما قررته الآية وهو:

1- أن الله سبحانه وتعالى يأخذ الأمم التي أرسل إليها رسله فلم تستجب لهم أولا بالبأساء –وهي ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام– والضراء –وهي ما يصيبهم من فقر وحاجة–؛ أي يبتليهم في أبدانهم وأموالهم، وغاية هذا البلاء أن يتوبوا إلى رهم ويتضرعوا إليه[3]، كما قال تعالى –على لسان موسى عليه السلام–: [illegible]

[1] ابن أبي شيبة، المصنف، باب موت الفجأة وما ذكر فيه 48/3 ح12005، وأحمد، المسند 136/6 ح25086، والطبراني، الكبير 175/9، ح8865.

[2] تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 234

[3] إن الإيمان بالله والفقر إليه مركوز في فطرة العبد، لذلك نجد الكافر والملحد إذا ضاقت به السبل وتقطعت به الأسباب يتوجه إلى ربه متضرعا، كما قال تعالى: [illegible] يونس: 22-20.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] ﴾.[1]

2- أنهم لما لم ينفع معهم هذا التذكير[2] كشفت عنهم البأساء والضراء وبدلوا مكانها رخاء حتى كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم.

3- أنهم طغوا ولم يعتبروا بالحالين فقالوا: ﴿ [illegible] ﴾: أي "ابتليناهم بهذا وهذا ليتضرعوا وينيبوا إلى الله فما نجع فيهم لا هذا و لا هذا ولا انتهوا بهذا ولا بهذا، وقالوا: قد مسنا من البأساء والضراء ثم بعده من الرخاء ما أصاب

---

[1] يونس : 88.

[2] لقد نص القرآن الكريم على أن الإنسان إذا أخذته الشدة تضرع لربه، ثم إن أكثر الناس إذا رفع عنه الضر نسي ما كان فيه ومركأن لم يصبه ضر، وكأن لم يدع ربه ليكشفه عنه، كما قال تعالى:﴿ [illegible] ﴾ يونس: 12. أي دعانا في كل أحواله -متكئا على جنبه أو قاعدا أو قائما-. لكن يبدو أن هؤلاء بلغوا درجة من الطغيان جعلتهم لا يتضرعون حتى حال البأساء والضراء، كما قال تعالى:﴿ [illegible] ﴾المؤمنون: 76-77.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

آباءنا في قديم الزمان والدهر، وإنما هو الدهر تارات وتارات، بل لم يتفطنوا لأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين "، وهو دليل على قلة الاعتبار وسوء الفهم والإدراك الذي جعلهم لا يفقهون لله حكمة في كل حال من الأحوال، بسبب ما في نفوسهم من كبر وطغيان.

4- أنهم لما بلغوا تلك الدرجة استحقوا العقاب الإلهي العادل فأخذهم بغتة؛ أي فجأة على غير ترقب منهم وانتظار وهو أشد غصة وأبلغ إيلاما.

وقد جاءت هذه الآية في سورة الأعراف بعد أن تقدمها الحديث عن إهلاك جملة من الأقوام عاندوا الحق وكذبوا المرسلين، وقد حاول سيد قطب وضعها في هذا السياق العام ليستنبط منها فكرة السنة الإلهية الماضية، قال:" ... هذه وقفة في سياق السورة للتعقيب على ما مضى من قصص قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط ، وقوم شعيب . . وقفة لبيان سنة الله التي جرت بها مشيئته وحققها قدره بالمكذبين في كل قرية - والقرية هي المدينة الكبيرة أو الحاضرة المركزية - -وهي سنة واحدة يأخذ الله بها المكذبين ؛ ويتشكل بها تاريخ الإنسان في جانب منه أصيل . . أن يأخذ الله المكذبين بالبأساء والضراء ؛ لعل قلوبهم ترق وتلين وتتجه إلى الله ، وتعرف حقيقة ألوهيته، وحقيقة عبودية البشر لهذه الألوهية القاهرة . فإذا لم يستجيبوا أخذهم بالنعماء والسراء ، وفتح عليهم الأبواب ، وتركهم ينمون ويكثرون ويستمتعون . . كل ذلك للابتلاء . . حتى إذا انتهى بهم اليسر والعافية إلى الاستهتار والترخص ، وإلى الغفلة وقلة المبالاة ، وحسبوا أن الأمور تمضي جزافاً بلا قصد ولا غاية ، وأن السراء تعقب الضراء من غير حكمة ولا ابتلاء ، وأنه إنما أصابهم ما أصاب آباءهم من قبل لأن الأمور تمضي هكذا بلا تدبير: ❁□□🔔♦✍✍◎ ↗□✂☎ 🔔♦⑨⇳ ✌♦■○ ↗◆✂✍📪♦✍✍↗✍◆☼◆✍ ✂✍✍◎➢✍❸■✂✍↗↓ □◆✂✍✍◎●✍❸■✂✍↗↓! ❁ أخذهم الله بغتة، وهم سادرون في هذه الغفلة . لم يدركوا حكمة الله في الابتلاء بالضراء والسراء ، و لم يتدبروا حكمته في تقلب الأمور بالعباد ، و لم يتقوا غضبه على المستهترين الغافلين ، وعاشوا كالأنعام بل

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أضل حتى جاءهم بأس الله . . ولو أنهم آمنوا بالله واتقوه لتبدلت الحال ، ولحلت عليهم البركات ، ولأفاض الله عليهم من رزقه في السماء والأرض، ولأنعم عليهم نعيمه المبارك الذي تطمئن به الحياة ، ولا يعقبه النكال والبوار . . ."[1].

فصاحب الظلال يقرر هنا أن هذا الإهلاك سنة إلهية ماضية في الظالمين، كما أن النجاة والنصرة سنة ماضية في المؤمنين.

ولئن كانت آية الأعراف قد قررت سنة الله هذه في إهلاك المكذبين، فقد جاء في سورة الأنعام تفصيل شيء يقترن بهذه السنة وهو الإملاء والاستدراج، قال تعالى:﴿

[illegible]

[1] في ظلال القرآن 6/1339

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

وإننا نلحظ أن الآية في مطلعها تقرر نفس ما جاءت به آية الأعراف، ففي هذه: [illegible]،[2] وفي الأخرى: [illegible] .[3]

غير أن آية الأنعام تنص نصا صريحا على أن هؤلاء الذين أخذوا بالبأساء والضراء لم ينفع معهم هذا التذكير وإنما ازدادت قسوة قلوبهم وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم، بينما يفهم هذا الكلام من آية الأعراف وهي لم تصرح به: [illegible] .[4]

---

[1] الأنعام: 42-45.

[2] الأنعام: 42.

[3] الأعراف: 94.

[4] الأنعام: 43.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" ... ومعنى فلولا في هذا الموضع فهلا، والعرب إذ أولت لولا اسما مرفوعا جعلت ما بعدها خبرا وتلقتها بالأمر، فقالت: فلولا أخوك لزرتك ولولا أبوك لضربتك، وإذا أولتها فعلا أو لم تولها اسما جعلوها استفهاما فقالوا: لولا جئتنا فنكرمك ولولا زرت أخاك فتزورك بمعنى هلا، كما قال تعالى: [illegible] [1]،

وكذلك تفعل بـــ " لوما " مثل فعلها بـــ " لولا "، فتأويل الكلام إذن: فهلا إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها -الذين لم يتضرعوا عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء- تضرعوا فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه ... [illegible]، يقول ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم وأصروا على ذلك واستكبروا عن أمر ربهم استهانة بعقاب الله واستخفافا بعذابه وقساوة قلب منهم، [illegible]: يقول: وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم "[2].

ثم تقرر الآيتان الأمر نفسه وهو كشف البأساء والضراء وتبديلهما بالحسنة: [illegible] [3]، [illegible]

---

[1] المنافقون: 11.

[2] تفسير الطبري ج: 7 ص: 192-193

[3] الأعراف: 94.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

.[1]

وقد تقدم أن معنى عفوا: كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم[2]، وأما في آية الأنعام فـ:" يعني تعالى ذكره بقوله: : فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا ... : يقول: بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش، ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام استدراجا منا لهم ...

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم وأبواب أخر غيره كثيرة؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه، وإنما معنى ذلك فتحنا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كل ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله، لأن آخر هذا الكلام مردود على أوله، وذلك كما قال تعالى في موضع آخر من كتابه:

---

[1] الأنعام: 43.

[2] انظر ص286 من هذا المبحث.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

،[1]

ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية أنهم نسوا ما ذكرهم بقوله

: هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه إياهم من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة، ومن الضر في الأجسام إلى الصحة والعافية، وهو فتح أبواب كل شيء كان أغلق بابه عليهم مما جرى ذكره قبل قوله

: فرد قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء عليه "[2].

وكما قرر مطلع الآيتين الأمر نفسه، فقد قرر آخرهما أن نهاية هؤلاء المكذبين كانت واحدة:

،[3]

---

[1] الأعراف: 94-95.

[2] تفسير الطبري ج: 7 ص:193- 194

[3] الأعراف: 95.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

.[1] ومعنى: "

أي: استأصلناهم وسطونا بهم، و

معناه فجأة، وهي الأخذ على غرة ومن غير ما تقدم أمارة، فإذا أخذ الإنسان وهو غار غافل فقد أخذ بغتة، وأنكى شيء ما يفجأ، من البغت، وقد قيل: إن التذكير الذي سلف فأعرضوا عنه قام مقام الأمارة والله أعلم"[2].

وهذا الأخذ فجأة -كما بين القرطبي- أنكى وأشد إيلاما، كما قال تعالى:

،[3] وقال:

.[4]

وقد استرسلت آية الأنعام في وصف حالهم حين نزول العذاب وبعده، وذلك في مقابل ما وصفتهم به من الفرح قبل نزول العذاب:

[1] الأنعام: 44-45.

[2] تفسير القرطبي ج: 6 ص: 426

[3] الأعراف: 4.

[4] الأعراف : 97-98.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

❒◆✂︎✍︎💻︎⬂⬘☺︎⇳⑨← ✏︎★ ❻◆✇♌︎☞︎
✂︎✍︎✍︎⬂➔⌂⌚︎✇♦︎☞︎♎︎✓✗◆ ☞︎♌︎♐︎☜︎ ❀[1].

قال ابن جرير:" وأما قوله:❀□♦︎✉︎♐︎❶♦︎✂︎ ♎︎➔☠︎
✌︎⑩⌨︎⬀📫︎♐︎○⬆︎❑♌︎◆ ❀: فإنهم هالكون منقطعة حججهم نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم، ... عن السدي: فإذا هم مهلكون متغير حالهم، ... [وقال] مجاهد: ... فإذا هم مهلكون، [و] قال ابن زيد: ... المبلس: الذي قد نزل به الشر الذي لا يدفعه، والمبلس أشد من المستكين ... "[2].

وقال القرطبي:" المبلس: الباهت الحزين الآيس من الخير الذي لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال"[3].

وكما أن نزول العذاب كان سببا لإبلاسهم، فإنه لم ير لهم بعده باقية ❀□♦︎◗→➲♎︎➚⌂ ⑩⌂✂︎📭︎♐︎❷⬉
✂︎✍︎✍︎⬂◗♦︎❑⬀✈︎♎︎ ✂︎✍︎✍︎✏︎⬆︎🔔︎♎︎⬄✗◆
←☺︎■📫︎♦︎← ❑✂︎☎︎ 🗐 ❒◆✂︎✍︎💻︎⬂◆❑☺︎⇳⑨←
✏︎★ ❻◆✇♌︎☞︎ ✂︎✍︎✍︎⬂➔⌂⌚︎✇♦︎☞︎♎︎✓✗◆ ❀: " أي أخذهم بحيث لم يبق منهم أحد، من دبره دبرا ودبورا أي تبعه، ووضع الظاهر موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم؛ فإن هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر وإقامة المعاصي مقام الطاعات، ❀❒◆✂︎✍︎💻︎⬂◆❑☺︎⇳⑨←⌂ ✏︎★ ❻◆✇♌︎☞︎
✂︎✍︎✍︎⬂➔⌂⌚︎✇♦︎☞︎♎︎✓✗◆❀ على ما جرى عليهم من النكال، فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد، لاسيما مع ما فيه من إعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام ... "[4].

---

[1] الأنعام: 44-45.

[2] تفسير الطبري ج: 7 ص: 194-195

[3] تفسير القرطبي ج: 6 ص: 426

[4] تفسير أبي السعود ج: 3 ص: 134

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والملاحظ أن الآيتين معا تقرران أن الإهلاك الذي يترله الحق –سبحانه– بأهل غضبه من الكفار لا يترل مباشرة ولكن يسبقه أمران: أحدهما: الاستدراج، والثاني: الإملاء.

أ- **الاستدراج:** فأما الاستدراج فقد وقع بلفظه في قوله تعالى:❁ ☎✂❑🡐📭⦿⓿☒✍ ♦✖⇦✍🔔⅄✏✍✂◆❒ ✍◆☪✍☝🕔♦③✍♦★✍📭 ⇳♊✍♓✌ ☠🡐♑↖♉✍❻⇳⑨♦☝⬄○♦♈⊠♌ ⮸⮳✍⌘⬀ ♦♌❑🡐☺■🖬⇳➔♦③ •• 🡐☸⬂⓿⊠❍ ❁[1]، وقوله تعالى:❁♦▫⓿⊠❻⬀❄✍❼ ♊♦✌◆❒ ✂☒⓿🕔■&✍🗄 ➲☢✍✍⓿♦▤↖③ ☎ ✍☸③✍⑨■♦⬂💻✍✂ ⇳♊✍♓✌ 🏳🡐♑↖♉✍❻⇳⑨♦☝⬄○♦♈⊠♌ ⮸✍✍⬀ ♦♌❑🡐☺■🖬⇳➔♦③ •• 🡐☸⬂⓿⊠❍ ❁[2].

و " الاستدراج: مأخوذ من الدرج مصدر درج، أو من الدرجة وهي المرقاة، يقال درج الكتاب والثوب وأدرجه إذا طواه، ويعبر بالمصدر وهو الدرج عن المدروج أي المطوي، ويقال درج فلان بمعنى مات، وهذه آثار قوم درجوا بمعنى انقرضوا، جعله الراغب مجازا بمعنى الاستعارة، ولكن الزمخشري ذكره في حقيقة الأساس وقال: استدرجه رقاه من درجة إلى درجة[3]، وقيل استدعى هلكته؛ من درج إذا مات، وقيل معناه سنطويهم طي الكتاب عبارة عن إغفالهم نحو:❁❒◆•• ✍➔➲✍➚⇳ ✌♦♊⇳ ♊♦↖ 🕛🡐○♦⌨▫🖬♦🔔 ✍◆☪▫🖬☒▦⬂⬊❒📖 ❶✍✍📭⬂❷✍☼◆✍❁[4]، وقيل معناه سنأخذهم درجة بعد درجة، وذلك إدناؤهم من الشيء شيئا فشيئا كالمراقي والمنازل في ارتقائها ونزولها "[5].

---

[1] الأعراف : 182.

[2] القلم : 44.

[3] جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة ص128، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د ت ط.

[4] الكهف: 28.

[5] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه : إبراهيم شمس الدين 9/373-374، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1420-1999.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهذا الكلام لمحمد رشيد رضا يبين فيه أن الاستدراج مأخوذ من الترقي درجة درجة، أو من درج الكتاب بمعنى طواه، أو من درج فلان بمعنى مات، وكلها معان يحتملها معنى الإهلاك والاستدناء إليه.

وقال البيضاوي:" ... ﴿♋⊡♈♦○⬄✌♦⑨⇳❻✗♉↖♑←⚐﴾: سنستدنيهم إلى الهلاك قليلا قليلا، وأصل الاستدراج: الاستعصاد أو الاستنزال درجة بعد درجة، ﴿✋♓♉♊⇳ ○⊡⓿⬂☸← ♦●﴾ ③♦➔⇳▣■☺←❑♌♦ ﴿: ما نريد بهم، وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم، فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب "[1].

فجعل الاستدراج تقريبهم من الهلاك قليلا قليلا، كما يُدنى من يستصعد أو يستنزل درجا من نهايته.

وقال ابن جرير:" وأصل الاستدراج: اغترار المستدرَج بلطف من حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسن، حتى يورطه مكروها "[2].

فأضاف إلى ما ذكر البيضاوي اغترار المستدرج بما يظن أنه إحسان من المستدرِج حتى يورطه مكروها.

وأما معنى ما قررته الآية فـــ:" يقول تعالى ذكره: والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا فجحدوها و لم يتذكروا بها سنمهله بغرته ونزين له سوء عمله حتى يحسب أنه هو فيما عليه من تكذيبه بآيات الله إلى نفسه محسن، وحتى يبلغ الغاية التي كتب له من المهل، ثم يأخذه بأعماله السيئة فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعد له، وذلك استدراج الله إياه "[3].

فبين ابن جرير في هذا النص أن الاستدراج هو أن يؤخر ويُزين له سوء عمله حتى يحسب أنه محسن إلى أن يبلغ غاية ما، ومن وقع لهم ذلك تراهم " ... يسترسلون في غيهم وضلالهم من حيث لا يدرون شيئا عن عاقبة أمرهم، لجهلهم سنن الله في المنازعة بين الحق

---

[1] تفسير البيضاوي ج: 3 ص: 78

[2] تفسير الطبري ج: 9 ص: 135

[3] تفسير الطبري ج: 9 ص: 135.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والباطل، والمصارعة بين الضار والنافع، وكون الحق يدمغ الباطل، وما ينفع الناس يصرع ما يضرهم ... "[1].

ب- **الإملاء**: لئن كان الإملاء قد وقع في آيتي الأنعام والأعراف –المتقدمتين- بمعناه، فقد وقع النص عليه بلفظه في قوله تعالى:﴿❒◆🗎•☎❒⇦♓☜✖ ✌♓♊ 🔔♦❷⬀③◆❒✇ 🕮❒✍⬂🖫■⓿⬂💣➔ 🖃❍●❒✍ ❒◆✗☜⑥☙ ➔♦✍✍🖁♑♎☺⬚❒⮜ 🏳➔🏳❍ 🕮❒✿♦⓿⬁☜➔✍❒✍ ✆♒✌■🖫■❼◎ ✍✍♑🖁⬂☺⬚🕐⬁❷❸⬅ ⬀♎♒♓⬁﴾[2] ، وفي قوله تعالى:﴿❒◆♦♦ ⑥♦◆⬂❍✿▫◆✖❒ ✍✍✍✏▲🔔♎⇦✖◆ ✌☎✍⊠🏢⊠❷⬉❒🏢✍☎ 🕮❒✹✸☺⬚✍ ✹☺⇧✍♐❼ 🖃❍●⬅☠⬀ ⌘⬚❷⬀❸⮜ ✿✠✹🏢➔❍⬁✍♐☠⬀ 🗐 ✆♒✌✹✸☺⬚✍ ✹☺⇧✍♐❼ 🖃❍●⬅☠⬀ ✆♎❷⌘❾⬃⑩⬚✍⑩⬅❒🏢✍☎ ✆♒🏳⬂☺✞✍ 🗐 ❒◆🖃❍●⬅☠⬀ ⬉◆⓿⊠✍✇♐ ✌⑩♑♒✓✖⮜ ⬀♎♐🢓⬀﴾[3].

ومعنى الإملاء:" .. الإمهال وإطالة العمر، وقيل: تخليتهم وشأنهم، من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء "[4].

" قال ابن الأنباري: واشتقاق نملي لهم من الملوة: وهي المدة من الزمان، يقال: مَلوة من الدهر ومُلوة ومِلوة ومَلاوة ومُلاوة ومِلاوة بمعنى واحد ... "[5].

إذن فالإملاء لهم هو إطالة أعمارهم وتخليتهم مدة من الزمن، وقد بينت سورة آل عمران الغاية من هذا الإملاء:﴿✆♒✹✸☺⬚✍ ✹☺⇧✍♐❼ 🖃❍●⬅☠⬀ ✆♎❷⌘❾⬃⑩⬚✍⑩⬅❒🏢✍☎

---

[1] محمد رشيد رضا، تفسير المنار 9/373-374.

[2] الحج: 48.

[3] آل عمران : 178.

[4] تفسير البيضاوي ج: 2 ص: 119

[5] زاد المسير ج: 1 ص: 509

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible]، والمعنى:" فإن الله قادر على إهلاكهم، وإنما يطول أعمارهم ليعملوا بالمعاصي لا لأنه خير لهم"[1].

فمن غايات هذا الإملاء أن يزداد هؤلاء الظالمون إثما فتكون الحجة عليهم أقوم، والعذاب المستحق أعظم.

وهذا الإملاء والتأخير مكمل للاستدراج، إذ لولا الإملاء ما تحقق الاستدراج؛ وذلك أن إفاضة النعم عليهم وفتح أبواب كل خير عليهم لن يكون له معنى إذا ما عوجلوا بالعقوبة، فإذا أخر عنهم العقاب –أي أملي لهم– مع ما يفيض الله عليهم من أنواع النعم على ما يأتون من كفر ومعاص وطغيان فقد اجتمعت جميع عناصر الاستدراج، ولعل ذلك هو السبب في أن القرآن الكريم ما ذكر الاستدراج إلا وعطف عليه الإملاء:

قال تعالى: [illegible][2].

وقال: [illegible][3].

[1] تفسير القرطبي ج: 4 ص: 287

[2] الأعراف: 182-183.

[3] القلم: 44-45.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويلاحظ أن الآيتين معا قد جعلتا كلا من الاستدراج والإملاء كيدا، قال محمد الطاهر بن عاشور:" ... إن الكيد أخص من الحيلة ومن الاستدراج.

ووقوع جملة:﴿☽☜♌□ ☞☛⊠⓿⬂⑨☜❽☝♦☝☜✓×➘﴾

موقع التعليل، يقتضي أن استدراجهم والإملاء لهم كيد، فيفيد أنه استدراج إلى ما يكرهونه وتأجيل لهم إلى حلول ما يكرهونه ...

فكأنه قال: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون كائدين لهم، إن كيدي متين .

وإطلاقه هنا جاء على طريقة التمثيلية بتشبيه الحال التي يستدرج الله بها المكذبين مع تأخير العذاب عنهم إلى أمد هم بالغوه، بحال من يهيئ أخذا لعدوه مع إظهار المصانعة والمحاسنة ليزيد عدوه غرورا، وليكون وقوع ضر الأخذ به أشد وأبعد عن الاستعداد لتلقيه ".[1]

إذن فكل من الاستدراج والتأخير كيد يجعل ضر الأخذ عليهم إذا ما حل بهم أشد وأعظم إيلاما.

وعليه فقد نصت الآيات على أن الأمة إذا انحرفت عن الحق يترل بها قدرا من الله أشياء:

1- الإنذار: بإرسال الرسل أو من يقوم مقامهم:﴿❒◆☎♦☽♦⑨⇳ 🕮❒❻⬀☊⍓▪☪◆✍✎
☽☜▯■❼✂ 🕮↑☝♦⚐▯ ☝♓☜♊ 🔔♦⌛⬀▪☜⌨⍓
﴾.

2- فإذا لم ينفع الإنذار نزل بعده عذاب التذكير:﴿
▫♦🕯❒❀♦⓿⬁☼♦⌚♑←⚐
☜✍✍☎☜⌨◆🕯▫☊⍓✎⬈☜
❒◆✂✍☎➢♓❸▪✂✎⬈☜ ☎♦➔⍓▪✵♑←☠⬀
③◆☝♦➢✿❸▪⬉⬉❑♌♦ ⬀✠⚔⬁﴾، ومثاله ما نزل بآل فرعون من الشدة في العيش ونقص الثمرات، ثم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، كما قال تعالى:﴿❒◆☎♦☽♦⑨⇳ 🕮❒❀♦⓿⬁☼◆✍✎

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 8/192-193.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

... ﴾[1]، ثم قال سبحانه: ﴿ ... ﴾[2].

3- فإذا لم يثن عذاب التذكير الأمة عن غيها بدلت منه النعمة والسلامة استدراجا ﴿ ... ﴾، وأملي لها وأخر عنها العذاب حتى تصل إلى قمة الطغيان والنشوة: ﴿ ...

---

[1] الأعراف: 130.

[2] الأعراف: 123.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

4- وفي قمة الغفلة والنشوة والطغيان يأتي الأخذ فيكون أوجع وأألم: ﴿

هذا وللمترفين دور خاص في قيادة المجتمع نحو الهلاك، قال تعالى: ﴿ ﴾.[1]

" ومعنى: ﴿ ﴾: المنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش، والمفسرون يقولون في تفسير المترفين: إنهم الجبارون المتسلطون والملوك الجائرون، قالوا: وإنما خصوا بالذكر لأن من عداهم أتباع لهم، ومعنى ﴿فسقوا فيها﴾: خرجوا عن الطاعة وتمردوا في كفرهم، لأن الفسوق الخروج إلى ما هو أفحش، ﴿ ﴾

﴿ ﴾: أي ثبت وتحقق عليهم العذاب بعد ظهور فسقهم: ﴿

[1] الإسراء: 16.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✍♦⑨⇳👌🙰❷❸☪✂ ﴿: أي تدميرا عظيما لا يوقف على كنهه لشدته وعظم موقعه "[1].

وأما لفظ ﴿🕮❐👌♦❷⬀☼♦🙵﴾ في الآية: فقد قرئ بتخفيف الميم وبتشديدها[2]، قال ابن كثير :" فالمشهور قراءة التخفيف "[3].

وأما معناه فقد ذكر ابن كثير في ذلك أقوالا:[4]

1- أنهم أمروا بذلك أمرا قدريا: قال:" معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرا قدريا، كقوله تعالى:﴿🕮❐✍♦🙾♑⍓🙵✎ 🕮❐👎⬀❺↓☼♦🙵 🙾♦❿⬂☒🕑 🕮❐❐⬃✠♦🙵❻✡✂﴾[5]، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، قالوا: معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب ".

2- أنه متعلق بمحذوف تقديره: أمرناهم بالطاعات ففسقوا ، قال:" وقيل: معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة، رواه ابن جريج عن ابن عباس، وقاله سعيد بن جبير أيضا ".

3- أنه من الإمارة، أي أمروا –بتشديد الميم- بمعنى سلطوا، وحكاه عن ابن جرير، وهو يخرج على قراءة من قرأ بتشديد الميم﴿أمرنا﴾، قال:" وقال ابن جرير: يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء. قلت: إنما يجيء [أي قول ابن جرير] على قراءة من قرأ:﴿ أمرنا مترفيها ﴾ [أي بتشديد الميم]، قال علي بن طلحة عن ابن عباس، قوله:﴿🕮❐👌♦❷⬀☼♦🙵 👌⬉✋⬂❸♦▫🙰❸🙵❐🙵 ▫🙰❸🙵❐🙵 ▫♦▦☒○✽✆➔❐✂☎﴾: يقول: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب وهو قوله:﴿❐♦🖅☒⓿☒🕑🙾🙰⌨⍓ ♉⍓→⍓▪▫☪♦🙵

[1] الشوكاني، فتح القدير ج: 3 ص: 214
[2] انظر: تفسير القرطبي ج: 10 ص: 232
[3] تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 33
[4] انظر: تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 33-34
[5] يونس: 24.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

✖❼ ☜✍✍✍♏⇗ 🔔⬩❷⇗③◆❑✇
📖❑📄⬩🕓🔍🔊🖎③◆ ✌⇖⇗⇕❷❖✌♐⑩♑❏✍ ﴿الآية[1]،

وكذا قال أبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس .

4- أنه تكثيرهم من " آمرنا " بمعنى كثرنا، قال:" وقال العوفي عن ابن عباس ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية آمرنا مترفيها﴾: أكثرنا عددهم، وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة، وعن مالك عن الزهري ﴿آمرنا مترفيها﴾: أكثرنا، وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الإمام أحمد ... عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة "[2]، قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب: المأمورة كثيرة النسل، والسكة: الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة: من التأبير ... ".

ويشهد لهذا المعنى أيضا ما روى البخاري في صحيحه في تفسير الآية عن عبد الله بن مسعود قال:" كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أمر بنو فلان "[3].

والحاصل أن تكثير المترفين في أمة وتأمرهم وتسلطهم ونشرهم للفسق والكفر والمعاصي علامة على اقتراب ساعة تدميرها.

وهذا الأخذ والتدمير أجل لا يعلمه إلا الله ولا يملكه غيره، ولذلك قال نبي الله نوح عليه السلام لقومه لما استعجلوا العذاب ﴿.. ☽♐☼❋☺⍓♐
③◆♁✍⑩♑▤⇗☠ ✍○♐♑ ✂♐✎✦ ☽♐♌
⅄⊠♐✎⇗◆ ❑◆✌◆♐✎ 📖❑☼☞⬅🏳
♐♐☺⬅➔⬃⇗♐❽❖⇦✖◆ ⬀❖❖⬁ ❑◆⬩⬩
③◆☪▦⊠➔⇖▤⇗✍⬀ ☼⬅🕐⬄⊠⬁♐✖ ☽♐♌⬃
📖❑❻◆⑩☠❻ 📖❑♌⬃ 📖❑☼🕐✿⊠⍓ 🔊⬩▤⇗☠⬀
☽♐♌ ✍⊠🔔♌◆ ✂♐✎✦ ③⇖❷❖③⑨⬅ 📖❑♌

---

[1] الأنعام: 123.

[2] مسند أحمد 468/3، وسنن البيهقي، كتاب الأيمان، باب من حلف ما له مال وله عرض أو عقار 64/10، والطبراني، المعجم الكبير 91/7 ح6470، وأبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، مسند الشهاب 231/2، ح1251،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1407-1986. وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات. انظر مجمع الزوائد 258/5.

[3] صحيح البخاري، كتاب التفسير ج: 4 ص: 1745

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] [1]، وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: [illegible] [2]؛

أي ولولا أن الله عز وجل قضى ألا يترل العذاب إلا إذا جاء الأجل المحدد له في العلم الإلهي، لعجل لهم هذا العذاب وأجيبوا إلى ما استعجلوه.

وقيل له أيضا: [illegible] [3]؛ أي أننا قد نريك في حياتك بعض ما وعدناهم به من نزول العذاب أو قد نتوفاك قبل ذلك.

وقد كان هذا العذاب يترل بتدخل مباشر من القدرة الإلهية كما قال تعالى: [illegible]

---

[1] هود: 23-24.

[2] العنكبوت: 53.

[3] غافر: 77.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible][1]، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وختمت الرسالة جد جديد؛ إذ صار إهلاك الظالمين بسبب بشري، وهو تعذيبهم بأيدي المؤمنين [illegible][2]، وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك إشارة صريحة وهو يقف بجيشه أمام حصون خيبر قائلا:" الله أكبر الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين"[3]، مشيرا إلى قوله تعالى: [illegible][4].

فكان عذاب الله الذي نزل بساحتهم هو تصبيح رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بمن معه من المؤمنين.

---

[1] العنكبوت: 40.

[2] التوبة: 52.

[3] صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء 221/1 ح585، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة خيبر 1426/3 ح1365.

[4] الصافات: 173-177.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد لاحظت ذلك فيما يستنبط من اللطائف المودعة في ترتيب الآيات والسور، وبصورة محددة في سورتي الأعراف والأنفال؛ فقد تحدثت سورة الأعراف عن التدخل المباشر للقدرة الإلهية في إهلاك الأمم الظالمة قرنا بعد قرن؛ قوم نوح ثم عاد ثم ثمود ثم قوم لوط ثم مدين ثم فرعون وقومه، ثم قيل لمن سار على سنتهم ومنهم كفار قريش المعادون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿[illegible]﴾[1]، وختمت السورة بعد ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر عليهم والإعراض إلى حين: ﴿[illegible]﴾[2]، لتجيء بعد ذلك سورة الأنفال –وهي السورة التي تعقب سورة الأعراف- بنزول العذاب جاريا على الأسباب البشرية بمشركي قريش يوم بدر: ﴿[illegible]

---

[1] الأعراف: 182-183.

[2] الأعراف: 199.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[1]

[2]

[1] الأنفال: 7-8.

[2] الأنفال: 12-14.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

- ومع جريان العذاب على الأسباب البشرية، فقد استبدل عذاب الإهلاك الكامل بغلبة المؤمنين عليهم وتمكنهم منهم وتسلطهم عليهم: [illegible] .[2]

فصارت النصرة تسلط المسلمين عليهم وقد كانت النصرة من قبل مقارنة لإهلاك الكفار ونجاة الرسل وأتباعهم، كما قال تعالى: [illegible]

---

[1] الأنفال: 15-18.

[2] آل عمران: 12-13.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] .[1]

وينبني على ذلك أمران:

1- أن شرعة القتال شرعة إلهية متأخرة بالنظر إلى وقوعها فيما جاء به الأنبياء من شرائع، وإننا لا نكاد نلحظ هذه الشرعة إلا فيما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ما استثنينا الملأ من بني إسرائيل الذين بعث إليهم طالوت ملكا –المذكورين في سورة البقرة–[2]، وفيما سوى ذلك فإننا نجد نبي الله موسى يأمر قومه بدخول الأرض المقدسة ويجعل نفس الدخول سببا للنصر دون القتال: [illegible] .[3]

فيجيبه القوم: [illegible]

---

[1] الصافات : 124-126.

[2] الآيات 246-250.

[3] المائدة: 23.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

.[1]

ومع ذلك فإن ما تقدم لا يمنع من تدخل القدرة الإلهية في تعذيب طوائف من الكفار بأشياء خارجة عن دائرة الأسباب التي يبذلها المؤمنون، وقد وقع في سورة الأنعام التهديد بهذا وبهذا: ﴿ ﴾.[2]

2- أن العذاب في العهود الأولى كان عذاب استئصال، وأما في شرعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد صار عذاب تسليط وتغليب؛ فأما كون العذاب في العهود الأولى عذاب استئصال فواضح، كما قال تعالى: ﴿ ﴾[3]، وقال: ﴿ ﴾.[4] وأما كون العذاب قد صار بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عذاب تسليط وتغليب فمن أبرز دلائله أنه سبحانه أخبر بنزول العذاب بقريش بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿

[1] المائدة: 24.

[2] الأنعام: 65.

[3] الأنعام: 45.

[4] الحاقة: 8.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible][1].

قال ابن كثير:" ... فتوعدهم الله بهذه الآية أنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعدما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف، حتى جمعه الله وإياهم ببدر على غير ميعاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم، فقتل أشرافهم..."[2].

ورغم ذلك فإن الله سبحانه وتعالى لم يستأصل قريشا، ولا استأصل اليهود ولا النصارى ولا غيرهم على هيئة ما وقع لقوم نوح مثلا أو عاد وثمود ومدين ومن على شاكلتهم –والله أعلم–.[3]

وخلاصة القول في هذا المبحث: إن من آثار العقيدة الفاسدة إهلاك الأمة ونزول العذاب بها، وهي سنة إلهية ماضية، غير أن الله سبحانه وتعالى لا يعاجل الأمة الكافرة بالعذاب، ولكن يرسل إليها من يذكرها ويدعوها إلى العودة إلى الحق، ويأخذها بالشدة والبلاء لتؤوب وتنيب، فإن لم ينفع معها هذا التذكير استدرجت بالنعم وفتح أبواب الخيرات عليها والإملاء لها حتى إذا أدركت قمة الطغيان نزل بها بطش الله فإذا أهلها مبلسون قد ذهب بهم وقطع دابرهم. وأجل نزول العذاب مما استقل الحق سبحانه وتعالى بعلمه، وهو

---

[1] الإسراء: 76-77.

[2] تفسير القرآن العظيم 332/4.

[3] وأنا أطبع هذه الأطروحة وجدت نصا لابن كثير يؤيد هذا المعنى، قال:" وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ... " انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 611/5، دار الأندلس، بيروت، ط6: 1404-1984.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عنده سبحانه أجل مسمى معلوم. وللمترفين دور خاص في قيادة الأمة إلى الهلاك إذا تسلطوا وتأمروا وكثروا وانتشروا فأشاع الفسوق والانحراف عن الحق، وقد كان العذاب في العصور السابقة يترل بتدخل مباشر من القدرة الإلهية، ومع مجيء الرسالة الخاتمة أجري جزءمنه على أيدي المؤمنين بتسليطهم على أهل الكفر والطغيان وفقا لشرعة القتال.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة أجمل نتائج البحث، وهي كالآتي:

- أن العقيدة هي: مجموعة المعارف المتعلقة بالتصور العام للوجود التي تلقاها الإنسان عن طريق البحث والنظر أو التلقين، فانعقد عليها قلبه واطمأنت إليها نفسه، وصارت عنده يقينا لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك، وهي نظريا تشكل القوالب التي تصاغ فيها أفكاره وتنبع منها مشاعره وتنطلق منها أفعاله وأقواله. وهي تعرف أيضا بما يقابل مفهوم الشريعة انطلاقا من أن لقضايا الإسلام جانبين.. جانب نظري في حاجة إلى البحث والاستدلال وإعمال الفكر والنظر وهو الأصل الذي لا تقوم الشريعة إلا بعد ثبوته ... وبعد التسليم المبني على البراهين القطعية بوجود وحصول القناعة الكافية، يجيء دور الجانب العملي وهو دور الشريعة، والجانب النظري هو العقيدة، وهي بهذا المعنى مرادف لعلم التوحيد وعلم الكلام . فالعقيدة بهذا المعنى تطلق على العلم الذي يدرس ما يجب على الإنسان أن يؤمن به ويعتقده ويقيم عليه البرهان والدليل القاطع، كما تطلق على المبادئ الدينية نفسها، أو ما يعرف بأركان الإيمان.
- أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على الإيمان والتوحيد وأقاموا على ذلك مدة طويلة، ثم إنهم بدلوا دين الله الذي فطروا عليه وانحرفوا عن التوحيد فاختلفوا، فلما وقع ذلك، أرسل الله عز وجل إليهم رسلا وأنزل معهم الكتاب حاكما بينهم وفاصلا فيما اختلفوا فيه، وقد كان ذلك على الراجح قبل نوح عليه السلام لأنه أول رسول أرسل، وكان الناس قبله موحدين قرونا طويلة، ثم طرأ عليهم الشرك والانحراف.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- أن الله سبحانه وتعالى يزيد الذين آمنوا إيمانا وهدى، ويؤتيهم التقوى، وهم لأجل هذا الهدى أولوا الألباب الذين يدركون حقائق الأشياء، ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهم أهل العلم حقا، وهم يبصرون طريقهم ويمشون أسوياء على صراط مستقيم، وهم الذين يذكرون؛ يقلبون النظر في ملكوت الله فيعرفون دلائل قدرته، ويدركون قدرته على الخلق والبعث، ويأخذون العبرة بعاقبة الذين من قبلهم، وهم الذين يتلون الذكر الذي جاءهم من عنده، ويؤمنون بمحكمه ومتشابهه، ويتدبرون آياته، ويحذرون سوء العاقبة، فتتحقق في نفوسهم خشيته سبحانه ويتسلحون بعبادته وذكره، وهم الفاقهون المدركون لحكم التشريع، المستبصرون بالعاقبة الحسنى للتقوى، العارفون بنعمة الوحي والرسل المخرجين من الظلمات إلى النور، المتعرضون لنفحات وأوقات الفضائل المغتنمين لها، ويوفقهم الله سبحانه وتعالى للأعمال الصالحة ويصلح لهم أعمالهم، فيكون هذا الإيمان الشجرة المتجذرة في قلوبهم ثبت أصلها وارتفع فرعها إلى السماء، وتثمر الأعمال الطيبة الصالحة.

- أن قلوب الكفار يرين عليها كسب الذنوب ويحيط بها كالأكنة، ثم يختم ثم توضع عليها أقفال ويستحكم من إغلاقها وآخر ذلك أن يطبع عليها فلا ترجى لها بعد ذلك توبة أو رجوع، و يمر الإنسان بهذه المراحل واحدة بعد واحدة، حتى يصل إلى مرحلة لا يرجع فيها عن غيه أبدا، ولا تؤثر فيه كل حجة، وتتعطل عقولهم وسمعهم وأبصارهم، فيصير أولئك كالأنعام أو أضل منها، وتؤثر أهواء نفوسهم على موازينهم فتختل ويصير حكمهم على الأشياء تبعا لها، وهم في ذلك درجات بعضهم هو كالمغلول الذي من بين يديه ومن خلفه سد، وبعضهم قد غشي على بصره وختم على سمعه وعقله، وبعضه طبع على عقله وسمعه وبصره فلا ترجى له توبة ولا يتوقع للطبع الذي على عقله وسمعه وبصره زوال. ثم إن هذه العقيدة المنحرفة تنتج المعاصي والانحراف، وذات المعاصي تنتج أثرا سيئا في قلوب أهلها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

– أن الإيمان إذا دخل قلب الإنسان انشرح صدره، ولان لذكر الله قلبه واطمأن به، واستحق الأمن في جنب الله، وسلم قلبه من الأمراض، وصار من أهل المودة والرحمة بأهل الإيمان، وانقطعت مودته لمن حاد الله ورسوله ولو كان من أقرب الناس إليه.

– أن الكفر يجعل صاحبه ضيق الصدر قاسي القلب من ذكر الله هلوعا جزوعا منوعا متحسرا خائفا غير آمن، مريض القلب، كما يحترق صدره حقدا وغيظا على أهل الإيمان.

– أن الإيمان تترتب عليه آثار شرعية وأخرى قدرية؛ فمن هذه الآثار الشرعية انعقاد الموالاة بين المؤمن وسائر أهل الإيمان، وأن يحيى المؤمن حياة طيبة، وأن ينال العزة بطاعته لربه وعمله الصالح، وتوضع له المودة والقبول في الأرض، ويحبه أهل السماء، وتستغفر له الملائكة، وتسأل له الوقاية من السوء ودخول الجنة هو ومن صلح من آبائه وأزواجه وذريته، وله البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويؤمن يوم الفزع وتتلقاه الملائكة مبشرة مطمئنة، ثم ينال أعظم الكرامة فيدخل الجنة خالدا فيها مخلدا لا يبغي عنها تحولا ولا يحس سأما أو مللا.

– أن للكفر آثارا شرعية منها حبوط العمل، ومنها الحكم بنجاسة الكافر ومنعه من قربان المسجد الحرام أو سائر المساجد على التفصيل المذكور في موضعه، ومنها ترك توليهم ونصرهم والاستنصار بهم، ومنها تحريم طعامهم وذبائحهم ويستثنى من ذلك طعام أهل الكتاب، ومنها تحريم الزواج منهم ويستثنى أيضا الزواج من نساء أهل الكتاب، وأما الآثار القدرية فمنها أن لهم في الحياة الدنيا معيشة ضنكا، ولهم فيها عذاب شاق، وتضرب عليهم فيها الذلة، وتترل بهم القوارع. وأما في الآخرة فإن الله عز وجل لا يغفر لهم، ولا تفتح أبواب السماء لأرواحهم، ولا يدخلون الجنة، ويخلدون في النار.

– أن العقيدة الصحيحة تربط بين أهلها فتنشئ منهم أمة واحدة تتجاوز الروابط بين أفرادها حدود الزمان والمكان والجنس واللون، وتؤلف بين قلوبهم تأليفا عجيبا لا يستطيعه من أنفق ما في الأرض جميعا وتجعلهم إخوة، ورابطة الأخوة هذه نعمة يجب ذكرها وشكرها، ولئن كانت تنشأ عن العقيدة الصحيحة بصورة آلية فإنه يجب رعايتها

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

على مستوى الأسباب بتبين أخبار الفساق، واجتناب السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والغيبة والنميمة والكبر والفخر ما في معناها.

- أن العقيدة الفاسدة تنتج موقفا واحدا وتواليا وتناصرا بين أهلها في معاداة الحق ومحاربته، غير أن أهلها على ما يظهر من اجتماعهم قلوبهم متشتتة متنازعة؛ لأن الجامع الذي يجمعهم هو الأهواء والمصالح ومعاداة أهل الحق، وهذه الفرقة واقعة بين سائر المخالفين عن عقيدة التوحيد سواء أكانوا من أهل طوائف مختلفة أم من أهل طائفة واحدة، كما وأن العداوة والبغضاء والتفرق واقعة بين جميع طوائف الكافرين من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين وحتى أهل البدع والأهواء ممن تجمعهم ملة منحرفة واحدة.

- إن الله عز وجل ينعم على الناس بنعم الأمن والرزق فيأمرهم بشكرها وأن يعرفوا منة ربهم عليهم فيعبدوه، فإذا كفروا سلب منهم نعمه، وأذاقهم بدلا منها لباسا من الجوع والخوف يحيط بهم من كل جانب جزاء عدلا بما كانوا يعملون.

- إن من آثار العقيدة الصحيحة نجاة أهل الإيمان عند نزول العذاب بقومهم من الكافرين، وهذه النجاة وعد رباني وسنة إلهية ماضية وعد بها المؤمنون، وقد وعد المؤمنون مع هذه النجاة النصرة؛ وعد بها الرسل كما وعد بها المؤمنون. وهذه النصرة تقع على صور ثلاثة: الصورة الأولى: هي صورة إظهار الحجة، والصورة الثانية: هي صورة الإنجاء وإهلاك الكفار، والصورة الثالثة: هي الانتقام من أعداء النبي بعد وفاته، والأولى حاصلة لجميع الأنبياء والمؤمنين، وأما الثانية والثالثة فقد وقع لنبي هذه ولآخر تلك، غير أننا إذا نظرنا إلى هذه النصرة على أنها نصرة تغليب وتمكين للأمة والعقيدة والمبدأ فإنها حاصلة للجميع حتى أهل البلاء منهم لأن أعمار الأمم تقاس بآلاف السنين والعاقبة دوما للمؤمنين. وقد وعد المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بنصرة التمكين والتغليب وعدا صريحا، غير أن القرآن لكريم علق هذه النصرة على جملة شروط يجب على المؤمنين استيفاؤها، ولهذا النصر أجل لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقد نصبت عليه علامة هي أن يصل الرسل

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وأتباعهم من المؤمنين إلى درجة من البلاء يقول فيها أعلم الناس بالله وأوثقهم بنصره: متى نصر الله؟ شوقا إليه واستبطاء له.

- إن من آثار العقيدة الفاسدة إهلاك الأمة ونزول العذاب بها، وهي سنة إلهية ماضية، غير أن الله سبحانه وتعالى لا يعاجل الأمة الكافرة بالعذاب، ولكن يرسل إليها من يذكرها ويدعوها إلى العودة إلى الحق، ويأخذها بالشدة والبلاء لتؤوب وتنيب، فإن لم ينفع معها هذا التذكير استدرجت بالنعم وفتح أبواب الخيرات عليها والإملاء لها حتى إذا أدركت قمة الطغيان نزل بها بطش الله فإذا أهلها مبلسون قد ذهب بهم وقطع دابرهم. وأجل نزول العذاب مما استقل الحق سبحانه وتعالى بعلمه، وهو عنده سبحانه أجل مسمى معلوم. وللمترفين دور خاص في قيادة الأمة إلى الهلاك إذا تسلطوا وتأمروا وكثروا وانتشروا فأشاع الفسوق والانحراف عن الحق، وقد كان العذاب في العصور السابقة يترل بتدخل مباشر من القدرة الإلهية، ومع مجيء الرسالة الخاتمة أجري جزء منه على أيدي المؤمنين بتسليطهم على أهل الكفر والطغيان وفقا لشرعة القتال.

مقترحات:

- أقترح بصورة عامة أن توجه عناية الباحثين إلى محاكمة كثير من الأمور والأفكار والطروحات التي ربما بدت من البدهيات والمسلمات إلى نصوص الكتاب العزيز، فإننا نتبين غالبا بعد الدراسة أشياء لم تكن تخطر على البال.
- ثم إني أتمنى أن توجه عناية الباحثين إلى تناول سور " المائدة " و " الأنعام " و " الزمر " على وجه الخصوص بالدراسة وفقا لمنهج التفسير الموضوعي الكشفي الذي يتناول السورة بكاملها، فقد لاحظت أن آيات هذه السور تتكرر في مباحث هذه الدراسة من غير أن يسبق ذلك قصد إليه، وربما كشفت دراسات معنى يغيب عنا يكمن من وراء ذلك.
- كما أقترح تناول موضع السياق القرآني ودوره في بيان المعنى أو في رفع إشكال أو في الترجيح بين الأقوال.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ولعل الله —سبحانه وتعالى- يوفقني أو يوفق غيري لتناول شيء من ذلك بالبحث والدراسة، وغفر الله لنا الجرأة على كتابه إنه هو الغفور الرحيم.

فهرس الآيات

-البقرة-

(2-1): 24

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-63-54-49 :

66

114-48 :

64 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

255-176 :

62-48 :

122 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

43 :

138 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

41 :

42 :

6

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

280-138 :

169-168 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

119 :(157)

40 :

-آل عمران-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

39 :

302 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

270

159

192 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

217-197 :

113 :

114 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

113 :

114 :

295 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

136-95 :

-النساء-

184 :(22)

149 :

-93 :

178-177

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

140 :(129)

54 -52-49 :

-المائدة-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-169-167 :

171

213-61 :

215-214 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

303 :

303

271 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

160–130 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-97-96

131

161 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

214-213 :

242-225 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

158 :

-الأنعام-

48 :(26)

303-298-297-293-292-291-290-289 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

303 :(65)

119-89-88 :

88 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

167 :

-179 :

48 :(122)

77-48 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

218 :

-الأعراف-

262 :

297-293-292-291-290 -285 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

242–224

53 :

260 :

297 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

274 :(127)

190 :

65-18 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-293 :

301-296

301 :

87 :

-الأنفال-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] 83-82 : [illegible]

[illegible] 301 : [illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

302-301 :

302 :

258 :(26)

255 :(22)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

194–193 :

131

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

208

: 208

-التوبة-

-165 :(5)

: 19

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

156 :

176 :

300 :(52)

158 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

128

54 :

54 :

60–49–48

–يونس–

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] 288 :

[illegible] 13–12 :

[illegible] 150–146 :

[illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

288-259 :

285-263 :

-266 :

267

-هود-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

154 :

278 :

قال

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

300 :

230 :

262 :

262 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

263 :

181 :

284 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-يوسف-

278 :

278 :

-الرعد-

84 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] 174 :

[illegible] 174 :

-إبراهيم-

[illegible] 190 :

[illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] 239 :

[illegible] 46 :

[illegible] 246 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] 39 :

-الحجر-

[illegible] 194 :

-النحل-

[illegible] 48 :

[illegible] 57 :

[illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

134 :

132 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-54

68-56

243-242-239

-الإسراء-

298

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

108-58 :

303 :

-الكهف-

294 :(28)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

:(57)

49

152-59-44 :

-مريم-

25 :

140 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

142-44 :

-طه-

19 :

38 :

172 :

38 :

-الأنبياء-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] 213 :

[illegible] 191 :

-الحج-

[illegible] :

276

[illegible] فإنها لا تعمى [illegible] الأبصار [illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

21-20-19 :

294-270 :

116:

-المؤمنون-

192 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

288 :

-النور-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

271-259 :

119 :

-الفرقان-

20 :(32)

178 :

83 :

-الشعراء-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

263 :

92 :

-70 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

70 :

71 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

71 :

71 :

-النمل-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

[illegible] : 250-251

-القصص-

[illegible] :(57)

233-245

-العنكبوت-

[illegible]

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

149-148 :

270 :(14)

300 :

300

-الروم-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

284 :

-الأحزاب-

280-274-259-91 :

117 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

45 :

-لقمان-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

165-164 :

-سبأ-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

249-235-234 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

251-250-249-247-246 :

-فاطر-

175-140 :

-يس-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

67 :

– الصافات –

262 :

302 :

265 :

-267 :

268

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

301 :

-ص-

39 :

39 :

-الزمر-

241-240 :(7)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-37-34 :

31-30 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

38-37

-102-81-80-77-61-48-21

107-105-103

106-81

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

108-85 :

-غافر-

144 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-40 :

268

40 :

300–280 :

-فصل-

58 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

32 :

150

-الشورى-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

55 :

-الزخرف-

259 :

-الجاثية-

69-67-55 :

-محمد-

28-25 :

59-50-49 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

97 :

-الفتح-

24 :(4)

48 :(26)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

123-97-94 :

-الحجرات-

79 :

200 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

199 :

202-201

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

203-202

203 :

30-29 :

-ق-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

:-19-18-17 20

-الذاريات-

: 145

: 207-206

-النجم-

: 155

-المجادلة-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

:

267

98-21 :

-الحشر-

:(14)

-19

:

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

209-120 :

-210-209-123 :

217

-الممتحنة-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

160 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

165-164-163

-المنافقون-

54-49 :

139 :

-الطلاق-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

-41 :

41 :

41 :

:

42

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

42-41 :

-الملك-

36 :

35 :

- القلم -

296-293

-الحاقة-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

.303 :

-المعارج-

إلى قوله:

109

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

110 :

-نوح-

32 :

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

230-229 :

-المدثر-

115 :

-المطففين-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

72-62-48 :

-الشرح-

79-20 :

-البينة-:

217-169 :

213-211

-العصر-

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

44 :

-قريش-

249-244-234-233 :

فهرس الأحاديث

أتدرون ما الغيبة؟ 202

أتدرون ما المعيشة الضنك؟ 172

إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح 80

ارجع فلن أستعين بمشرك.. 162

أفلا أكون عبدا شكورا.. 238

أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا................................. 80

ألا وإن في الجسد مضغة 22

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب 251
أنا أولى بموسى 192
أن أبا بكر الصديق طلق أمرأته قتيلة 166
إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز 141
إن الرجل ليصدق فتنكت في قلبه نكتة بيضاء 73
إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء 72
إن العبد إذا قال سبحان الله 142-141
إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه 240
إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل 142
إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش 266
إن الله لا يظلم المؤمن حسنة 136
إن الملائكة تقول لروح المؤمن 151
إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض 111
إنما هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء 220
إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده 196
أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا: ✥☎✍♌❑ ✂👓✏⅄
③♦⬄⬂⊞✍❷⬉ ✂👓✏🔔♋☼🡐❑⚇⌘
♎⬧☟✍⓿➔🕐👓 🗐✥ 177
إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة 211
إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله 62
إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث 202
الإيمان بضع وستون شعبة 46
بلغوا عني ولو آية 252
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان 98-95

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا 272-273
خير مال امرئ له مهرة مأمورة 299
زويت لي الأرض فأريت مشارقها 272
عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له 286
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين 274
كالكوز مجخيا 52
كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا 178
لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا 132
لا تلبثون إلا قليلا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم 275
لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في أهله ومن ماله ومن ولده 286
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن 30
لما انفجرت يد سعد بالدم قام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقه 95
لما مات سعد بن معاذ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر........ 95
الله أكبر الله أكبر، خربت خيبر 300
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم 277
من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب 143
من غشنا فليس منا 211
موت الفجأة رحمة للمؤمن 287
هم أهل البدع والشبهات 220
وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة 190
والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب 275
ويخرج منها ريح كأنتن جيفة 180
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم 241

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1: 1409.

- ابن الأثير: وعز الدين بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، د ت ط

- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، دار ابن تيمية د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- ابن الجعد: أبو الحسن علي بن الجعد الجوهري البغدادي، مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط1: 1410-1990.

- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي:

- زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3: 1403.

- صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري-د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط2: 1399-1979.

- ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1413-1993

- ابن حجر العسقلاني:

- العجاب في بيان الأسباب، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1: 1997.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة بيروت، د ت ط.

- ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن 888/3، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د ت ط.

- ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت د ت ط.

- ابن سيده: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1421-2000.

- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي-محمد عبد الكريم البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب: 1387.

- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، دون دار طبع، قطر، ط1: 1408-1987.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

– ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية:
– إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل ، بيروت: 1973.
– التفسير القيم، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت ط.
– الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المكتبة الثقافية، بيروت: 1414-1993.
– ابن كثير: وأبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي:
– البداية والنهاية 4/76-82، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1405-1985.
– تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر، بيروت: 1401.
– السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت: 1403-1983.
– ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د ت ط.
– ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ط1: د ت ط.
– ابن هشام: محمد بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا-إبراهيم الأبياري-عبد الحفيظ شلبي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت-دار القبلة، جدة، د ت ط
– أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود،، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د ت ط.
– أبو السعود: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بـــتفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت د ت ط.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلدي، جزء في تفسير الباقيات الصالحات، تحقيق: بدر الزمان محمد شفيع النيبالي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1: 1987.

- أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1407-1986.

- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1: 1404-1984

- أحمد بن إدريس المالكي، الأمنية في إدراك النية ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1984.

- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر د ت ط.

- د. أحمد رحماني:

- التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا ، منشورات جامعة باتنة، د ت ط

- الحقيقة الجوهرية في مشكلة الأكثرية والأقلية –دراسة في التفسير الموضوعي-، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1: 1425-2005.

- إسماعيل حقي البرسوي، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي بيروت، د ت ط.

- الألوسي: أبو الفضل محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت ط.

- البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط3: 1407-1987.

- البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مسند البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1: 1409.

- البغوي: أبو محمد الحسين بن الفراء البغوي، معالم التتريل في التفسير والتأويل، تحقيق: خالد العك-مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط2: 1407-1987.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- البقاعي: إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1415-1995.
- بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظية، دار العاصمة الرياض: ط3: 1417-1996.
- الترابي: د. حسن الترابي، الإيمان أثره في حياة الإنسان ، دار القلم، بيروت، ط4: 1403-1983.
- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت: 1416-1996.
- البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي:
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت-دار البيان للتراث، ط1: 1408-1988.
- السنن الكبرى، تحقيق: عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة: 1414-1994.
- شعب الإيمان ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1: 1410.
- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت ط.
- الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د ت ط
- الجرجاني: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني ، دار الرشاد، د ت ط.
- الجزائري: أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط3: 1417-1996.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت، دط: 1412-1992.
- الجوهري: أبو النضر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: إميل بديع يعقوب، محمد نبيل طريفي 111/2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1420-1999.
- الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411-1990
- حسن البنا، رسالة الاعتقاد، دار مكتبة الإيمان، طرابلس-لبنان، ط1: 1422-2000
- د. حسين رضوان اللبيدي، القرآن والتركيب التشريحي للمخ ، ضمن مجموعة بحوث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دبي، الإمارات العربية المتحدة 2003م، إصدار الهيئة العامة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- د. حسين شرفه، سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة –أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، تخصص الكتاب والسنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 1424-1425هـ/2003-2004م.
- الحكيم الترمذي: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1: 1992.
- حمدي عبد العال، منهج السلف في العقيدة ، دار القلم، الكويت، ط2: 1406-1986.
- الداني: وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، السنن الواردة في القتن، تحقيق: د. ضياء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط1: 1416.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- الديلمي: أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1986.

- الرازي: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ط1: 1411-1990.

- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان، بيروت: 1986.

- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم، دمشق: ط3: 1423-2002.

- الزحيلي: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت-دار الفكر، دمشق، ط1: 1411-1999.

- الزركشي: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1408-1988

- الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري:

  - أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د ت ط.

  - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر: 1397-1977.

- السجستاني: أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، تحقيق: د. يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ، ط1: 1410-1999.

- سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار العصيمي، الرياض، ط1: 1414.

- سعيد حيدر، علوم القرآن بين الإتقان والبرهان —دراسة مقارنة-، دار الزمان، المدينة المنورة: 1420.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- سلمان زيد سلمان اليماني، القلب ووظائفه في الكتاب والسنة، دار ابن القيم، الدمام، ط1: 1414-1994.
- السيوطي: جلال الدين:
- الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، د ت ط.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت: 1993.
- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي:
- الاعتصام بالسنة، مراجعة وتدقيق: خالد عبد الفتاح شبل أبو سلمان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1: 1416-1996.
- الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت د ت ط.
- شلتوت: محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة ، دار الشروق، بيروت ط11: 1403-1983.
- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج6/ص415، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1417-1996.
- شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق د. فتحي أنور الدابولي ، دار الصحابة، القاهرة ط1: 1992.
- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1: 1415-1995.
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت: د ت ط.
- الصاحب إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين 131/1، عالم الكتب، ط1: 1414-1994.
- الطبراني: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني:
- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن محمد بن عوض الله-عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين القاهرة: 1415

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- المعجم الكبير، ـــ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2: 1404-1983.

- الطبرسي: الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418-1997.

- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:

- تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1422-2001

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت: 1405.

- الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي، مسند الطيالسي، دار المعرفة، بيروت دت ط.

- عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2: 1403

- د. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، طمُحَرَّم: شَوَّال صَفَر ربيع ثان مُحَرَّم- شَوَّال شَوَّال شَوَّال صَفَر.

- عبد الله عزام ، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، دار ابن حزم، طربيع أول: جمادى ثان مُحَرَّم ربيع ثان مُحَرَّم – جمادى ثان رَمَضَان رَمَضَان مُحَرَّم.

- د. عبد الصبور شاهين، مفصل آيات القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1: 1994-1414.

- د. عبد المجيد النجار، الإيمان بالله وأثره في الحياة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، طمُحَرَّم: رَجَب رَمَضَان رَمَضَان مُحَرَّم.

- عبد المنعم أحمد تعيلب، فتح الرحمن في تفسير القرآن، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط!: 1416-1995.

- علي عبد المنعم عبد الحميد، العقيدة الإسلامية ، دار القلم، ط2: 1402-1982.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- علي محمد الصلابي المصراتي، الوسطية في القرآن الكريم ، دار النفائس، ط1: 1419-1999.
- عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله ، قصر الكتاب، البليدة-الجزائر.
- عمر عبد الله كامل ، الرخصة الشرعية في الأصول والقواعد الفقهية، المكتبة المكية-دار ابن حزم، ط1: 1420-1999.
- الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، المكتبة العلمية، بيروت، د ت ط.
- الفراء: : أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: د عبد الفتاح إسماعيل شلبي 80/3، دار السرور د ت ط.
- القرضاوي: د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط17: 1417-1997.
- القرطبي: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2: 1372.
- الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، ط2: 1413-1993.
- مالك بن أنس: أبو عبد الله الأصبحي:
  - المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت، د ت ط.
  - الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، د ت ط.
- د.محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، دار الجيل، بيروت، ط1: 1413-1992.
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1420-1999.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس- المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة السعادة: 1404-1984.

- محمد علي الملا، دراسة في علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، قصر الكتاب، البليدة، ط1: 1406-1986.

- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، 1407-1987.

- المراغي: أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي ، دار الفكر، د ت ط.

- مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت د ت ط.

- مصطفى سعيد الخن ومصطفى ديب مستو، العقيدة الإسلامية أركانها-حقائقها-ومفسداتها ، دار ابن كثير، بيروت ط4: 1423-2003.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي ص854، 1989م.

- النحاس: أبو جعفر النحاس، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة، ط1: 1409.

- الندوي: أبو الحسن علي الحسيني الندوي، العقيدة والعبادات والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية ، دار القلم، الكويت، ط3: 1406-1986.

- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري-سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411-1991.

- النسفي، تفسير النسفي، دون دار طبع.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

- النووي، شرح صحيح مسلم، مراجعة خليل الميس، دار القلم، بيروت ط1: 1407-1987.
- هناد بن السري الكوفي، الزهد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط1: 1406.
- الهيثمي: علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، دار الريان للتراث ، القاهرة-دار الكتاب العربي، بيروت: 1407.
- الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي:
  - أسباب النزول، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، د ت ط.
  - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، بيروت-الدار الشامية، دمشق، ط1: 1415.
- ياسين جاسم المحيمد، من لطائف القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1422-2001.
- ياقوت: شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د ت ط.
- يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مكتبة ابن حجر، دمشق: ط2: 1424-2003.

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير ....

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إهداء
....
....
مقدمة
....
أ...
مدخل: في مفهوم العقيدة وأن الناس كانوا أمة واحدة ثم اختلفوا
1.........................

الباب الأول: أثر العقيدة على الفرد من خلال14

الفصل الأول: أثر العقيدة على المستوى القلبي والفكري والعمل.............................16
المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على المستوى القلبي والفكري والعملي...........24
المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على المستوى القلبي والفكري والعملي.............48

الفصل الثاني: أثر العقيدة على الفرد على المستوى النفسي.................................75
المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على المستوى النفسي:.........................77
المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على المستوى النفسي:..........................102

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الثالث: أثار العقيدة الشرعية والقدرية.......................................127

المبحث الأول: أثار العقيدة الصحيحة الشرعية والقدرية..........................128

المبحث الثاني: آثار العقيدة الفاسدة الشرعية والقدرية.............................154

الباب الثاني: أثر العقيدة على المجتمع من خلال القرآن الكريم185

الفصل الأول: أثر العقيدة على مستوى الروابط داخل المجتمع...............................187

المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على مستوى الروابط داخل المجتمع...........190

المبحث الثاني:أثر العقيدة الفاسدة على مستوى الروابط داخل المجتمع.............206

الفصل الثاني: أثر العقيدة على أمن الأمة وعيشها.......................................222

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة على أمن الأمة وعيشها........................224

المبحث الثاني: أثر العقيدة الفاسدة على أمن الأمة وعيشها..........................242

الفصل الثالث: أثر العقيدة في النجاة والغلبة والتمكين...................................260

المبحث الأول: أثر العقيدة الصحيحة في النجاة والغلبة والتمكين....................262

المبحث الثاني:أثر العقيدة الفاسدة في النجاة والغلبة والتمكين......................284

الخاتمة...305

فهرس الآيات...311

فهرس الأحاديث..332

قائمة المصادر والمراجع..337

فهرس الموضوعات...348

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com